مصادر
نهج البلاغة
وأسانيده

تأليف

السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

الجزء الاول

دار الأضواء
بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الأضواء

الغبيرة - شارع عبد الله الحاج - بناية الروضة
ص.ب. ٢٥/٤٠ - برقياً: الغبيرة - حسنكو

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا
كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝

" صدق الله العلي العظيم "

كلمة الناشر



منذ سنة ١٣٨٠هـ سمعت بذكر السيد عبد الزهراء الحسيني فأحببت التعرف عليه، فتشرفت ذات يوم بزيارة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم أعلى الله مقامه في منزله بالكوفة، وبعد أن استقر بي الجلوس جاء السيد الحسيني لزيارة السيد الحكيم أيضاً ورأيت من عناية السيد الحكيم به والتفاته إليه ما عرفت أن وراء هذه العناية شيئاً عرفته بعد أن خرج إلى عالم النشر كتابه « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » ذلك الكتاب القيم النفيس الذي نال إعجاب الكثيرين من طلاب الحقيقة، وروّاد المعرفة إذ حلَّ فيه مشكلة تصاولت فيها الأقلام عدّة قرون، فاستطاع ان يزيل تلك الشكوك والأوهام مستعيناً بمئة وأربعة عشر مصدراً من أمهات المصادر أُخرجت للناس قبل صدور « نهج البلاغة » مخطوطاً ومطبوعاً، مضافاً إلى مصادر السيد الشريف الرضي التي تبلغ خمسة عشر مصدراً تاريخياً، فجاء كتابه هذا حافلاً بما يوضح الحق، ويكشف عن الحقيقة فجزاه الله عن هذا الجهد أفضل ما يرجوه من الجزاء.

هذا، وإذ شرَّفني اليوم هو نفسه بطبع أثره الكريم، أشكر له تفضُّله، حيث يسَّر لي أن أقدِّمه إلى المكتبة الإسلامية في أقطار الأرض خدمةً للحقِّ والحقيقة، والله ولي التوفيق.

الناشر

الاهداء

سيدي يا حجة الله في ارضه .

ايها المهدي المنتظر .

فتشت في خبايا الارض . وزوايا الدنيا . أثناء إعدادي لاخراج هذا الكتاب عن (العزيز) الذي أقدم له (بضاعتي المزجاة) التي هى ثمرة أتعـــاب طويلة وجهود مضنية ، (وقد مسَّنا وأهلنا الضرُّ) فوجدتك أقرب ما يكون منِّي .

يمثلك الشوقُ المبرّحُ والفكرُ فلا حُجُبٌ تخفيكَ عنِّي ولا سترُ

ثم عنَّ لي (وآتوا البيوت من أبوابها) فرأيت أن أرفعه لمقامك السَّامي . بواسطة نائبك العـــام . الذي قام بأعباء النيابة خـــير قيام سماحة آية الله السيد محسن الحكيم

فتقبل سيدي ـ ذلك منِّي و(أوفِ لنا الكيلَ وتصدّق علينا إنَّ الله يجزي المتصدقين)

الخميس ٢ ربيع الآخر ١٣٨٦

عبـــدكم

عبد الزهراء

اقرأ هذه الكلمة . . .

تعرف قيمة هذا الكتاب . . .

قال الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء طيب الله ثراه :

« وعسى ان يوفق الله لافراد كتاب يجمع أسانيد « نهج البلاغة » من كتب الفريقين ، فأني احس بشدّة الحاجة الى ذلك ، وقد اضطرنا هذا الوقت وأعوزنا الى مثله ، على أني لا أجد لنفسي كفاءة القيام بمثل هذا العمل الجليل ،فعسى أن يعنى له بعض الافاضل فينهض بمثل هذا المشروع الشريف الذي فات السلف الصالح أن يقوم بمثله و « كم ترك الأوّل للآخر » وغير خفي على ذي لب أنَّ من يقوم بهذه الصنيعة العظمى يكون قد سدّ فراغاً كبيراً في المعارف والعلوم ، وأسدى الى الحقيقة يداً بيضاء يقطع بها السنة المعتدين ،ويكعم بها أفواه المتجاسرين ، وأقلام المتطاولين على هذا السفر العظيم ، الذي لاثانيَ له بعد كتاب الله العزيز كما يعترف به كلُّ منصفٍ من العارفين ، وعسى أن لايخيب رجاؤنا ولايفشل اقتراحنا من افاضلنا ان شاء الله » .

(المراجعات الريحانية ج ٢ ص ١١٢)

كلمة طيبة

تفضل الامام المرتضى من آل ياسين دامت بركاته
بالكلمة التالية :

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على محمد وآله وسلم

وبعد: فربَّ موضوع ذي نسب واضح سليم يتناوله قلم مؤرخ ناقد فيطيب له أن يحيطه بأطار من الاوهام والشكوك يستوحيهـا من أمور لا تكاد توحي للناقد البصير وهماً ولا شكاً، ثم يأتي من بعده آخرون ليؤرخوا لنفس الموضوع فينقسموا الى فريقين فريق مؤيد وفريق مفند، وتبعاً لانقسام هؤلاء المؤرخين ينقسم قراؤهم أيضاً الى مؤيدين والى مفندين، وإذا بذلك الموضوع الواضح النسب يصبح لا لشيء ذي بال موضوعاً مجهول النسب أو منسوباً الى غير من يجب أن ينسب إليه، وهذا ما مُني به كتاب (نهج البلاغة) المحتوى على شطر كبير من كلام مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فانه مازال منـذ أمدٍ بعيد ولا يزال حتى اليوم يشقُّ طريقه بين فريقين فريق له وفريق عليه مع العلم بان الفريق الاول أقوى عدة وأكثر عدداً .

وما أشبه ما مني به كتاب النهج بما مني به كتاب الله جل شأنه فقد قال المنكرون للتنزيل: إن القرآن من كلام محمـــد صلى الله عليه وآله وليس من كلام الله، وقال

المرتابون في النهج: انه من كلام جامعه السيد الشريف وليس من كلام الامام عليه السلام ولو انهم أمعنوا النظر جيداً لعرفوا أن لكلٍّ من الكلامين طابعه الخاص الذي يمتاز به عن الآخر بصورة واضحة فأين كلام محمد صلى الله عليه وآله من كلام الله ؟ وأين كلام الرضي من كلام الامام علي عليه السلام ؟ وكيف يجوز ان يشتبه هذا بذاك ؟ وما اشتبه التبر يوما باللجين .

على ان هناك من الوثائق التاريخية المعتمد عليها مالو رجع اليها المتتبع لازداد ايماناً ويقيناً بصحة النسبة وثبوتها بشكل لايقبل الجدل والارتياب وهذا مانهد الى جمعه والالمام به في هذا الكتاب مؤلفه السيد الجليل البحاثة المتتبع، والخطيب البارع السيد عبد الزهراء الحسيني حفظه الله، فانه اودعه من الوثائق الصحيحة، والشواهد الصريحة ما جعله فذاً في موضوعه، ولاشك في انك ان رجعت اليه فسوف لاتنكفىء عنه إلا وأنت مؤمن كلَّ الايمان بان المرتابين في نسب النهج هم أبعد الناس عن نهج الصواب .

فحيا الله مؤلفه السيد المجاهد بأزكى تحياته، وأسبغ عليه أفضل نعمه ومثوباته، وجزاه عن جهوده المضنية التي عاناها في سبيل تأليفه بما يجازي به المحسنين من عباده الصالحين انه أرحم الراحمين .

٢٠ / ذي القعدة / ١٣٨٧ هـ — مرتضى آل ياسين

المنحرفة عن نهج الحق ، والجادة البيضاء ، والمهيع السوي . فطوبى لك أيها العالم النحرير ، ثم طوبى لك أيها الخريت الخبير .

● ● ●

لقد عكفت على مطالعة كتابك الثمين الزاخـــر بالبينات ، وأنا حليف الفراش لهجوم النوبة القلبية واشتداد وطأة مرض السكر والله تعالى أسأل أن يمن علي وعليكم بالعافية ويرزقنا الشكر عليها ، نعم ياسيدي لقـد طالعته من ألفه الى يائه والحمد لله وكنت كلما أنتهي من فصوله يأخـذني الدهش والبهر والاعجاب العجيب لقوة جلدك في البحث وصبرك المحمود على مرارة التنقيب، وطول سهرك في اقامة الحجج الدوامغ والادلة المسكتة ، والروايات المسندة بأصح الأسانيد الواضحة وضوح النهار الماتع ، ثم حـــدبك المنهك على جمع الاحاديث الشريفة المرفوعة من طريق الصحاح لأهل السنة والجمـاعة في حق الوصي عليه السلام والوصاية .

أجـل ياسيدي : لقد جـــاء كتابك المنير بأكثر من اعجوبة نادرة ومن أولى مزاياه الفـــائقة اظهاره ماخفي على الباحثين والكتاب والادباء الفضلاء من الـكنوز المطمورة في الدهـــاليز والزوايا ، تلك الـكنوز الفكرية والمعـارف العقلية ، والآثار القلمية المنسية طوال الحقب المـاضية والايام الخالية وكلها جاءت متظافرة لتدعيم صرح الحق ورفع مناره وتمزيق غياهب الباطل وتحطيم يافوخه .

● ● ●

أما العبارة فقوية آسرة ، وأمـا أوعية المعاني فدرية اللمعان ، طافحـة بالحلاوة خالبة بالطلاوة . ورأيي في المعاني الشريفة ، فبالايجـاز أقول : كانت أرواحا من النور أسكنت في اجسام سحرية خـــلابة مرقصة تهز القلوب ، وبأسلوب مهـذب مرهف يثير الاحساس والوجدان . وكلمتي الاخيرة : فان

كتاب مصادر « نهج البلاغة » هو اليوم مصدر المصادر لعيون المحـاسن ، ومحـاسن الجواهر ، وبدائـع الفوائد فشكر الله سعيك المبرور المشكور ، وعـاشت يداك ، وقلمك البليغ السيال أيها السيد الشريف المفضال . هـذا والله أسأل ان يحفظك للفضيلة والعلم ذخراً ومؤملا .

كرخ — الداودي — حي المحامين والحكام

٣ / ٤ / ١٩٦٧ مخلصكم

أبو أديب : توفيق الفكيكي

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحمود الله جلّت قدرته ، والمُصلّى عليه محمد وعترته

أما بعد : فهذا كتاب (مصادر نهج البلاغة) أقدمه للقراء في طبعته الثانية بجميع أجزائه آملا أن ينال رضاهم، ويحظى بقبولهم كما كان في طبعته الأولى خصوصاً وان في هذه الطبعة زيادات لم تكن في الأولى مع تعديلات مهمة في بعض مواده، واني لأشكر جميع الذين آزروني وشجعوني من العلماء والأدباء في هذا العمل، وأخصّ بالذكر أخي العلامة الخطيب الشهير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي فأنّ له اليد الطولى في اخراج هذه الطبعة بهذه الحلّة الجميلة سائلا المولى سبحانه أن يكثر من أمثاله ، ويزيد في توفيقه واقباله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

١٧ محرم الحرام ١٣٩٥ — المؤلف

مقدمة الطبعة الاولى

(١)

كنت مولعـــا بكتاب « نهج البلاغة » منذ حداثة سنيّ ، اجعله سمير وحدتي وأنيس وحشتي، استظهر فصولا من خطبه ، وأحفظ قطعاً من رسائله، والتقط درراً من حكمه ، وكان هذا الولـع يتضاعف كلمّا اتسعت مداركي ، وتضاعفت معلوماتي ، ومن أجل ذلك أبحث عن كل ما يتعلق به ، وماكتب حوله ، وبطبيعة الحـال اطلعت على تلك الاوهـام التي أحاطت به ، وفي مقدمتها (إنّ الذي جمعـه هو الذي وضعه) فصرت كلمّا عنّ لي شيء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام [1] في الكتب المؤلفة قبل صدور « النهج » أو بعده ولكن مع القطع انه لم يؤخذ عنه ، أشير اليه في مجموعة خاصة ، حتى اجتمع عندي بتيسير الله تعـالى على طـــول الأيام ، ومرّ السنين ما يصح أن يجعل

---

(١) قال الدكتور زكي مبـارك: أمير المؤمنين هو اللقب الإصطلاحي لعـــلي بن أبي طالب ، فان رأى القارىء هذا اللقب في كتاب قديم من غير نص على اسم فليعرف أن المراد هو علي بن أبي طالب، واذا رأيت من الأسماء اسم عبد الأمير فاعرف أن المراد عبدعلي بن ابي طالب (عبقرية الشريف الرضي ج : ٢ / ٢٢٨) .

كمصادر [١] لـ (نهج البلاغة) وما يثبت أنّ جامعه ليس له فيه سوى الجمع والاختيار ، والترتيب والتبويب ، وسترى في هذا الكتاب أنّ كل ماحـواه « النهج » مروي عن أمير المؤمنين ، مشهور النسبة إليه ، وأن كلّ اولئك الذين تطاولوا على (نهج البلاغة) أو تحـاملوا على جامعه ، إن هم إلاّ قـوم دعاهم الهوى فاجابوه ، وقادهم التعصب الأعمى فاتبعوه ، (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون).

(٢)

ولاجرم أنـّك قرأت كلمة الإمام كاشف الغطاء رحمه الله في مطلع هـذا الكتاب فأعطتك صورة واضحة عمّا بذلته من جهود، وما لاقيته من عناء في جمـع هذا الكتاب وتأليفه ، ولاريب أنك قدّرت كم أخـذ ذلك من وقتي وراحتي ، وإذا كان كاشف الغطاء أعلى الله مقامه يقعد عن القيام بمثل هـذا العمل الجليل – على حدّ تعبيره – مع مايرى من أهميته لما فيه من المشقة وهو البحـر الذي لايدرك قراره ، ولاتسبر اغواره ، بمكتبته الطافحة بامهـات المصادر قديمها وحديثها ، مخطوطها ومطبوعها بمحيطه الذي لو مد إليـه يد الاستعانة للبّى طلبه العشرات من فرسان هذه الحلبة ، وأبطال هذا الميدان، فكيف بي – رعـاك الله – وأنا في (الخضر) [٢] وليس في متنـاول يدي إلا بضع عشرات من الكتب لايغني معظمها في مثل هذا المقام ، ولا أجد من حولي من يمكن الاستعانة به في مثل هذا الأمر .

وحسبي بهذه الكلمة في التعريف بكتابي هذا ،وبيان أهمية موضوعه فقد أغنتني عن تكليف بعض الأعلام في تقديمه ، والتـّعريف به كما هي عادة أكثر المؤلفين في هذا الزمن .

---

(١) التسمية مجازية هنا كما لايخفى.

(٢) الخضر : بلدتي التي نشأت فيها وهي اليوم قضاء تابع الى محافظة المثنى في العراق.

(٣)

ولا أدعي بأنيّ أول من فتح هذا الباب ، وكتب في مثل هـذا الموضوع فلشيخنا الهادي من آل كاشف الغطاء – نضر الله وجهه – فضل السبق إلى بيان (مدارك نهج البلاغة) والبحث عن أصوله غير أنـّه رحمه الله لم يذكر إلا اليسير بصورة مقتضبة ، وبيان وجيز وتعجـّل في جمعها خوف الشتات ، وسارع إلى إخراجها خشية الضّياع كما ذكر ذلك في أواخر الكتاب .

وكتاب الامام الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني نور الله ضريحه (ما هو نهج البـلاغة) ؟ تغني شهرته عن التّنويه به ، فقـد بحث فيه تاريخ (نهج البلاغة) وقيمته العلمية والأدبية ، ومكانة مؤلفه من التحقيق والوثاقة ، بما لاتقوم به البحوث المطولة ، ولاتسد مسدَّه الاقوال المسهبة .

وللاستاذ الكبير حسين بستانه بحث قيم تعرض فيه للشبهات الحائمة حول (النهج) نشرته مجـلة الاعتدال النجفية الغراء في العـدد الرابـع من سنتها الخامسة .

وألف الاستاذ إمتياز علي عرشي كتابا في هذا الموضوع سماه (استناد نهج البلاغة) نقله إلى العربية الاستاذ عامر الأنصاري ونشرته مجـلة (ثقافة الهند) التي يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية بعددها الرابع من المجلد الثامن المؤرخ ديسمبر سنة ١٩٥٧م وهذا الكتاب على اختصاره قد ألمّ بالموضوع من أكثر اطرافه وأحاط به من بعض جهاته أطلعني عليه في الآونة الأخيرة العلاّمة الاستاذ الشيخ أسد حيدر مؤلف كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الاربعة) ولايفوتني بهذه المناسبة أن أثني أحسن الثناء على (أسد آل حيدر) سلمه الله فكم شجّعني على مواصلة هذا العمل ، وحثّني على الجد في إتقانه ، وكم جعل في متناول يدي من أمهات المصادر ، ومختلف البحوث المتعلقة بهذا الموضوع ودلـّني بمعلوماته القيّمة ، وخبرته الواسعة على موضع الفائدة منها فجزاه الله عني خير مايجزي به الواصلين لارحامهم .

ولا أنسى أيضاً أن أذكر العلامتين الامامين الشيخ عبد الحسين الاميني صاحب (الغدير) ، والحسن الطهراني صاحب (الذريعة) طيّب الله ثراهما بجميل الذكر على ما بذلاه لي من المعونة (الأول) بما أسداه من نصائح ثمينة ، وإرشادات قيّمة وملاحظات مهمة و(الثاني) بجعل مكتبته تحت تصرفي في أي وقت من ليل أو نهار ، وبما أطلعني عليه من القسم المخطوط من ذريعته ، فالله اسأل أن يجزي الجميع عنيّ بالحسنى كما وفقهم لما يحبّ ويرضى .

وبعد : فهذا كتابي أقدمه بين يدي القارىء الكريم ولا أخادع نفسي فادعي باني قدمته زهراً لاشوك فيه ، وثمراً لاعجم به ، فاجل طرفك بين اعطافه واطرافه فان راقك كلّه أو جله فذاك مالا آسى معه على ما قاسيته من أتعاب ، وما بذلته من جهود والا فستجد مني اذنا صغواء ، وصدراً رحباً لتقبل كلّ نقد مصدره حسن النية ، وغايته التعاون على إحقاق الحق وماتوفيقي إلا بالله .

عبد الزهراء

مصادر « نهج البلاغة »

لا أريد بهذا العنوان المعنى المفهوم للمصادر بين الكتاب والمؤلفين فقد أنقل من مصدر لم يره الشريف الرّضي ولم يسمع بذكره ، ولـكن المقصود : أنّ ذلك الكلام من محتويات (النهج) أو تلك الخطبة ، أو هذا الكتاب ، أو هذه الحكمة ، مشهورة النسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، معروفة بين الرّواة ، مروية عنه ، ولو مع التفاوت والمغايرة في بعض الحروف والكلمات ، أو التقديم أو التأخير أو الزيادة والنقصان ، شأن جميع المأثورات عن البلغاء والخطباء في الجاهلية والاسلام ، لأنّ الوقوف على جميع المصادر التي أخذ عنها الشّريف الرّضي ضرب من المحال ، لوجود كتب كثيرة كانت في عصره ، عاثت بها يد الايام ولم يبق منها إلا اليسير ولم نعرف عنها إلا اسماء بعضها في كتب الفهارس والرجال ، وبحسبك أن تقف ولو لماماً على فهارس ابن النديم والنجاشي والطّوسي ، وما أشار اليه ياقوت في (معجم الادباء) وما ذكره صاحب « كشف الظنون » وما عرضه شيخنا الرّازي في (الذريعة) ليظهر لك ذلك بكل وضوح .

ولو لم يكن في متناول الرضى يومئذ إلا مكتبة أخيه علم الهدى [1]

---

(١) علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى من أكبر الشخصيات الاسلامية ،=

المعروفة بدار العلم ، والتي حوت اكثر من ثمانين الف مجلد [1] لكفى ،مضافاً إلى المكتبات العامة التي كانت في عهده مثل مكتبة بيت الحكمة التي انشأها أبو النصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن بويه الديلمي [2] في سنة (٣٨١ هـ) وكانت في محلة بين السورين بالكرخ جمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق ، واستنسخ من الهند والصين والروم كتبهم ، وجعل فيها نيفاً وعشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الائمة المعتبرة منها مائة مصحف نمقتها يد ابن مقلة ، ثم اخذ العلماء يحبسون عليها نسخاً من مؤلفاتهم حتى أصبحت من أغنى دور الكتب في عاصمة العباسيين [3] .

وقال عنها ياقوت الحموي: لم يكن في الدنيا أحسن منها كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة ، واصولهم المحررة ، [4] وكانت خاصة بالشيعة [5] وقد أنشأها

= انتهت اليه زعامة الامامية بعد وفاة شيخه المفيد ، وتعتبر آراؤه وآثاره سجلا كاملا لآراء الشيعة الامامية واقوالهم، وفي كتبه حفظت عقائدهم وآراؤهم ،وعده ابن الاثير من مجددي مذهب الإمامية في راس المائة الرابعة ، وادعن ابن خلكان بامامته في جملة من العلوم ، ودل على فضله الكثير ، وتوسعه في الاطلاع على العلوم ، ومع ذلك يتهمه بالوضع والكذب على أميرالمؤمنين عليه السلام اذ نسب « نهج البلاغة » اليه جهلا او تجاهلا ، ثم اتهمه بوضعه كما ستطلع عليه، وللافاضة في مناقبه غير هذا الموضع ، توفي سنة (٤٣٥) وخلف بعد وفاته ثمانين الف مجلد من مقروءاته، ومصنفاته ومحفوظاته .

(١) الكنى والالقاب : ٢ / ٤٣٩ .

(٢) سابور بن أردشيروزر لبهاء الدولة بن عضد الدولة ثلاث مرات ، وكان كاتبا سديداً وابتاع داراً بين السورين في سنة (٣٨١) وحمل اليها كتب العلم وبقيت سبعين سنة واحترقت عند مجيء طغر لبك .

(٣) خزائن الكتب العربية في الخافقين : ١٠١

(٤) معجم البلدان مادة بين السورين.

(٥) الذريعة ٧ /١٩٣

سابور على مثال بيت الحكمة الذي أنشأه الرشيد ، وجمع إليها ما كان قد نقل الى العربية من كتب الطبّ والعلم وما ألف من العلوم الاسلامية ، مع ماسعى يحيى بن خالد في جمعه من كتب الهند، وماوقع للرشيد من كتب الروم وغيرها، ولما تولى المأمون وأنشأ مجلس الترجمة جمع في بيت الحكمة كتب العلم في مختلف لغاتها وفيها اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية فضلا عن العربية، وعلم الناس رغبته في ذلك فأتوه بالكتب على اختلاف مواضيعها ، وأشكال خطوطها (١) ، ككتاب ذكر ابن النّديم أنه بخطّ عبد المطلب بن هاشم في جلد أدم وفيه ذكر حقّ عبد المطلب من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل صنعاء ألف درهم فضة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه شهد الله والملكان (٢) .

ولهذه الخزانة ذكر مشتت في كثير من المراجع العربية قديمها وحديثها وقد عرفت في بعضها باسم « بيت الحكمة » وفي بعضها باسم « دار الحكمة » (٣) .

وكان المأمون مثالاً في إنشاء المكتبات بالممالك الاسلامية فاقتدى به بنو امية في الاندلس وأشبههم به الحكم بن الناصر الذي تولى الخلافة سنة (٣٥٠هـ) وتوفي سنة (٣٦٦) وكان محباً للعلوم، مكرماً لأهلها جماعاً للكتب على أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ، فأنشأ في قرطبة مكتبة جمع إليها الكتب من انحاء العالم فكان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ، ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب، وتقريب الكتاب ، فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الإسلام ، فجعلوها

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣/٢٠٧

(٢) الفهرست ص ١٤

(٣) خزائن الكتب القديمة في العراق للاستاذ كوركيس عواد ص ١٠٥ .

في قاعات خاصة من قصر قرطبة ، ووضعوا لها الفهارس لكلّ موضوع على حدة وقد ذكر ابن خلدون والمقري ان مجموع ما حوته تلك المكتبة (٤٠٠ر٠٠٠) مجلد [1].

واقتدى بالحكم رجال دولته ، وعظماء مملكته وانشأوا المكتبات في سائر بلاد الأندلس ، حتى قالوا : إنّ غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة من المكتبات العمومية وأصبح حبّ الكتب في الأندلس سجية في أهلها ، وأصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرئاسة عندهم .

واقتدى بخلفاء بغداد والاندلس الخلفاء الفاطميون بمصر بدأ بذلك منهم العزيز بالله ثاني خلفائهم ، تولى الخلافة سنة (٣٦٥) وهو شاب فاستوزر يعقوب بن كلس ، وكان يعقوب مدبّراً ومحبّاً للعلم ، فرتب له الدواوين ، وقرّب إليه العلماء على إختلاف طبقاتهم ، وأجرى لهم الأرزاق ، وحبّب إلى الخليفة إقتناء الكتب فجمع منها جانباً كبيراً ، خصص لها قاعات في قصره، وسماها « خزانة الكتب » وبذل الأموال في الاستكثار من المؤلفات المهمة في التاريخ والأدب والفقه ولواجتمع من الكتاب الواحد عشرة نسخ أو مائة نسخة أو أكثر — ذكروا أنّه كان فيها من كتاب (العين) للخليل نيف وثلاثون نسخة ، منها بخط الخليل نفسه ، وعشرون نسخة من تاريخ الطبري ، ومائة نسخة من كتاب (الجمهرة) لابن دريد .

وكان عدد النسخ المكرّرة يزداد بتوالي الأعوام حتى بلغ عدد النسخ من (تاريخ الطبري) عند استيلاء صلاح الدين الايوبي على مصر (١٢٠٠) نسخة، وكان فيها (٣٤٠٠) ختمة قرآن بخطوط منسوبة محلاة بالذهب فلا عجب إذا قالوا : إنّها كانت تحوي (١٦٠٠ر٠٠٠) كتاب [2].

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ /٢٠٩

(٢) نفس المصدر ٣ / ٢١٢ .

وليست محتويات « دار الحكمة » أو « دار العلم » التي أنشأها الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله سنة (٣٥٠هـ) وحمل إليها الكتب من خزائن القصور بأقل من سابقتها .

وتضمنت مكتبة طرابلس الشام في ذلك العهد مئات الالوف من المجلدات .

وقس على ذلك بقية المكتبات العامة في سائر بلاد الاسلام .

وهذا غير خزائن الكتب التابعة للمدارس ،أو البيمارستانات[١] أو الجوامع فانها كانت كثيرة جداً ومنها ما لاتقل كتبها عن المكتبات الكبرى ، وغير الخزائن الخصوصية التي يقتنيها العلماء لانفسهم وهي كثيرة وعظيمة ، فقد كانت كتب الصاحب بن عباد تنقل على اربعمائة جمل [٢] .

وذكر ابن النديم : أنّ محمد بن اسحق رأى في خزانة محمد بن الحسين المعروف بابن ابى بعرة،قمطراً كبيراً فيه نحوثلاثمائة رطل من جلود وصكاك، وقرطاس مصر ، وورق صيني ، وورق خراساني ، فيها تعليقات عن العرب، وقصائد مفردات من اشعارهم ، وشيء من النحو والحكايات ، والاخبار والانساب ، وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم وعلى كل جزء أو ورقة أو مدرج تواقيع بخطوط العلماء واحداً إثر واحد ، ورأى في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي عليه السلام ، ورأى فيها بخطوط الحسن والحسين عليهما السلام وكذلك رأى عهوداً لامير المؤمنين عليه السلام بخطه الشريف [٣].

---

(١) البيمارستانات جمع بيمارستان وهو ما يسمى في هذا العصر بالمستشفى.

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ / ٢١٢ .

(٣) الفهرست ص ٦٦ .

فهل تستطيع أن تتصور مقدار ماطلع عليه الرضي من الكتب الموجودة في زمانه ؟وهل تتحرج من القول أنّ مابقى من تلك الاسفار بالنسبة لما فقد منها إلا كنفشة في بحر لجيّ ؟ .

ولأن نال المكتبة الاسلامية ما نالها من العيث والفساد أيام غزو التتار لبغداد حتى قيل : إنّ هلاكو اتخذ من الكتب الموجودة في خزائن بغداد يومئذ جسراً تعبر عليه جنوده ، وامر بإحراق ما تبقى منها . واستطاع نصير الدين الطوسي أن يجمع من فلول تلك الكتب (٤٠٠,٠٠٠) مجلد استودعها في مكتبة مراغة ، ومـا لحقها أيضاً من الدّمار أيام فتح الافرنج لطرابلس الشام ، فقد روى أنهم أحرقوا من الكتب ما يقدر بثلاثة ملايين من المجلدات ، مضافاً إلى ما أصابها من التلف بسبب ما يقوم من المنازعات بين الفرق الاسلامية ، أو من جراء اتهام رجـال الفلسفة بالزندقة واحراق كتبهم في مختلف البلاد .

فقد ورد في كتاب الى الخليفة القادر بالله ببغداد من السلطان محمود بن سبكتكين أنه في سنة (٤٢٠هـ) حارب الباطنية والمعتزلة والروافض فصلب منهم جماعة ، وحول من الكتب خمسين حملا ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فانها أُحرقت تحت جذوع المصلّبين إذ كانت اصول البدع [١] .

وذكر ابن الأثير : أنّ الأعراب من بني عامر أحرقوا في البصرة دارين للكتب ، أحدهمـا وقفت قبـل أيام عضد الدّولة بن بويه ، وهي أوّل دار وقفت في الإسلام ، فقال عضد الدولة هذه مـكرمة ُسبقنا إليها ، والاخرى وقفها الوزير ابن شاه مردان ، وكان بها نفائس الكتب وأعيانُها [٢] .

---

(١) خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٣٠ .

(٢) الكامل : ج : ٨ / ١٥٣ حوادث سنة (٤٨٣) .

نعم لأن نال المكتبة الاسلامية – على العموم – ما نالها فقد نال المكتبة الشيعية – على الخصوص – سواء قبل كارثة التتار أو بعدها مـا تقل عنده تلك الكوارث ، وتهون معه تلك المحن .

فعند انقراض دولة الفاطميين القي بعضها في النـار ، والبعض الآخر في النيل ، وترك بعضها في الصحراء فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب ، واتخذ العبيد من جلودها نعالا [1] ، (فقد غالى الأيوبيون في القضاء على كل أثر للشيعة) [2] .

ونظرة عجلى في الكتب التي تعرضت لشرح ذلك أمثال «خطط المقريزى» و « الازهر في الف عام » للخفاجى وغيرهما تعطيك صورة واضحـة لتلك الرزايا المؤسفـة التى حلت بالتراث العربي الاسلامي بسبب التعصب الاعمى ، والحقد المقيت .

وهل يغرب عن بالك مـا منيت به مؤلفات الشيخ الطـّوسي وكتبه أيام الفتنة الهوجاء في عهد طغرلبك السلجوقي التي جرى فيها من الامور الفضيعة ما لم يجر مثله في الدّنيا ، ولم تكن محنة شيخ الطائفة واحـــدة فقد كبست داره عدّة مرات، واحرقت كتبه على رؤس الأشهاد في رحبة جامع النصر [3]، كما أحرقت مكتبة بيت الحكمة التي أسسهـا سابور بن اردشير – كما أشرنا اليها قبل هذا – فيما احترق من محال الكرخ عند مجيء طغرلبك إلى بغـداد وبحسبك أن ترجع الى ماذكره ابن الجوزى في الجزء الثامن من « المنتظم » من حوادث سنة « ٤٤١ » فما بعدها لتحيط خبراً بما جرى على شيعة أهـل

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ / ٤١٠ .

(٢) الازهر في الف عام : ١ / ٥٨ .

(٣) لسان الميزان ٥ – ١٣٥.

البيت عليهم السلام من القتل ، ومـــا لقي علماؤهم من الاسائة ، وما نال مقدساتهم من الإهانة ، ومـا لحق مكتباتهم من التحريق حتى اضطر شيخ الطائفة أخيراً في سنة (٤٥٠) أن يهاجر إلى النجف الاشرف، وتسعد تلك البقعة المقدسة بهجرته إليها ، وتصبح بفضل إقامته فيها مثابة لطلاب العلم ، ورواد الفضل .

واستمرت كتب الشيعة ومكتباتها على هذا الحال حتى في زمن العثمانيين ولولم يكن إلاّ ما فعلوه عندما استرجعوا العراق من أيدي الصفويين لكفى به شاهدا على ما نقول .

وليس يخفى عليك مافعلوه بكتاب (ينابيع المودة) من تحريق الطبعة الاولى وتحريف الثانية . كما أحرقوا الطبعة الاولى من كتاب «الدين والاسلام» للامام المرحوم كاشف الغطاء في بغداد والدولة العثمانية في دور الاحتضار.

ولاينسى أبد الدهر ما فعله الجزار احمد باشا لما احتل جبل عامل وأباح مدنها وقراها من حرقه لكتب العلماء حتى : أنّ أفران عكا أوقدت سبعة ايام من كتب العامليين [١] .

فهـــل يطمع طامع بعد تلك الحوادث والكوارث في العثور على جميع مصادر (نهج البلاغة) بجميع مفرداته وفقراته ؟ كلا ثم كلا .

وعلى هذا فليس بضائر فيما نحن فيه إذا كان فيما ننقله عما جعلناه مصادر للنهج ما يختلف معه اختلافاً يسيراً ، بزيادة عبارة أو نقصان اخـرى ، أو اختلاف كلمة ، أو سقوط جزء للامور التالية .

أولا – ذهاب معظم الآثار التي كانت في عهـد الشـّريف الرّضى بسببه الفتن والمحن كما ألمنا بطرف منها آنفاً .

---

(١) شهداء الفضيلة ٢٦٣.

ثانياً — إنّ الرضي قدّم في ديبـــاجة كتابه : أن روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً ، فربما أتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجــد بعد ذلك في رواية اخــرى موضوعاً غير وضعه الأول إما بزيادة مختارة ، أو بلفظ أحسن عبارة فيقتضي الحال أن يعاد .

ثالثاً — إنّ الشريف لم يجمع (النهج) ليجعل منه مصدراً من مصادر الفقه ، أو مدركاً من مدارك الأحكام ، بل كان جلّ قصده أن يخرج للناس جانباً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يتضمن من عجائب البلاغة ،وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدّنياوية ، ما لايوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتاب ، لذا تراه لم يذكر الأسانيد ، ولم يتعرض للمصادر إلا فيما ندر ، ولم يعتن بالتناسق والتتالي ، بل ربما يختار من الخطبة الطويــلة ، ذات الغايات الكثيرة ، والمرامي البعيــدة بضع كلمات هي أقل بكثير مما ترك منها حتى جآء في مواطن عديدة من الكتاب فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأنه يورد النكت واللمــع ولايقصد التتالي والنسق كما ذكر ذلك في صدر الكتاب .

رابعاً — قد يأخذ المؤلف من الكلام ما يدخل تحت غرضه ، ويندرج في قصده من أبواب كتابه . وهذا مــا لايحصى كثرة .

خامساً — إنّ كثيراً من المؤلفـــين ينقلون من ذلك ما يتفق ومذهبهم وما لايخالف معتقدهم .

سادساً — إنّ أكثر الرّواة ينقلون بالمعنى دون اللفظ فقد يبدلون الكلمة بما يرادفهــا ويروون العبارة بما يضارعها ، وليس هذا في المأثور عن أمـــير المؤمنين فحسب بل في كلّ المأثورات بما فيها الأحاديث النبوية .

وإذا كانت الصّحابة رضوان الله عليهم مع طول صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله

وكثرة صلاتهم خلفه اختلفوا في شيء هو من أهم مـــا يجب على المسلم وهي الصّلاة فترى ان عمر وابن مسعود وجابر بن عبد الله ، وابن عبـاس ، وام المؤمنين عائشة كلّ واحد منهم يتشهد في الصّلاة بما يغاير مايتشهد به الآخر[1] وان اتفقوا في المعنى ، فلا ضير أن يختلف النـــاس في نقــل خطبة أو رواية كلام.

وهذه كتب العلماء في مختلف المواضيع ، بمـا فيها صحـاح السنة الستة واصول الشيعة الأربعة تتفاوت صور أكثر المنقولات في كل واحد منهـا عن المنقول في الآخر ، وقد تتفق في المعنى ، وقد تختلف فيه ، بل إنّ الكتاب الواحد ربما تنقل الرواية فيه بصور شتّى ، ووجوه مختلفة ، هـذا (صحيح البخاري) وهو أجل الصّحاح عند جمهور المسلمين، ينقل كثيراً من الرّوايات بوجوه تختلف لفظاً ، وتتفق معنى ، خذ مثلا حديث رزية يوم الخميس فقـد نقله بوجوه تختلف كلماتها ولكن معناها واحد في مواضع يعرفها المتتبعون[2]، ولو أردنا أن نكثر من الشواهد لطال بنا المسير .

واني لعلى يقين لو أن الرّضي رحمـه الله تعرض لذكر المصادر ، واعتنى بالاسانيد لقال بعضهم : « اشتغل بعض علمائهم (الشيعة) بعلم الحديث وسمعوا الثقات ، وحفظوا الاسانيد الصحيحة ، ثم وضعوا بهذه الأسانيد أحـاديث تتفق ومذهبهم ، وأضلوا بهذه الأحاديث كثيراً من العلماء ... الخ [3] فسواء

(١) لقـــد اشبع القول في هذا الاستاذ محمود ابو رية في كتابه « أضواء على السنة المحمدية » ص ٦٦و٦٧ فراجع .

(٢) رواه ابن عباس انظر (صحيح البخاري) كتاب العلم « باب كتابة العلم » : ج ١ ص ٣٩ وكتاب الجهاد « باب جوائز الوفود » ج ٤ ص٨٥ وكتاب المرض « باب قول المريض: « قوموا عني » ج ٩ ص ١١ .

(٣) فجر الاسلام ص ٢٧٥

فعل الرضى ذلك أو لم يفعل ، فان موقفهم من الكتاب سيكون واحداً (وتلك شنشنة اعرفها من اخزم) فذرهم ومايفترون.

أقسام المصادر :

تنقسم المصادر التي اعتمدنا عليها في تحقيق نسبة ما في (نهج البلاغة) الى الامام المرتضى أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى أربعة اقسام :

(الأول) مصادر ألفت قبل سنة (٤٠٠) وهي سنة صدور (نهج البلاغة) إلى عالم النشر ولاتزال موجودة إلى اليوم وقد نقلنا عنها مباشرة .

(الثاني) مصادر ألفت قبل صدور (النهج) ولكن نقلنا عنها بالواسطة .

(الثالث) كتب ألفت بعد زمن الشريف ولكنها روت كلام أمير المؤمنين عليه‌السلام باسناد متصلة ولم تمر في طريقها على الرّضى ولا على كتابه.

(الرابع) كتب صدرت بعد الرّضي أيضاً ولكنها نقلت كلام الامام عليه‌السلام بصورة تختلف عما في (النهج) ولم تشر إليه من قريب أو بعيد مما نعتقد معه أنّ مصدرها في النقل غير (نهج البلاغة) .

وإليك أسماء بعض تلك المصادر المشار اليها في القسم الأول والثاني ونرمز الى ما ننقل عنه بالواسطة بحرف (و س) أما المصادر من القسم الثالث والرابع فستطلع عليها في مطاوي هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

وعسى أن اوفق للعثور على مصادر اخرى فاشير إليها في محالها بمعونة الله .

١ - إثبات الوصية لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى عام (٣٣٣أو٣٤٥) ط النجف الاشرف.

٢ - الأخبار الطوال لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى في

حدود سنة (٢٩٠) ط القاهرة سنة ١٩٦٠ تحقيق عبد المنعم عامر والدكتور جمال الدين الشيال .

٣ ــ أخبـار القضاة تأليف وكيع محمد بن خلف بن حيـان بتحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي : ط مصر.

٤ ــ الإختصاص للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى سنة(٤١٣) والمفيد وان توفي بعد الشريف الرضى ولكنا جعلنا جملة من كتبه من مصادر « نهج البلاغة » لأمرين :

أ ــ إنّ المفيد من أساتذة الرّضي وقد جرت العادة أن يأخـذ التلاميذ من مشائخهم ولايأخذ المشايخ من تلامذتهم.

ب ــ إنّ المفيد لم ينقل في كتبه عن (نهج البلاغة) ولا رواية واحـدة بل لم يشر إليه ولا مرة واحدة في كل هذه الكتب التي نقلنا عنهـا ، ولعل اكثرها أولف قبل صدور (النهج) .

٥ ــ اختـلاف اصول المذهب للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد المصري المتوفى سنة ٣٦٣ ، بتحقيق الاستاذ مصطفى غالب ط بيروت ١٣٩٣ هـ

٦ ــ الارشاد للشيخ المفيد ايضاً . ط طهران طبعة حجرية .

٧ ــ أسماء المغتـالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة (٢٤٥).بتحقيق الاستاذ عبد السلام هرون ط القاهرة ١٣٧٤ هـ .

٨ ــ الإشتقاق لابي‌بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) بتحقيق الاستاذ عبد السلام هرون مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٨) .

٩ – إعجاز القرآن لابي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني المتوفى في شوال عام (٣٧٢) طبعة دار المعارف بالقاهرة بتحقيق السيد احمد الصقر .

١٠ – الاغاني لابي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني المتوفى عام (٣٥٦) كما في (روضات الجنات)،أو سنة ثلثمائةونيفاً وستين كما في فهرست ابن النديم. الطبعة الاولى .

١١ – إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة (٣٨٠) .

١٢ – الأمالي لابي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي المتوفى بقرطبة سنة (٣٥٦) . ط دار الكتب المصرية ، القاهرة .

١٣ – الأمالي لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الصيمري المعروف بالزجاجي المتوفى سنة (٣٢٩) ط مصر .

١٤ – الأمالي لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفى (٢٤٥) كما مرّ قريباً .

(و س) :

١٥ – الامالي للصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ابتدأ باملائه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة سبع وستين وثلاثماة ، واملى آخر مجلس منه وهو المجلس السابع والتسعون يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثماة في مشهد الامام الرضا عليه‌السلام .

١٦ – الامالي للشيخ المفيد،وانظر ما قلناه حول مؤلفات المفيد في (الارشاد) ، ويسمى هذا الكتاب بالمجالس ط المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ١٣٦٩ هـ.

١٧ – الامامة والسياسة لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم

ابن عمرو الباهلي الدينوري المتوفى على الاشهر في رجب سنة (٢٧٦) .

١٨ ـ الامتاع والمؤانسة لابي حيان علي بن محمد بن عباس التوحيدي المتوفي في حدود سنة (٣٨٠) ط مصر .

١٩ ـ الامثال للمفضل بن محمد الضبي المتوفى سنة (١٦٨) .

٢٠ ـ أنساب الاشراف لابي جعفر احمد بن يحي بن جابر البغدادي البلاذري المتوفى سنة (٢٧٩) .

٢١ ـ الانصاف في الامامة لابي جعفر محمد بن عبدالرحمن بن‌قبة الرازي، (و س) .

٢٢ ـ الاوائل لابي هلال العسكري فرغ من تأليفه في ١٠ شعبان سنة (٣٩٥) وهي سنة وفاته.

٢٣ ـ البديع لعبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المقتول سنة (٢٩٦) بتحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي ط القاهرة .

٢٤ ـ البصائر والذخائر لابى حيّان التوحيدي بتحقيق الاستاذين احمد امين والسيد صقر لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٣٧٣ هـ

٢٥ ـ بصائر الدرجات لابي جعفر محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة (٢٩٠) هـ . ط تبريز سنة ١٣٨١ .

٢٦ ـ البلدان لابي بكر احمد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه ، وابن الفقيه من أعلام الادباء في أواخر القرن الثالث الف كتاب (البلدان) في الف ورقة بعد موت المعتضد العباسي سنة (٢٧٩) وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٨٥م ، ويرى بعضهم أن كتاب (البلدان) المشهور هو مختصره، والذي اختصره علي بن الحسن الشيزري المتوفى حوالي عام (٤١٣) كما أن ابن الفقيه سلخ كتاب (المسالك والممالك) للجيهاني كما ذكر ذلك ابن النديم في (الفهرست): ص ١٦٤

٢٧ – البيان والتبيين لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى (٢٥٥)هـ ط المطبعة العلمية في القاهرة (١٣١١) هـ .

٢٨ – تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠) ط المطبعة الحسينية في مصر .

٢٩ – تاريخ اليعقوبي لاحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المتوفى سنة (٢٨٤) هـ ط بيروت .

٣٠ – تحف العقول لابي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني المعاصر للشيخ الصدوق . ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : بيروت

٣١ – التصحيف والتحريف لابي احمد الحسن ن عبد الله العسكري من مشايخ الصدوق .

٣٢ – تفسير علي بن هـاشم القمي من أعيان القرن الثـالث ، ط النجف الاشرف .

٣٣ – تفسير العياشى لابي النضر (بالضاد المعجمة) محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي من علماء المائة الثالثة،والموجود من تفسير العيـاشي من اول القرآن الكريم الى آخر سورة الكهف طبع في جزئين في المطبعة العلمية بقم ١٣٨٠ هـ .

٣٤ – تفسير فرات الكوفي وهو الشيخ فرات بن ابراهيم بن فرات يروي فيه عن الحسين بن سعيد الاهوازي صاحب الامـام الرضا عليه السلام ،ط المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف .

٣٥ – التوحيد للشيخ الصدوق (٣٨١) هـ ط ايران .

٣٦ – الجعفريات لاسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام وقـد

يعرف هـذا الكتاب بـ « الأشعثيـات » نسبة الى رواية محمد بن محمد بن الاشعث الكوفي . (و س)

٣٧ ـ الجمع بين الغريبين لابي عبيد احمد بن محمد بن محمد بن ابي عبيـد العبدي الهروي المتوفى سنة (٤٠١) وهذا الكتاب نقلنـا عنه بالواسطة ، واطلعنا على قسم منه مخطوط بخط قديم بالمكتبة الظاهرية بدمشق . ولكنه عاطل من حلية التاريخ . برقم ٥٠ / ١٥٨٨ / لغة .

٣٨ ـ الجمـل لابي مخنف لوط بن يحي الأزدي المتوفى سنة (١٧٥) هـ (و س) .

٣٩ ـ الجمل لابي الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني المتوفى في بغداد سنة (٢٢٥) (و س) .

٤٠ ـ الجمل للشيخ المفيد المتوفى سنة (٤١٣)، واسم هـذا الكتاب « النصرة في حرب البصرة » ، ولكن ذكرناه بأشهر وأخصر أسمائه . ط المطبعة الحيدرية النجف الاشرف ١٣٦٨ .

٤١ ـ الجمل لابي عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدائني الواقدي المولود سنة (١٣٠) والمتوفى ببغداد سنة (٢٠٧) هـ (و س) .

٤٢ ـ جمهرة الامثال لابي هـلال العسكري المتوفى سنة (٣٩٥) . ط القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ بتحقيق الاستاذين محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ومع اختلاف المؤرخين في سنة وفاة ابي هلال العسكري فإنه ممـا لاشك فيه أنه توفى في أواخر القرن الرابع أي قبل صدور (نهج البلاغة).

٤٣ ـ جمهرة الانساب لابي المنـذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى بالكوفة (٢٠٤ أو ٢٠٦) هـ (و س) .

٤٤ ـ حلية الاولياء لابي نعيم عبد الله بن احمـد الاصبهاني المتوفى سنة

(٤٠٢) [١] بعد صدور النهج بعامين ، وقبل موت الرضى بأربع سنوات وانما جعلنا (الحلية) من جملة الكتب التي حققنا عنها بعض المرويات في « النهج » للاحتمال القوي بأنه الف قبل « النهج » اذ لايعقل ان يؤلف هذا الكتاب المتباعد الاطراف بمدة سنتين هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أن كل المرويات في (الحلية) عن أمير المؤمنين عليه السلام رواها أبو نعيم بأسانيد متصلة ، وبصور تختلف عما في « النهج » اما في بعض الالفاظ ، واما بزيادة أو نقصان ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٥١ .

٤٥ ـ الحيوان لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥) هـ .

٤٦ ـ الخصال للشيخ الصدوق (٣٨١) هـ طبعة حجرية : ايران .

٤٧ ـ الخطب لمسعدة بن صدقة وسيأتي الكلام على هذا الكتاب تحت عنوان المؤلفات في كلام امير المؤمنين عليه السلام (و س) .

٤٨ ـ الخوارج لابي الحسن المدائني (و س) .

٤٩ ـ دعائم الاسلام لابي حنيفة النعمان القاضي المصري طبعة اولى القاهرة باشراف الاستاذ آصف بن علي اصغر فيضي.

٥٠ ـ دلائل الامامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي من اعاظم علماء الامامية في القرن الرابع . ط النجف الاشرف ١٣٦٩ هـ.

٥١ ـ ذيل امالي القالي . ط دار الكتب المصرية .

٥٢ ـ الرجال لابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ط بمبيء (١٣١٧) هـ واسم هذا الكتاب (معرفة الناقلين عن الائمة الصادقين) ، وإنما ذكرناه بأشهر اسمائه .

---

(١) يذكر ابن خلكان ان وفاته سنة (٤٣٠) واخذنا برواية نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي في كتابه (نظام الاقوال في احوال الرجال) .

هذا وليعلم أنّ الموجود بأيدي الناس من هـذا الكتاب هو مختصره لابي جعفر الطوسي قدس سره، ولايدري بالأصل أين استقر به النوى ؟ والكشي من تلامذة العياشي فهو من رجال القرن الثالث .

٥٣ ـ رسائل الجاحظ بتحقيق الاستاذ عبد السلام هرون ط القاهرة .

٥٤ ـ الرّسائل للشيخ محمد بن يعقوب الكليني صاحب (الكافي) المتوفى سنة (٣٢٥) (و س) .

٥٥ ـ الروضة للكليني أيضاً ط النجف سنة ١٣٨٥ .

٥٦ ـ الزواجر والمواعظ لابي احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري المتوفى سنة (٣٨٢) (و س)

٥٧ ـ زهد أمير المؤمنين عليه السلام للعياشي (و س) .

٥٨ ـ الزّهد للامام احمد بن حنبل مصورة في مكتبة الامام الحكيم في النجف الاشرف عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

٥٩ ـ الزهد للحسين بن سعيد الاهوازي (و س) .

٦٠ ـ زيادات السقيفة لاحمد بن عبد العزيز الجوهري (و س) .

٦١ ـ السقيفة للجوهري المذكور أيضاً (و س) .

٦٢ ـ الشورى لابي عامر الشعبي (و س) .

٦٣ ـ الشورى لمحمد بن عمر الواقدي (و س) .

٦٤ ـ صحيفة الامام الرضا عليه السلام ط بيروت .

٦٥ ـ الصديق والصداقة لابي حيان التوحيدي المتوفى (٣٨٠) مطبعة الجوائب في الآستانة سنة ١٣٠١هـ .

٦٦ – صفين لابراهيم بن الحسين بن ديزيل المحدّث المتوفى سنة (٢٨١)هـ (و س) .

٦٧ – صفين لابي الحسن المدائني المتوفى سنة (٢٢٥) هـ (و س) .

٦٨ – صفين لعبد العزيز بن يحى الجلودي المتوفى سنة (٣٣٢) هـ (و س) .

٦٩ – صفين لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة (٢٠٢) وهذا الكتاب مرّة ننقل عنه مباشرة من الطبعة التي هي بتحقيق الاستاذ عبدالسلام هرون ، ومرّة نرجع إليه بالواسطة لأن كل نسخ هذا الكتاب سواء المطبوعة في إيران أو بيروت أو مصر ناقصة .

٧٠ – الصناعتين لابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة (٣٩٥) . تحقيق الاستاذين محمد علي البجادي ومحمد أبو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية القاهرة .

٧١ – الطبقات الكبرى لابي عبدالله محمد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي المتوفى ببغداد سنة (٢٣٠) هـ . ط ليدن .

٧٢ – طبقات النحويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة (٣٧٩) تحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم . ط مصر

٧٣ – العقد الفريد لاحمد بن عبد ربه المالكي المتوفى سنة (٣٢٨) المطبعة الازهرية في القاهرة ١٣٢١ .

٧٤ – علل الشرائع للشيخ الصدوق (٣٨١) طبع النجف الاشرف .

٧٥ – عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق أيضاً . طبع قم

٧٦ – عيون الاخبار لابن قتيبة (٢٧٦) هـ طبع دار الكتب المصرية .

٧٧ — الغارات لابراهيم بن هلال الثقفي المتوفى في حدود سنة (٢٨٣) هـ (وس). وقد طبع الكتاب - أخيراً - ونقلنا عنه مباشرة في هذه الطبعة.

٧٨ — غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٣) مخطوط عثرت على نسختين منه احداهما في المكتبة المحمودية في المسجدالنبوي الشريف تاريخها سنة ١١٠٦ والثانية في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة المنورة أيضاً ، وفي آخر هذه الثانية هكذا واتفق فراغ الكاتب من نسخه في شهر ربيع الآخر سنة ست واربعين وخمسمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وعلى هذه النسخة قراءآت وروايات ومقابلات لجملة من العلماء ، ومنها رواية أحمد بن محمد اللخمي في مجالس آخرها يوم الجمعة العشرون من ربيع الاول سنة ست وستين وستماية .

٧٩ — غريب الحديث لابن قتيبة (٢٧٦) هـ (وس) ، توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق في مجلدين برقم (١٥٧١) ونسخة مصورة عنها في مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة في النجف الاشرف.

٨٠ — الغيبة للشيخ محمد بن ابراهيم النعماني المعروف بابن ابي زينب من علماء القرن الثالث . طبعة حجرية : ايران ١٣١٧ .

٨١ — الفاضل لابي العباس المبرد (٢٥٨) تحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمني ط دار الكتب المصرية (١٣٧٥ — ١٩٥٦) .

٨٢ — فتوح البلدان لاحمد بن يحي البلاذري (٢٧٩) .

٨٣ — الفتوح لابي محمد أحمد بن اعثم المتوفى (٣١٤) ، ط حيدر آباد سنة ١٣٨٨ .

٨٤ — الفتوح لابي الحسن علي بن الحسين المدائني (و س) .

٨٥ ـ الفرج بعد الشدة لابي علي المحسن بن ابي القاسم التنوخي المتوفى عام ٣٨٤ ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ .

٨٦ ـ الفضائل للامام احمد بن حنبل (و س) .

٨٧ ـ قرب الاسناد لابي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي المعاصر للامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه ط الحيدرية في النجف.

٨٨ ـ قوت القلوب لابي طالب محمد بن علي بن عطية المكي المتوفى سنة ٣٨٢ / ٣٨٦ طبع القاهرة .

٨٩ ـ الكافي (اصوله وفروعه) للشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام (٣٢٩) . ط دار الكتب الاسلامية : طهران

٩٠ ـ الكامل لابي العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري المشهور بالمبرد ، المتوفى ببغداد سنة (٢٨٥) ط دار العهد الجديد بالقاهرة .

٩١ ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي المتوفى في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ط النجف الاشرف .

٩٢ ـ كتاب ابن دأب وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب المعاصر لموسى الهادي الخليفة العباسي ذكر في هذا الكتاب سبعين خصلة من خصال أمير المؤمنين عليه السلام نقلها الشيخ المفيد عليه الرحمة في (الاختصاص) ص١١٤ بإسناده إلى ابن دأب ، وأوردها العلامة المجلسي في « التاسع من البحار » ص ٤٥٠ . ط كمپاني

٩٣ ـ نقض العثمانية لابي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي المتوفى سنة (٢٤٠) . (و س)

٩٤ ـ مائة كلمة لابي عثمان الجاحظ وسيأتي الكلام عليها مفصلا .

٩٥ ـ المجالس لابي العباس احمد بن يحيى النحوي مولى بني شيبان المعروف بثعلب المتوفى سنة (٢٩١) . (و س).

٩٦ ـ المجتني لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد .(و س)

٩٧ ـ المحاسن لابي جعفر احمد بن خالد البرقي المتوفى سنة (٢٧٤ أو ٢٨٠) . طبع المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف سنة ١٣٨٤ .

٩٨ ـ المحاسن والاضداد لابي عثمان الجاحظ (٢٥٥) . ط القاهرة

٩٩ ـ المحاسن والمساوي لابراهيم بن محمد البيهقي احد اعلام القرن الثالث ط بيروت.

١٠٠ ـ مروج الذهب لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة (٣٣٣ أو ٣٤٥) هـ . ط القاهرة بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

١٠١ ـ المسترشد في الامامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي من أعـلام القرن الرابع ط المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف .

١٠٢ ـ مشاكلة الناس لزمانهم لإبن واضح ط بيروت .

١٠٣ ـ المصون لأبي احمد العسكري من أعــــلام القرن الرابع تحقيق عبد الله هرون طبع الكويت .

١٠٤ ـ المعارف لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦) ط دار الكتب المصرية .

١٠٥ ـ معاني الاخبار للشيخ الصدوق (٢٨١) هـ ط طهران ١٣٧٩.

١٠٦ ـ المعمرون والوصايا ، لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى (٢٥٥) تحقيق الاستاذ عبد المنعم عـــامر دار احياء الكتب العربية ـ بالقاهرة .

١٠٧ ـ مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني المتوفى سنة (٣٥٦) على الاشهر ط القاهرة ، تحقيق السيد احمد الصقر .

١٠٨ ـ المقنعة للشيخ المفيد (و س)

١٠٩ ـ من لايحضره الفقيه للشيخ الصدوق (٣٨١) ط النجف الاشرف بتحقيق الحجة السيد حسن الخرسان .

١١٠ ــ الموشى ، أو الظـــرف والظرفاء لابي الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي المعروف بالوشاء من الادباء في القرن الثالث .

١١١ ــ الموفقيات للزبير بن بكار المتوفى (٢٥٦) ه . تحقيق الدكتور سامي مكي العـــاني ط ١٩٧٢ وقد ننقل عن هذا الكتاب بالواسطة ونشير الى ذلك .

١١٢ ــ المونق لمحمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٧٧ وقد قال ابن النديم عن هذا الكتاب أنه في أكثر من خمسة آلاف ورقة . (وس)

١١٣ ــ الوزراء والكتاب لمحمـــد بن عبدوس بن عبد الجهشياري بالجيم والشين المعجمتين بعد الهاء وانما قيل له : الجهشياري لان اباه كان يخدم علي ابن جهشيار حاجب الموفق العباسي وكان خصيصاً به فنسب اليه توفى مستتراً في بغداد سنة (٣٣١) ط اولى – مصر .

١١٤ ــ الولاة والقضاة لابي عمرو محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة (٣٥٠) ه .ط القاهرة

(وإنّه لفى زبر الأولين)

من مصادر الرضى

وهناك مصادر وروايات صرّح الرّضى بذكرها وهي :

١ ــ البيان والتبيين للجاحظ في ج ٢ : ٧٦.

٢ ــ تاريخ الطبري في ج ٣ : ٢٤٣ .

٣ ــ الجمل للواقدي في ج ٣ : ١٤٩ .

٤ ــ المغازي لسعيد بن يحي الأموي في ج ٣ : ١٥٠ .

٥ ــ المقامات لابي جعفر الاسكافي في ج ٣ : ١٢٢ .

٦ ــ المقتضب للمبرد في ج ٣ : ٢٦٣ .

٧ ـ حكاية ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام في ج ٣ : ١٦٩ .

٨ ـ حكاية ثعلب عن ابن الاعرابي في ج ٣ : ٢٥٧ .

٩ ـ خبر ضرار الضبائي في ج٣ : ١٦٦ .

١٠ ـ رواية ابي جحيفة ج ٣ : ٢٤٤ .

١١ ـ رواية كميل بن زياد النخعي ج ٣ : ١٨٦ .

١٢ ـ رواية مسعدة بن صدقة لخطبة الاشباح عن الصادق جعفر بن محمد كما في نسخة ابن ابي الحديد ، انظر الشرح م : ٢ : ١٣٨ .

١٣ ـ روايتي نوف البكالى في ج ٢ : ١٢٤ و ج ٣ : ١٧٣ .

١٤ ـ ما ذكره ابو عبيد القاسم بن سلام من « غريب الحديث » كما في ج ٣ : ٢١٢ من النهج .

١٥ ـ ماوجد بخط هشام بن الكلبي في ج ٣ : ١٤٨ .

الكتب المؤلفة

في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

(١)

مهما اختلف الناس في شيء من مناقب أمير المؤمنين وفضائله ومميزاته وخصائصه فانهم لايختلفون بأنه إمام الفصحاء وسيد البلغاء وأنّ كلامه أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيه ، وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني [١] وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ،وبكلامه استعان كل واعظ بليغ [٢] .

قال معاوية بن ابي سفيان : والله ما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً أحسن من علي إذا خطب فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره .

وقال الحارث الأعور : والله لقد رأيت علياً ، وإنه ليخطب قاعداً كقائم ، ومحارباً كمسالم .

---

(١) مقدمة الشيخ محمد عبده شرح النهج .

(٢) مقدمة الرضي لنهج البلاغة .

قال العلامة شمس الدين الحنفي الشهير بسبط ابن الجوزي :

« كان علي ينطق بكلام قد حف بالعصمة ، ويتكلم بميزان الحكمة ، كلام القى الله عليه المهابه ، فكل من طرق سمعه راقه فهابه ، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة ، والطلاوة والفصاحة ، لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة ، اعجز الناطقين ، وحاز قصب السبق في السابقين »[1] .

وقال محمد بن طلحة الشافعي :

« الفصاحة تنسب اليه ، والبلاغة تنقل عنه والبراعة تستفاد منه ، وعلم المعاني والبيان غريزة فيه »[2].

وقالوا : إنّ عبد الحميد الكاتب[3] كان في حداثة سنه معلماً بالكوفة ، وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي بن ابي طالب ، فقيل له ما الذي خرّجك في البلاغة ؟ قال حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت[4].

---

(١) التذكرة : ١٢٨ .

(٢) مطالب السؤال ١ / ١٣٧ .

(٣) عبد الحميد بن يحي كان في بادىء امره معلماً بالكوفة ثم تنقل في البلدان واتصل بمروان بن محمد آخر خلفاء بني امية ايام ولاية ارمينية ،وصحبه، وكتب له ، وانقطع اليه ، وكان كاتبه ايام خلافته،وحضر معه جميع وقائعه آخر أمره ولما شعر بزوال ملكه، قال له: قد احتجت ان تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي،فان اعجابهم بأدبك،وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت تنفعني في حياتي،وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي،فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به علي أنفع الامرين لك ، واقبحها بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله عليك ، او اقتل معك وقال :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة   فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره ؟

فلما ظفر به عبد الله بن علي قطع يديه ورجليه .

(٤) امراء البيان لمحمد كرد علي ١ / ٤٥ وشرح إبن ابي الحديد م١ : ٨ .

وتخرج ابن المقفع بخطبه [١]، وما نال محمد بن عبد الملك المعروف بالزاهد الفارقي الحظوة من إقبال النّاس على مواعظه،وانثيالهم على مجلسه ، وتدوينهم لكلامه إلا لأنه كان يحفظ (نهج البلاغة) ويغيّر بعض عباراته فيحسبون أنها من إنشاءه ومبتكراته [٢].

وقال ابن نباتة [٣] « حفظت من الخطابة كنزاً لايزيده الانفاق إلا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب [٤].

وزعم اهل الدواوين أنه لولا كلام علي بن ابي طالب صلوات الله عليه

---

(١) امراء البيان : لمحمد كرد علي : ج ١ ص ١٥٠ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٤ ص ٤٤ . والفارقي توفى سنة ٥٦٤ هـ

(٣) ابن نباته هو ابو يحي عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباته ، كان يلقب بالخطيب المصري رزق السعادة في خطبه ،واتصل بسيف الدولة في حلب وكان سيف الدولة كثير الغزوات ولذلك اكثر ابن نباتة من خطب الحض على الجهاد وقد قارن ابن ابي الحديد بين بعض خطبه في الجهاد وبين خطبة امير المؤمنين عليه السلام « الجهاد باب من ابواب الجنة » وعلق عليها بكلام لطيف سنشير اليه عند تحقيقنا لمصادر تلك الخطبة ان شاء الله تعالى،توفى ابن نباتة سنة(٣٧٤) اي قبل صدور « نهج البلاغة » بست وعشرين سنة فعلى هذا فقد وهم صاحب « صبح الاعشى» ج ٤ : ١٤٦ حيث قال : كان بارعاً في الادب وكان يحفظ « نهج البلاغة» وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها » وتبعه على هذا الوهم بعض الأعلام من المعاصرين ، والذي أوقعهم في هذا الوهم أنه بمجرد ان يقال « بلاغة علي » فترى الذهن يقفز سريعاً الى ما ضمه « نهج البلاغة » بين دفتيه من دون اجالة روية ، او سابق تفكير ، ولاترى شيئاً من المأثورات عنه في غير « النهج » على وفرتها تخطر ببال ، أو تطرأ على ذهن ، وقــد احسن بعض الكتاب اذ عبر عن بلاغة الامام بنهج البلاغة .

(٤) شرح ابن ابي الحديد م ١ : ٨ .

وخطبه وبلاغته في منطقه ما أحسن أحد أن يكتب إلى أمير جند أو والي رعية [1] .

وقال ابن ابي الحديد المعتزلي: « واعلم أننا لايتخالجنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الاولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك لأن فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته يعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ ومركباتها،أما المفردات فان تكون سهلة سلسة ، غير وحشية ولامعقدة ، وألفاظه عليه السلام كلها كذلك ، فأما المركبات فحسن المعنى ، وسرعة وصوله إلى الافهام،واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض . وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون « البديع » من المقابلة والمطابقة ، وحسن التقسيم ، ورد آخر الكلام على صدره، والترصيع والتسهيم ، والتوشيح والمماثلة والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز ، والموازنة والتكافؤ ، والتسميط والمشاكلة ، ولاشبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه ، مبثوثة متفرقة في فرش كلامه عليه السلام ، وليس يوجد هذا الامر في كلام أحد غيره ، فإن كان قد تعملها ، وأعمل رويته في رصفها ونثرها فلقد أتى بالعجب العجاب ، ووجب أن يكون إمام النّاس كلهم في ذلك لأنه ابتكره ولم يعرف من قبله ، وإن كان اقتضبها إبتداءً وفاضت على لسانه مرتجلة وجاش بها طبعه بديهةً من غير روية ولا اعتمال فأعجب وأعجب،وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجليّاً،والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره ، وبحق ما قال معاوية لمحفن الضبي لما قال له:جئتك من عند اعيي الناس : يابن اللخناء ألعلي تقول هذا ؟ ! ! وهل سن الفصاحة لقريش غيره ؟ .

واعلم ان تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب ، وصاحبه

---

(١) سفينة البحار مادة خطب .

منسوب إلى السفه ، وجاحد الامور المعلومة علماً ضرورياً أشدّ سفهاً ممن رام الاستدلال بالادلة النظرية عليها » [1] .

(٢)

لذا ترى أن كلامه عليه السلام حظى بما لم يحظ به كلام غيره من البلغاء من العناية التامة ، والاهتمام البالغ .

فتراهم بين جامع لكلامه ، وراوٍ لخطبه وحافظٍ لاقواله، ومتأثر باسلوبه، وناظم لحكمه [2] .

وبلغ من اهتمام النــاس بكلامه سلام الله عليه ، وشغفهم به ، ان اطلقوا على بعض خطبه أسماء خاصة للتعريف بها ، والتمييز بينها ، مثل (التوحيد، والشقشقية ، والهداية ، والملاحم، واللؤلؤة ، والغراء ، والقاصعة ، والافتخار، والاشباح ، والدرة اليتيمة ، والاقاليم ، والوسيلة ، والطالوتية ، والقصبية ، والنخيلة ، والسلمانية ، والناطقة ، والدامغة ، والفاضحة ، [3]، والمخزون[4]،

---

(١) الشرح م ٢ : ٩٩ .

(٢) تشرفت ذات يوم بمجلس الامام الفقيد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بكربلاء فجرى ذكر ابي الطيب المتنبي ، واظهر احد الحاضرين اعجابه بحكمياته ، فقال الشيخ رحمه الله: « ان المتنبي كثيراً ما يصول على حكم الائمة عليهم السلام ، وخصوصاً حكم امير المؤمنين عليه السلام فيأخذ معانيها ثم ينظمها في اقواله » ثم قال رحمة الله عليه : « خذ مثلا : المتنبي يقول :

والظلم من شيم النفوس فان تجــد ذا عفة فلعــلة لا يظلم .

قال : اخذ هذا من قول علي سلام الله عليه « الظلم من كوامن النفوس القوة تبديه والضعف يخفيه » .

(٣) مناقب آل ابي طالب : ٢ / ٤٧ .

(٤) سفينة البحار مادة خطب .

والمكاييل [1] ، والديباج ، والبالغة : والمنبرية [2]، والزهراء [3]، والمونقة — وهي الخالية من الالف — والعارية عن النقطة [4] .

ولبعض هذه الخطب شروح مستقلة ، تجدها مبثوثة في فهارس الكتب ، وكتب الرجال .

(٣)

ولم يكن الشريف الرضي رحمه الله هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا الأول في تدوينه ، فقد عني الناس به عناية بالغة ، وحظي بما لم يحظ به كلام أحد من البلغاء على كثرتهم في الجاهلية والاسلام ، ودونوه في عصره ، وحفظوه في أيامه ، وكتبوه ساعة القائه .

هذا زيد بن وهب الجهني ، وكان من أصحابه ، وشهد معه بعض مشاهده جمع كتاباً من خطبه سلام الله عليه — كما سيأتي — وهذا الحارث الاعور [5]

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١٥ .

(٢) سفينة البحار مادة خطب .

(٣) العقد الفريد ٢ : ٣٥٧ .

(٤) مناقب آل ابي طالب ٢ : ٧ . ومن المؤسف حقاً ان العارية من النقطة لايوجد منها الا اولها ، ذكره ابن شهر اشوب في المناقب ج ٢ : ٤٨ ، واحال في بقيتها على كتابه « المخزون المكنون في عيون الفنون » واكبر الظن ان هذا الكتاب من الكتب التي عاثت بها يد الزمن ، وقد سألت شيخنا صاحب « الذريعة » عن هذا الكتاب فقال : لا اعرف عنه الا ما ذكره ابن شهراشوب في « المناقب ».

(٥) الحارث بن عبد الله الاعور الهمداني الكوفي صاحب علي عليه السلام ،وكان من المنقطعين اليه ، والمجاهرين بحبه ، وتفضيله على غيره ، وروى عنه ، وأخذ من علومه ، توفي سنة ٦٥ رحمه الله .

دون بعض خطبه ساعة القائها [1] ، وهذا الاصبغ بن نباتة المجاشعي [2] وكان من خاصة امير المؤمنين — روى للناس عهده للاشتر النخعي لما ولاه مصر ، ووصيته لولده محمد بن الحنفية — كما ستعرف ذلك في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وهؤلاء شريح القاضي [3] وكميل بن زياد النخعي [4] ونوف البكالي [5]

---

(١) سفينة البحار مادة خطب : ١ : ٣٩٢.

(٢) الاصبغ بن نباته المجاشعي التميمي الكوفي صاحب علي عليه السلام،ومن شرطة الخميس اخذ عن امير المؤمنين كثيراً ، وعمر بعده حتى توفي في اوائل القرن الثاني رحمه الله .

(٣) هو شريح بن الحارث — على الاصح — يكنى ابا امية ، وكان معدوداً من التابعين رغم انه ادرك الجاهلية ، ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وآله، استعمله عمر على قضاء الكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة ، الا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء ايام فتنة ابن الزبير ثم عـاد يقضي بين الناس الى ايام الحجاج بن يوسف فاستعفاه فاعفاه ، فلزم منزله الى ان مات سنة (٨٧) وكان من المعمرين قيل عاش مائة وثمان سنين ، وقيل مائة وثمانياً وستين ، وأقره علي عليه السلام على القضاء لامور قد لاتخفى على ذوى الدراية واشترط عليه ان لايبرم حكماً الا بعد عرضه عليه ، فكان عليه السلام كثيراً ما ينبهه على اخطائه ، كما هو معروف .

وكان شريح شاعراً محسناً ، مزاحاً خفيف الروح ، وكان سناطاً (لاشعر في وجهه) فكان يقول :«وددت لو أن لي لحية ولو بعشرة آلاف».

وقال الدميري : « يقال : في المثل ان شريحاً أدهى من الثعلب واحيل، ثم ذكر قصة ظريفة تدل على ذلك ليس هذا موضع نقلها انظر مادة (ثعلب) من « حياة الحيوان ».

(٤) كميل بن زياد النخعي اليماني من خواص أصحاب امير المؤمنين عليه السلام وصاحب سره وخريج حوزته عاش الى ايام الحجاج فقتله في حدود سنة « ٨٣ » فكان كما أخبره بذلك امير المؤمنين عليه السلام ودفن بظهر الكوفة « النجف الاشرف » وقبره مزار مشهور .

(٥) نوف بن فضالة البكالي نسبة الى بني بكال ككتاب بطن من حمير ، كان حاجب علي عليه السلام – كما في صحاح الجوهري – ويظهر من الروايات أن له اختصاصاً بأمير المؤمنين عليه السلام ».

وضرار بن ضمرة الضبائي [1] سمعوا بعض كلامه فحفظوه ، ورووه للناس كما سمعوه .

وذكر الجاحظ : أن خطب علي عليه السلام كانت مدونة محفوظة مشهورة .

وقال ابن واضح في كتابه « مشاكلة الناس لزمانهم » ص ١٥ : كان علي ابن ابي طالب عليه السلام مشتغلا أيامه كلها في الحرب إلاأنه لم يلبس ثوباً جديداً، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال [2] إلا ما كان بينبع والبغيبغة [3] مما يتصدق به ، وحفظ الناس عنه الخطب ، فانه خطب بأربعمائة خطبة ، حفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس ، ويستعملونها في خطبهم » .

وأحصى المسعودي ما كان محفوظاً من خطبه عليه السلام ، فقال : « والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانون خطبة »[4].

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي : « أخبرنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني باسناده إلى الشريف المرتضى قال : « وقع إليّ من خطب أمير المؤمنين عليه السلام أربعمائة خطبة » [5] .

---

(١) ضرار بن ضمرة الضبائي مولى ام هاني بنت ابي طالب ، وكان من خواص علي عليه السلام ، طلب اليه معاوية وصف امير المؤمنين عليه السلام فوصفه . وروى بعض كلامه انظر « مروج الذهب » : ج ٤ ص ٤٣٣ .

(٢) اعتقد المال جمعه .

(٣) كذا مهملة في الاصل ولم يتعرض الناشر لضبطها ،وأظنها البغيبغة (بباءين موحدتين وغينين معجمتين وفي الوسط ياء مثناة وفي آخرها هاء) وهي عين بالمدينة عليها نخل كثير لآل الرسول عليهم السلام . فلتحقق .

(٤) مروج الذهب : ٢ : ٤٣١ .

(٥) تذكرة الخواص: ١٢٨ .

وقال القطب الرّاوندي سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول : إني وجدت في مصر مجموعاً من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً [1] .

فهذه نصوص العلماء على اختلاف مذاهبهم وفيهم المتقدم على الرضى بزمان طويل على أن خطب علي عليه السلام كانت مدونة محفوظة مجلدة [2] مشهورة بين الناس معروفة عندهم ، وانها تنيف على اربعمائة وثمانين بينما المذكور منها في « النهج » هو مختار (١٢١) خطبة ومنها مارواه مكرراً لاختلاف الرواية، وهي اقل بكثير مما ذكر .

هذا باستثناء الكلام الجاري مجرى الخطب ، ومن الواضح ان النصوص التي نقلناها آنفاً لايقصد منها الكلام وانما المراد الخطب خاصة .

(٤)

واليك بعض المصنفات في كلامه سلام الله عليه وهي على ضربين :

(الاول) المؤلفات قبل « نهج البلاغة » ، (الثاني) المؤلفات بعده .

أ ـــ المؤلفات قبل النهج

١ ـ خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجمع والاعياد وغيرهما [3] .

لزيد بن وهب الجهني والظاهر أن هذا الكتاب أول كتاب جمع في كلامه عليه السلام لأنّ مؤلفه أدرك الجاهليــة والاسلام ، وأسلم في حيــاة النبي صلى الله عليه وآله ، وهاجر إليه فبلغته وفاته صلى الله عليه وآله وهـــو في الطريق ، فهو معدود من كبار

---

(١) انظر شرح ابن ميثم ج ١ ص١٠١ .

(٢) البيان والتبيين : ١ : ٨٣ .

(٣) اتقان المقال : ١٩٢ .

التابعين ، سكن الكوفة وكان في الجيش الذي كان مع علي والذين ساروا الى الخوارج [1] .

نعم نقول : إنه أول من الف في خطب الإمام عليه السلام لا اول من دونها فانك سترى في مطاوي هذا الكتاب أن جماعة اهتموا بتدوين بعض خطب امير المؤمنين وكلماته ورسائله في حياته سلام الله عليه .

توفى زيد بن وهب سنة ٩٦ هـ [2] .

٢ - خطب امير المؤمنين المروية عن الامام الصادق عليه السلام :

رواه أبو روح فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة عليه السلام وقد وصلت نسخة من هذا الكتاب الى السيد علي بن طاوس عليه الرحمة وكتب عليها بخطه الشريف أنها كتبت بعد المائتين من الهجرة، وحصل هذا الكتاب بعينه عند الشيخ حسن بن سليمان الحلي ونقل عنه في كتابه (منتخب البصائر) خطبة امير المؤمنين الموسومة بالمخزون [3] وعن هذا الكتاب أو الذي بعده نقل الرضى خطبة الاشباح في « نهج البلاغة » [4] .

٣ - خطب امير المؤمنين عليه السلام :

لمسعدة بن صدقة العبدي ومسعدة هذا من علماء الجمهور ، وقد روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وأبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليهم السلام ، له كتب منها كتاب « خطب امير المؤمنين » وكان هذا الكتاب

---

(١) اسد الغابة : ٢ : ٤٢ .

(٢) الاصابة : ١ : ٥٦٧ .

(٣) الذريعة : ٧ / ١٩٠ .

(٤) انظر نهج البلاغة ١ / ١٥٩ .

موجوداً إلى زمن السيد هاشم البحراني المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) هـ ونقل عنه كثيراً في تفسيره (البرهان) وذكره في مقدمة كتابه المذكور .

ويظن بعضهم ان هذا الكتاب ، هو الكتاب المتقدم بعينه [١] .

٤ – كتاب الخطبة الزهراء لامير المؤمنين [٢] :

هذا الكتاب من جملة كتب ابي مخنف لوط بن يحي بن مخنف بن سليم الازدي شيخ اصحاب الاخبار بالكوفة وتوفى سنة (١٥٧) هـ يروى عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام ويروى عنه هشام الكلبي .

وجدّه مخنف بن سليم صحابي شهد الجمل مع امير المؤمنين عليه السلام فاستشهد في تلك الوقعة سنة ٣٦ .

وكان ابو مخنف من اعاظم مؤرخي الشيعة ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري وابن الاثير وغيرهما [٣] .

وقد التبس الامر على بعضهم فعقب كلمة الزهراء بكلمة « عليها السلام » ظناً منه ان الخطبة لفاطمة الزهراء صلوات الله عليها مع أن السياق يقتضي انها لامير المؤمنين عليه السلام فان آخر السند هكذا عن عبد الرحمن بن جندب عن ابيه قال : خطب امير المؤمنين عليه السلام وذكر الخطبة بطولها [٤] . خصوصاً وان الخطبة الزهراء من مشاهير خطبه عليه السلام ذكرها ابن عبد ربه المالكي في « العقد الفريد » واولها : الحمد لله الذي هو كل شيء وبديه ، ومنتهى كل

---

(١) الذريعة : ٧ : ١٩١ .
(٢) فهرست الطوسي ص ١٥٠ .
(٣) الكنى والالقاب : ١٤٨ .
(٤) اتقان المقال ص ٢٢٠ .

شيء ووليه الخ [1] والذي أراه واعتقده انه ذكرها مختصرة كما هي عادته في اكثر مارواه في عقده من كلام امير المؤمنين عليه السلام فانه يذكره امـــا محرفاً أو مبتوراً .

والمولى محمد نجف المشهدي الاخباري العارف المتوفى (١٢٩٢) شرح على هذه الخطبة [2] .

٥ – خطب امير المؤمنين [3] :

مؤلف هـــذا الكتاب اسماعيل بن مهران بن ابي النصر زيد السكوني الكوفي ذكره النجاشي في « الفهرست » وقال : ثقة معتمد عليه ، روى عن جمـــاعة من اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام ، وذكره الكشي في اصحاب الرضا عليه السلام صنف كتبـاً كثيرة منهـا « الملاحم » و « ثواب القرآن » « والاهليلجة » « وصفة المؤمن والكافر » و « خطب امـير المؤمنين » و « النوادر » [4] .

٦ – خطب امير المؤمنين عليه السلام [5] :

للسيد الجليل عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، أحد رجالات أهل البيت العظام وساداتهم الكرام في العلم والعمل ، والإجتهاد والورع ، معلوم العدالة ، معروف بالأمانة مقطوع بوثاقته ، كثير الحديث والرّواية ، وقد سمع من أبي الحسن علي بن موسى

---

(١) العقد الفريد : ج ٢ ص ٣٧٠ .
(٢) الذريعة : ٢ : ٢١٣ .
(٣) فهرست الطوسي : ص ٣٤ .
(٤) فهرست النجاشي : ص ١٩ .
(٥) الذريعة : ٧ : ١٩٠ .

الرضا ، وابي جعفر محمد بن علي الجواد ، وابي الحسن علي بن محمد الهادي عليهم السلام وروى عنهم ، كما روى الكثير من خطب امير المؤمنين ومواعظه ، وكلماته وحكمه ، بأسانيد متصلة ، وستطلع على بعض ذلك في محاله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

والسيد الحسني عظيم المناقب ، جم الفضائل ، وقد الف في احواله غير واحد من العلماء كالشيخ الصدوق رحمه الله ، وسمى كتابه « جامع اخبار عبد العظيم الحسني » [1] وللصاحب بن عباد رسالة في احواله وفضائله [2] .

٧ – خطب علي عليه السلام :

لابراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري [3] ، قال الشيخ الامام آغا بزرك الطهراني رحمه الله :

« هذا الرجل ممن لم يستوف حقه في كتب الرجال ، لا من القدماء ولامن المتأخرين ، حتى أن السيد مؤلف (أعيان الشيعة) اقتصر في ترجمته (ج ٥ ص ١٨٢) على ما نقل مختصراً في النجاشي ، و « الفهرست » في حقّ الرجل ، وأما الفاضل المامقاني فقد حطّ من شأن الرجل فحكم بجهالته ، وقال في آخر ترجمته : « فهو مجهول الحال » :

فنقول : أما جده ظهير الفزاري فكان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كما ذكره الشيخ في رجاله ، وأما والده الحكم بن ظهير كان راوي تفسير

---

(١) فهرست النجاشي : ص ١٩٠ .

(٢) الغدير : ٤ : ٤٦ .

(٣) فهرست الطوسي ص ٢٧ .

اسماعيل السدي [1] الذي توفى (١٢٧) وقد ترجم أبوه الحكم بن ظهير الفزاري في « تهذيب الكمال » بما يظهر منه انه كان من رواة العامة مات قريباً من (١٨٠) وأما ولده إبراهيم بن الحكم فهو في أواخر القرن الثاني ، وهو من أصحابنا جزماً ، وقد صنف لنا كتباً منها هـذا الكتاب (يعني كتاب الخطب المذكور) كما صرّح به الشيخ الطوسي ، والذي يدل على جلالة الرجل هو أخذ مثل يحي بن زكريا بن شيبان عنه ، وروايته في كتابه ، واعتماده على مروياته ، فان النجاشي قال في ترجمته « يحي بن زكريا بن شيبان أبو عبد الله الكندي العلاف ، الشيخ الثقة الصدوق ، لا يطعن عليه » فأي مدح وثناء أعلا من أن يكون أحد شيخاً لمثل هـذا الشيخ الصدوق الذي لايطعن عليه بشيء ، ويكون معتمداً ومعولا عليه عنده ، وإذا كان هذا الرجل معروفاً عند تلاميذه والراوى عنه، مع أنهم كانوا من الموثوقين المعلومين لنا ، فلا يجوز لنا أن نقول « إنّ هذا الرجل مجهول الحال » لأنا علمنا حاله إجمالا ، من جلالة الرواة عنه .

وبالجملة : هذا الرجل هـو من خواص الأصحاب ولايطعن عليه بشيء ولايأخذ إلاّ من الاجلاء لاسيا خطب الوصي عليه السلام ، وظهر أن مؤلف هذا الكتاب من أصحاب اواخر القرن الثاني » [2].

---

(١) السدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، منسوب الى سدة مسجد الكوفة ، وهي ماتبقى من الطاق ، وهو ابو محمد اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الرحمن الكوفي المفسر المشهور، وعن تفسيره يقول السيوطي في (الاتقان) : « امثل التفاسير تفسير اسماعيل السدي) قيل انه أدرك أنس بن مالك ، ورأى الحسين بن علي عليهما السلام، ويطلق هذا اللقب أيضاً على حفيده محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل المذكور ، ويميز بينهما بأن يقال للجد : السدي الكبير ، وللحفيد: السدي الصغير .

(٢) الذريعة ٧ : ١٩١ .

٨ – خطب امير المؤمنين عليه السلام برواية الواقدي :

ابي عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني المتوفى سنة (٢٠٧) ھ ذكره الامام الرّازي في (الذريعة) : ٧ / ١٩١ .

وقال عنه ابن النـديم : « وكان يتشيّع حسن المذهب ، يلزم التقيّة ، وهو الذي روى : أنّ علياً عليه السلام كان من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الاخبار » .

قال : « وكان من أهل المدينة انتقل إلى بغداد وولي القضاء بها للمأمون بعسكر المهدي ، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح ، واختلاف النـاس في الحديث والفقه ، والأحكام والأخبار .

قال محمد بن إسحق قرأت بخط عتيق : خلّف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر [١] كتباً ، كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار ، وقبل ذلك بيع له كتاب بألفي دينار » [٢] .

توفي الواقدي في ١١ ذي الحجـة سنة ٢٠٧ ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران [٣] .

ومما هو جدير بالذكر أن الشريف الرضي ذكر كتاب (الجمل) للواقدي في موضعين من (نهـج البلاغة) وهو من جمـلة المصادر التي ذكرهـا في (النهج) [٤] .

---

(١) القمطر – كهزبر – ما يصان به الكتب قال الشاعر:

ليس بعلم مـا يعى القمطر ما العلم الا ما وعـاه الصدر

(٢) فهرست ابن النـديم : ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر ص ٤١ من هذا الجزء .

٩ — خطب علي عليه السلام :

لابي الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار وكان من علماء الأخبار ، وشيخ أصحاب المغازي والسير ، ألف كتباً حساناً منها كتاب (خطب علي عليه السلام) ولكن مع مزيد الأسف أنّ تلك الكتب أتى عليها الدهر ، ولم يبق منها اليوم سوى كتاب (صفين) وهو ناقص أيضاً ، ومع هذا فيوجد فيه الكثير من خطب الامام وكتبه ووصاياه ، يوافق بعضها بعض ما في (نهج البلاغة) .

وكان نصر مستقيم الطريقة ، صالح الأمر ، قيل : أنه تشرف بالاتصال بأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ، وقيل بأبي جعفر محمد بن علي الجواد سلام الله عليهم ، وكيف كان فإنه من علماء القرن الثاني إذ ذكر ابن النديم: أنه من طبقة ابي مخنف [1] .

وقيل : ان وفاته كانت سنة ٢٠٢ هـ .

١٠ — خطب علي كرم الله وجهه [2] :

وهو كتاب واحد من مائة وخمسين تصنيفاً في مختلف المواضيع الفها شيخ علماء النسب والاخبار والسير والآثار ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (بفتح الكاف وسكون اللام) نسبة إلى كلب بن وبرة قبيلة كبيرة من قضاعة ينسب إليها خلق كثير .

نشأ بالكوفة ، وكان نسابة ، عالماً بأخبار العرب وأيامها ، ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه محمد بن السائب ، وكان محمد هذا من أصحاب

---

(١) الفهرست ص ١٤٣ . وخاتمة مستدرك الوسائل ص ١٨٥ ، وأنظر ما هو نهج البلاغة.
(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

الامامين البـاقر والصادق عليهما السلام ، وكان من علماء الـكوفة في التفسير والأخبار، وأيام الناس، معدوداً في المفسرين والنسّابين توفى سنة (١٤٦)هـ، ولم يخلف إلا كتاباً في تفسير القرآن .

وكان السائب وأخواه عبيد وعبد الرحمن وأبوهم بشر قـد شهدوا الجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام .

فأبو المنذر من بيت معرق بالتشيع والولاء لأهل البيت عليهم السلام ومع هذا لايستبعد من الذهبي اذا لم يدخله بين الحفاظ المشهورين رغم مانقله هو عن ابن خلكان أنه منهم .

ولايستغرب اذا اتحفت آثاره الطافحة بكل ما يحتاج إليه النـــاس من الوجود .

توفى أبو المنذر سنة (٢٠٥ أو ٢٠٦) رحمه الله .

١١ – خطب علي وكتبه الى عماله[١] :

لابي الحسن علي بن محمد المدائني ، الشيخ المتقدم الخبير الماهر ، صاحب التصانيف الكثيرة ، منها (خطب النبي) صلى الله عليه وآله وسلم . وكتـاب (خطب علي وكتبه الى عماله) وكتاب (من قتل من الطالبين) وكتاب (الفاطميات).

توفى ببغداد سنة (٢٢٥) وقد بلغ التسعين [٢] .

١٢ – خطب امير المؤمنين عليه السلام :

لصالح بن حماد الرازي صحب أبا الحسن العسكري صلوات الله عليه فعليه يكون من رجـال المائة الثـالثة ، له كتب منها (خطب امـــير المؤمنين عليه السلام) [٣] .

---

(١) فهرست ابن النديم ص ١٥٥.
(٢) الكنى والالقاب ٣ : ١٣٩ .
(٣) فهرست النجاشي ص ١٤٨ .

١٣ – مائة كلمة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب :

اختارها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، واختار الشريف الرضى جملة منهـا واثبتها في (النهج) كما سنشير إليه في موضعه ، ورواها الخطيب الخوارزمي في (المناقب) بسنده عن ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، قال : « قال ابو الفضل أحمد بن ابي طاهر صاحب ابي عثمان الجاحظ : كان الجاحظ يقول لنـا زماناً : إنّ لأمير المؤمنين علي ابن ابي طالب مائة كلمة كل كلمة منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب ، قال : وكنت اسأله دهراً بعيداً أن يجمعها لي ، ويمليها علي ، وكان يعدني بها ، ويتغافل عنها ، ضناً بها ، قال : فلما كان آخر عمره أخرج جملة الكلمات المائة هذه ثم ذكرها .

وروى هذا في (الحدائق الوردية) عن كتاب « جـلاء الابصار » عن الحاكم باسناده إلى ابي طاهر صاحب ابي عثمان الجاحظ أيضاً [١] .

وقال ابن الصبّاغ المالكى عنها في (الفصول المهمة) « كل كلمة منهـا بألف كلمة » .

وقد ازرى ابو الفتح الآمدي على الجاحظ لاقتصاره على هذه المائة إذ أنها بعض من كل ، وطل من وبل – على حد تعبيره – ودعـاه ذلك الى تأليف كتابه (غرر الحكم ودرر الكلم) كما سيأتي .

واقتدى بالجاحظ جماعة من العلماء فاختار كل واحد منهم مـائة كلمة من كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، واختار بعضهم مائتي كلمة رتبها على حروف الهجاء كما سيأتي في امكنته من هذا الباب .

ونظمها رشيد الدين الوطواط فجعل كل كلمة منها في رباعية فارسية وسمى

---

(١) مستدرك نهج البلاغة ص ٤٧ .

ذلك (مطلوب كل طالب من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب) وسنذكر ذلك تحت عنوان خاص .

ونظم بعضهم منها ثمان وتسعين كلمة ، وجعل كل كلمة في بيت من الشعر الفارسي ، يوجد ذلك في مجموعة تاريخ كتابتها سنة (١٠٧٧) هـ عند الشيخ مرتضى حفيد الميرزا محمـــد علي الرشتي ، كما ذكر ذلك شيخنا الطهراني في حرف النون من « الذريعة » (غير المطبوع) .

وهناك عناوين في « الذريعة » باسم « صد كلمه » أو « نظم صد كلمه » أو ترجمة « صد كلمه » منها لعبد الرحمن بن احمد الرشتي الشهير بجـــامي المتوفى سنة (٨٩٨) هـ ومنها لدرويش أشرف نظمها سنة (٨٦٨) ،ومنها للشاعر الملقب في شعره بعادل،وغيرها لشعراء مجهولين وكلها باللغة الفارسية، ولايدرى هل أن هذه التراجم وهذا النظيم للمائة التي اختارها الجاحظ ، أو لغيرها من كلامه صلوات الله عليه .

وقد طبعت هذه المائة المختارة مراراً منفردة ومنظمة الىغيرها من الكتب في الآستانة وصيدا وإيران .

كما توجد منها نسخ خطية تختلفتواريخ نسخها في غيرواحدة من المكتبات الخاصة والعامة ، منها عـــدة نسخ في مكتبة المتحف العراقي وأجمل نسخ المتحف نسخة برقم (٢٠٨) تاريخها كما في آخرها (٩٣٨) هجرية وهيبخط السيد عارف الحسني ، وتمتاز بأنها مترجمة الى الفـارسية نثراً اولا ، ونظماً ثانياً ، ومرقمة كتـابة ، مثلا : الكلمة السابعة مكتوبة بمـاء مذهب (المرأ مخبوء تحت لسانه) كتبت بخط واضح جميل ثم يضرب بعد ذلك بخـط ، ثم يضع بعد ذلك عنواناً مكتوباً بحبر ازرق : معنى الكلمة بالنثر ، ثم ينثرهـا باللغة الفـارسية ثم يضع عنواناً بالحمـــرة معنى الكلمة بالنظم ثم ينظمهـا في رباعية وهكذا .

ووجدت أيضاً عـدّة نسخ من هذه « المـائة » في مكتبة شيخ الاسلام

عارف حكمت في المدينة المنورة ، وبعضها محلى بالذهب ومنها نسخة تاريخها (٩١٢) ، ونسخة اخرى ومعها شرحها منظوماً باللغة التركية .

والكلمات (المائة) هذه نقلها بكاملها الثعالبي في (الايجاز والاعجاز): ص ٢٨ والخوارزمي في آخر كتاب المناقب .

١٤ - رسائل أمير المؤمنين عليه السلام واخباره وحروبه [١] :

لابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن مسعود الثقفي الكوفي وسعد بن مسعود هذا أخو أبي عبيد بن مسعود (والد المختار الثقفي رحمه الله) ولاه أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن وهو الذي لجأ إليه الحسن عليه السلام يوم ساباط .

وكان ابراهيم قد نشأ بالكوفة ثم انتقل إلى إصبهان ، فأقام بها ، وكان السبب في انتقاله أنه الف كتاب (المعرفة) وفيه المناقب المشهورة والمثالب المعروفة ، فاستعظمه الكوفيون واشاروا عليه بأن يتركه ولايخرجه ، فقال: أي البلاد أبعد من الشيعة ؟ قالوا : إصبهان فحلف أن لايروى الكتاب هذا إلا فيها ، فانتقل إليها ورواه هناك ، وكان في أول أمره زيدياً ثم انتقل وقال بالامامة [٢] .

ولابراهيم مصنفات كثيرة منها كتاب (رسائل أمير المؤمنين وحروبه) وتوفى سنة (٢٨٣) .[٣] .

١٥ - الخطب المعربات [٤] :

لابراهيم الثقفى المذكور قبل هذا العنوان، وقد ذكر العلامة الخبير السيد

---

(١) الفهرست للطوسي: ٢٧ .

(٢) تأسيس الشيعة : ٢٤١.

(٣) نفس المصدر : ٣٣٠ .

(٤) ماهو نهج البلاغة : ٤٣ .

هبة الدين عن النجاشي : « ان هذا الكتاب من جملة المؤلفات في كلام امير المؤمنين عليه السلام » ولاتدل عبارة النجاشي على ذلك ، ولعله رحمه الله رأى ما يدل على ذلك عند غير النجاشي ، او اعتمد في هذا الرأي على قرينة اخرى .

وقد يسمى هذا الكتاب بالخطب المقريات (بالقاف بعد الميم والمثناة التحتانية بعد الراء) .

وذكر السيد رحمه الله أيضاً ما حاصله : إنّ لابراهيم هذا كتاباً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى وبعد الرجوع الى فهرستي الطوسي والنجاشي وجدت اسم الكتاب هكذا (كتاب الشورى) [1] والظاهر من اسم الكتاب أنه في أخبار الشّورى عامة لا في خصوص كلامه عليه السلام ، ولعل السيد رحمه الله عثر على ذلك في غير هذين الكتابين ،فهو خرّيت هذه الصّناعة ، واستاذ هذا الفن .

١٦ — خطب امير المؤمنين عليه السلام :

لابي إسحق إبراهيم بن سليمان بن عبيد الله بن خالد الخزّاز الكوفي النهمي (نسبة الى نهم بطن من همدان) يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط آخرهم حميد بن زياد المتوفى سنة (٣١٠) فيظهر أن النهمي كان في أواخر القرن الثالث ، ذكره النجاشي بعنوان الخطب مطلقاً ، لكن السيد هبة الدين رحمه الله قيّده في ص ٢٧ في كتاب (ما هو نهج البلاغة) ؟ بأنه لامير المؤمنين وهو الظاهر ، حيث لم يعلم من النهمي كونه ممن ينشأ الخطب من نفسه [2] .

---

(١) الفهرست ص ٢٧ .

(٢) الذريعة ٧ : ١٨٣و١٨٨ .

١٧ – خطب امير المؤمنين عليه السلام مع شرحها :

للقاضي النعمان المصري المتوفى سنة (٣٦٣) عده الدكتور محمد كامل حسين من تصانيفه في مقدمة كتابه « الهمة في معرفة الأئمة » وكان من المعمرين لأنه اتصل بالخليفه الفاطمي المهدي الذي ملك مصر سنة (٢٩٦) فتكون ولادته في حدود سنة (٢٧٠) تقريباً ، وتأليفه لهذا الشرح سنة (٣١٠) فيكون تأليفه قبل ولادة الرّضى التي كانت في سنة (٣٥٩) بما يقرب من نصف قرن فلا يصح أن يعد هذا الكتاب من شروح (نهج البلاغة) كما صدر عن البعض [١] .

والقاضي النعمان من المكثرين من التصنيف في آثار أهل البيت عليهم السلام وكان إمامياً أظهر الحق في تصانيفه وراء ستار التقية كما يقول المجلسي في مقدمة (البحار) وتبعه في ذلك الشيخ النوري عند كلامه عن كتاب (دعائم الاسلام) في خاتمة (مستدرك الوسائل) .

١٨ – خطب أمير المؤمنين عليه السلام :

●

١٩ – مواعظ علي عليه السلام :

●

٢٠ – رسائل علي عليه السلام [٢] :

●

٢١ – كلام علي عليه السلام :

---

(١) الذريعة ١٣ : ٢٠٩ .

(٢) الفهرست للنجاشي ١٦٦.

٢٢ - الملاحم [١] :

هذه الكتب كلها مجموعة من كلام علي عليه‌السلام ألفها الشيخ عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري المتوفى سنة (٣٣٢) وهو من أكابر علماء الإماميّة ، والرواة للآثار والسير « عدد له علماء الرجال ما ينيف على مائتي كتاب بل ما يقرب من ثلثمائة كتاب كلها من عجائب الكتب ، منها أربعون كتاباً فيما يتعلق بخصوص أمير المؤمنين عليه‌السلام من غزواته مع النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وحروبه من الجمل وصفين والغارات والحكمين ، وبني ناجية ، وما نزل في الخمسة ، وتزويج فاطمة ، ومن أحبه ومن أبغضه ، ومن سبّه من الخلفاء وكتاب التفسير عنه ، ومانزل من القرآن في خصوصه ، وكتاب شعره وكتاب خطبه وخلافته وعماله وولاته ، والشورى ، وما كان بينه وبين عثمان ، وقضائه ورسائله ، ومن روى عنه من الصحابة ، وكتاب شيعته ، ومن مال بعده أفرد لكلّ من هذه المذكورات كتاباً ، ثم على مثل هذا ألف في كل واحد من أهل البيت كتاباً ، كتاب في ذكر خديجة ، كتاب في ذكر فاطمة عليها السلام ، كتاب في ذكر الحسن عليه‌السلام ، كتاب في ذكر الحسين عليه‌السلام ، كتاب مقتل الحسين ، وله عشرات من الكتب تتعلق بعبد الله بن عباس ، كتاب التفسير عنه ، تفسيره عن الصحابة ، الناسخ والمنسوخ عنه ، ما اسنده عن الصحابة ، مارواه من رأي الصحابة ، كتاب أخبار علي بن الحسين عليه‌السلام ، أخبار محمد الباقر عليه‌السلام ، أخبار زيد بن علي ، أخبار محمد بن الحنفية ، أخبار العباس بن عبد المطلب ، أخبار جعفر بن أبي طالب ، أخبار ام هاني ، اخبار عبدالله ابن جعفر ، أخبار المهدي ، أخبار محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، ثم بقية كتبه في سائر العلوم وأحوال سائر الامم عامة والعرب خاصة ، والشعراء على الأخص » [٢] .

---

(١) فهرست النجاشي : ١٦٦ .

(٢) المراجعات الريحانية للإمام كاشف الغطاء : ٢٨ و ٢٩ .

ولم تحفظ لنا الأيام من تلك الآثار سوى اسمائها في كتب الفهارس وماينقل عنها في بعض كتب الأخبار مع مزيد الأسف .

وينقل السيد ابن طاووس عن (كتاب خطب امير المؤمنين) للجلودي في كتاب (محاسبة النفس) كما في مواطن عديدة من (بحار الانوار) .

ب ـ المؤلفات بعد النهج

لقد أحطت بما عرضناه عليك قبل هذا بأسماء المؤلفات المفردة في كلام علي عليه‌السلام من صدر الاسلام الى زمن ابي الحسن الرضي رضوان الله عليه ، ولعلّ ما شذ عنّا أكثر مما حصل إلينا .

وإليك طائفة اخرى من المؤلفات بعد ذلك الزمن علماً بأن اكثر محتويات ما بقي بأيدي الناس اليوم من هذه الاسفار تتفق صور الروايات فيها مع (النهج) تارة ، وتختلف عنه تارة اخرى مما نقطع معه أن مستقى اكثرهم غير (نهج البلاغة) ورواتهم غير الشريف الرضي .

٢٣ ـ دستور معالم الحكم ، ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب :

لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي القضاعي صاحب (الشهاب) المتوفى بمصر ليلة الخميس السادسة عشرة من ذي القعدة سنة أربع وخمسين واربعمائة ، ذكره ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، وقال : « روى عنه ابو عبد الله الحميدي وتولى القضاء بمصر » [١] .

قال القضاعي في مقدمة كتابه هذا : « اني لما جمعت من حديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ألف كلمة ومائتي كلمة في الوصايا والأمثال ، والحكم والآداب ،

---

(١) ابن خلكان ٣ : ٢٤٩.

وضمنتها كتاباً سميته (الشهاب) سألني بعض الاخوان أن اجمع من كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه نحواً من عدد الكلمات المذكورة ، وان أعتمد في ذلك على ما أرويه ، وأجده في مصنف من أثق به وأرتضيه، وأن أجعله مسروداً بحذف الأسانيد كفعلي في كتـاب (الشهاب) فاستخرت الله جلت قدرته ، وجمعت من كلامه وبلاغته ، وحكمه وعظاته ، وآدابه وجواباته ، وأدعيته ومناجاته ، والمحفوظ من شعره وتمثيلاته ، تسعة أبواب منوعـة أنواعاً » [1] ثم ذكر الابواب .

عثر على نسخة من هذا الكتاب الاستاذ جميل العظم منمقة بقـلم القاضي عزّ القضاة أبي عبد الله محمد بن ابي الفتح منصور بن خليفة بن منهال ، من جهابذة القرن السادس ، فرغ من كتابتها يوم الاربعاء ثامن ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة منقولة من نسخة عليها خط الشريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن إسمـاعيل الحسيني الزيدي راوي الكتاب عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي عن مؤلفه ، وعليها صور سماعات واجازات لجملة من العلماء ، فقدم له مقدّمة موجزة لطيفة ، وطبعه بمصر سنة ١٣٣٢ هـ كما طبع عليه تلك السماعات والرّوايات .

وقد وقع بي البحث على نسخة خطيّة من هذا الكتاب الجليل في (٧٢) صفحة من القطع الكبير وجدتها عند الحاج ابراهيم عبد الهـادي غفوري من تجار بغداد المولعين بجمع النوادر من المخطوطات ، وهي بخط عـلاء الدين بن نعمان بن محمود الآلوسي البغدادي فرغ من كتابتها — كما في آخرها : الساعة الخامسة من ليلة الاثنين لعشر خلون من شهر شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة والف بالقسطنطينية وهي بخط واضح ، خال من الأغلاط إلاّ ماندر ، وقد قابلتها مع مطبوعة العظم فوجدتها لاتختلف عنها بقليل ولا بكثير : إلا أن

---

(١) ص ١٣ .

نسخة الآلوسي كثيراً ما يجيء فيها كلمة (كرّم الله وجهه) بدل (عليه السلام) في بعض المواضع، وسقوط كلمات من المخطوطة ترك الناسخ بياضا في أمكنتها، فاعدت الكلمات الساقطة من المخطوطة بطلب من مالكها.

ومخطوطة الآلوسي هذه بغاية الضبط والدّقة والجمال، وقد جعل عناوين لبعض الكلمات بالحمرة، كما وضع لها فهرساً جميلاً.

والقاضي القضاعي فقيه شافعي — على المشهور — وقد يظنّ به التشيع لأدلةٍ وقرائن ذكرها الشيخ النوري — نورالله ضريحه — في (خاتمة مستدرك الوسائل): ج ٣ ص ٣٦٧ ليس هذا موضع ذكرها، مضافاً إلى أنه كان يكتب لنجيب الدولة الجـره جرائي [١] وزير الظاهر لإعزاز دين الله الخليفة السابع من الخلفاء الفاطميين بمصر [٢].

وللقضاعي عدة تصانيف، منها: كتاب (الأنباء عن الانبياء) (وتواريخ الخلفاء) و (خطط مصر) ومن أشهرها كتاب (شهاب الاخبار) جمع فيه من جوامع كلام النبي ﷺ ألف ومائتي كلمة، وللعلماء شروح كثيرة على هذا الكتاب مذكورة في محالها. وقد جمع الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر الأصبهاني من أكابر علماء الامامية بين (شهاب النبي) و (دستور الوصي) في كتاب واحد سماه (مجمع البحرين ومطلع السعادتين) وهو اسم على مسمى.

---

(١) الجره جرائي هو ابو القاسم علي بن احمد وزير ابي هاشم علي الظاهر الفاطمي، وكان أقطع اليدين من المرفقين — قال ابن خلكان — قطعهما الحاكم —والد الظاهر — في شهر ربيع الآخر سنة (٤٠٤) وكان يتولى بعض الدواوين فظهرت عليه خيانة قطع بسببها، ثم بعد ذلك ولي ديوان النفقات للظاهر سنة (٤١٨) ولما استوزر كان يكتب عنه القضاعي.

(٢) الظاهر لإعزاز دين الله علي بن المنصور توفى في منتصف شعبان سنة (٤٢٧).

٢٤ – كلام علي عليه السلام وخطبه :

لابي العباس يعقوب بن احمد الصيمري جمعه في كلام علي (ع) وخطبه ونقل عنه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) في المجلد الثالث ص ٤١٠.

وليس بين يدي الآن من كتب التراجم ما اهتدى به الى معرفة ابي العباس هذا وتاريخ وفاته .

٢٥ – عيون الحكم والمواعظ وذخيرة المتعظ والواعظ [١] :

للشيخ علي بن محمد بن شاكر المؤدب الليثي الواسطي ، كان فراغه من تأليفه سنة (٤٥٧) رتبه على ثلاثين باباً على ترتيب الحروف ، وباب الثلاثين ذكر فيه مختصرات من كلامه عليه السلام في التوحيد والوصايا ومذمة الدنيا، والأدعية والمكاتبات وباقي الأبواب مقصورة على الحكم والمواعظ من كلامه عليه السلام[٢].

وقال عنه الشيخ المجلسي رحمه الله : « استنسخناه من أصل قديم في المواعظ وذكر الموت وهو خمسمائة وثمان وثمانون حكمة »[٣] يعني بهذا الكلمات القصار ما عدا الخطب والمواعظ ، والعهود والوصايا والأدعية والمراسلات .

هذا ومن البعد بمكان ما قاله سيدنا ابومحمد الحسن الصدر أعلى الله مقامه: « ويشتمل هذا الكتاب على جميع كتاب (غرر الحكم) للآمدي، وزاد عليه كثيراً من حكم أمير المؤمنين التي لم يعثر عليها الآمدي، جمعها من عدة كتب ككتاب (منثور الحكم) لابن الجوزي ...» الخ [٤] لتقدم صاحب (العيون) على ابن الجوزي والآمدي ايضاً ، لأن ابن شاكر فرغ من تأليف (العيون) سنة (٤٥٧) كما ذكر ذلك السيد الصدر نفسه ، والآمدي من مشايخ ابن

---

(١) اعيان الشيعة ج ٣٩ : ١٩١ .
(٢) تأسيس الشيعة ٤٢٠ .
(٣) البحار ١٧ : ١٥٦ ، ط تبريز .
(٤) تأسيس الشيعة ٤٢٠ .

شهر اشوب المتوفى عام (٥٨٨) وابو ابن الفرج الجوزي توفى سنة (٥٩٧) وأظن أن السيد الصدر تابع بهذا الشيخ المجلسي [١] فانه ذكر ذلك في مقدمة (البحار) وسبحان من لم يعتوره سهو ولانسيان .

وأظنّ قوياً أنّ هذا الاشتباه وقع بسبب الكتاب المشارك لكتاب ابن شاكر بالتسمية والموضوع كما سيأتي برقم (٣٣) إن شاء الله .

وقد أخبرني العلامة الباحث الشيخ محمد باقر المحمودي مؤلف (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) أن هذا الكتاب مطبوع قديماً وأن نسخة منه توجد في مكتبة مدرسة المروي بطهران وأن صاحب (ناسخ التواريخ) نقل هذا الكتاب جميعه في المجلد الخاص بأمير المؤمنين عليه السلام غير أنه لم يشر إلى ذلك .

٢٦ – خطب علي بن ابي طالب لابن المديني [٢] :

هذا الكتاب لابي موسى محمد بن ابي بكر احمد بن عمر الاصبهاني الحافظ المشهور، المعروف بابن المديني صاحب المؤلفات العديدة التي منها (خطب علي) عليه السلام و (المغيث) وهو تكملة لكتاب (الجمع بين الغريبين) للهروي ، وله ذيل على كتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه (الانساب) .

رحل ابن المديني عن إصبهان في طلب الحديث . ثم عاد اليها ، واقام بها حتى توفى سنة (٥٨١) .

والمديني نسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وآله ، وعدة مدن اخرى منها مدينة اصبهان وهي المراد هنا [٣] .

---

(١) انظر الجزء الاول من البحار ص ٣٤ من الطبعة الجديدة .
(٢) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ١ / ٤٣١ .
(٣) الكنى والالقاب : ٣ / ١٤٠ .

٢٧ — نثر اللآلیء :

للشيخ الامــام أمين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المفسر المشهور المتوفى سنة (٥٤٨) ، رتّبه على حروف الهجاء .

وقال في المقدمة : « أما بعد ، فهذا كتاب « نثر اللئالیء » من كلام امير المؤمنين ، وامام المتقين ، ويعسوب الدين ، وخليفة رسول رب العــالمين ، أسد الله الغالب ، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام على ترتيب حروف الهجاء » ، ثم قال : « حرف الالف : « إيمان المرأ يعرف بأيمــانه » وآخر كلمة اختارها قوله عليه السلام : (يأس القلب راحة النفس)».

هذا ما شاهدته أنا في النسخة المطبوعة على الحجر بايران سنة (١٣١٢)هـ، في مجموعــة تحتوي على « أربعــين الشهيد الاول » و « أربعين مير فيض الله الحسيني » وقد ذكر شيخنا الامام الرازي في « الذريعة » (في القسم غـــير المطبوع):أنه توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة السيد ابي محمد الصدر رحمــه الله بالكاظمية ، ونسخة في موقوفة الحاج مولى نوروز عــلي البسطامي بالمشهد الرضوي وآخر مــــا فيها من حرف الياء قوله عليه السلام : « يبلغ المرأ بالصدق إلى منازل الكبار » وذكر ايضاً : « ان نسخة من هذا الكتاب عند الشيخ هادي كاشف الغطاء واولها : (ايمان المرأ يعرف بأيمانه) وآخر كلمة فيها : (يسعد الرجل بصاحبه السعيد) ، قال : وطبع مع الترجمة الفارسية في اجزاء مجلة (الدعوة الاسلامية) ومع (الاثنى عشرية في المواعظ العددية). وذكر ايضاً : ان الشاعر الاديب المتخلص بعـــادل نظم (نثر اللئالى) في خمسماة بيت وسماه (نظم اللئالى في نظم نثر اللئالیء) .

وتوجد نسخة من هذا الكتاب بمكتبة الكونغرس في واشنطن في (١٧) ورقة ، وهي نسخة جميلة جداً مذهبة وآخر ما فيهــــا من حرف الياء : « يسعد الرجل بصاحبه الرجل السعيد » .

ذكر ذلك الدكتور صلاح الدين المنجـد في (فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الكونغرس) : ص ٤٧ وخفي عليه اسم مؤلف الكتاب .

٢٨ — نثر اللآلىء :

لفخر المعالي الامام عزّ الدين علي بن السيد الامام ضياء الدين ابي الرّضا فضل الله بن علي بن هبة الله الحسني الراوندي ، كما ذكره معاصره منتخب الدين ، وقال العلامة المجلسي في السابع عشر من (البحـــار) في أول باب جوامع كلام الامير : « وقد جمع بعض علمائنا كلماته في كتاب « نثر اللآلىء» ا هـ ، ولعلّ مراده هــذا ، جمع فيه الكلمات القصار لامير المؤمنين عليه السلام بترتيب حروف الهجاء أوله « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين هذا كتاب « نثر اللآلىء » الخ كذا ذكره في« كشف الحجب » وفي « دار الكتب المصرية » نسخـة من « نـثر اللآلىء » في جمع كلمات الامـير عليه السلام بترتيب الحروف مكتوبة بالمداد الابيض على الذهب ، قال عنهـا شيخنا الامـام الرازي رحمه الله « ولا أدري انهـا للراوندي أو الطبرسي ؟ وهي مخرومة من آخرها » [1] .

٢٩ — مطلوب كلّ طالب من كلام علي بن ابي طالب :

تأليف محمد بن عبد الجليـل العمري البلخي المعروف بالرّشيد الوطواط المتوفى بخوارزم شاه سنة (٥٥٣) هـ . وكان من أفاضل أهل زمانه في النظم والنثر ، وأعلمهم بدقائق كلام العرب ، واسرار النحو والأدب ، وكان كاتباً للسلطان خوارزم شاه الهندي .

واذا كان (مطلوب كل طالب) هذا الكتيب المطبوع، والمنتشر في أيدي

---

(١) الذريعة حرف اللام القسم المخطوط ، وتوجد نسخة من (نثر اللآلىء) في مكتبةعارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣٢) أخلاق ومواعظ .

الناس فليس هو إلّا شرح للمائة المختــارة التي جمعها الجــاحظ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أخــذها الوطواط فشرحها نظماً باللغــة الفارسية ، غير أن ياقوت الحموي ذكر من جملة مؤلفات الوطواط (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب) [1] ولعلّ هنالك كتاباً آخر غير هذا الكتيب المشهور ، وقد أشرنا إليه عند الكلام على المائة التي جمعها الجاحظ وفي (كشف الظنون) ١ : ٦٧٧ ما يشعر أنها مائة فحسب ومن مؤلفات الوطواط (غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة) وقد يسمى بـ (الغرر والعرر) روماً للاختصار ، و (حقائق السحر في دقائق الشعر) وغير ذلك.

ومن شعر الوطواط في مدح أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

لقد تجمع في الهادي أبي حسن ماقد تجمع في الأصحاب من حسن

٣٠ – غرر الحكم ودرر الكلم :

لأبي الفتح ناصح الدين عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي فاضل عالم محدث ، ومن مشايخ ابن شهر اشوب في الرواية ، فقــد قال في مقدمة « المناقب » في أثنــاء تعداد كتب الخــاصة : وقد أذن لي الآمدي في رواية « غرر الحكم » [2] :

وقد تضمن هذا الكتاب من حكم أمير المؤمنين وكلماته القصار ما لم يحتو عليه كتاب، وذكر في مقدمته السبب الذي حداه على تأليف الكتاب فقال: « فإنّ الذي حداني على تخصيص فوائد هذا الكتاب وتعليقها ، وجمع كلمه وتنميقها ما تبجح به' أبو عثمان الجاحظ عن نفسه وعدده ، وزبره في طرسه وحدده في المائة من الحكمة الشاردة عن الأسماع ، الجامعة لانواع الانتفاع ، التي جمعها عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، فقلت :

---

(١) معجم الادباء ١٩/٢٩ ، والكنى والألقاب ٢ : ٢٤٣ .

(٢) المناقب : ١/١٢ ط ٢ .

ياالله للعجب ! من هذا الرجل وهو علامة زمانه، ووحيد أقرانه، مع تقدمه في العلم ، وتسنمه ذروة الفهم ، وقربه من الصّدر الأول ، وضربه في الفضل بالقدح الأفضل، والقصد الأجزل ، كيف عشى عن البدر المنير، ورضي عن الكثير باليسير ؟ وهل ذلك إلا بعض من كلّ ، وطل من وبل ، وإنيّ مع كسوف البال ، والقصور عن رتبة الكمال ، والإعتراف بالعجز عن إدراك شأو الأفاضل ، من الصدور الأوائل ، وقصوري عن الجري في ميدانهم ، ونقص وزني عن أوزانهم ، جمعت يسيراً من قصير حكمه ، وقليلا من خطير كلمه ، يخرس البلغاء عن مساجلته ، ويبلس الحكماء عن مشاكلته ، وما أنا في ذلك – علم الله – إلا كالمغترف من البحر بكفه ، والمعترف بالتقصير وإن بالغ في وصفه ، وكيف لا وهو عليه السلام الشارب من الينبوع النبوي ، والحاوي بين جنبيه العلم اللاهوتي إذ يقول صلوات الله عليه وآله وقوله الحق ، وكلامه الصدق على ما أدته إلينا الأئمة النقلة : (إن بين جنبي لعلماً جماً لو أصبت له حملة) وقد جعلت أسانيده محذوفة ، ورتبته على حروفه وجعلت ما توافق في أواخر حكمه ، وتطابق من خواتم كلمه متجمعاً مقرناً لكونه أوقع بسماع الآذان ، وأوقر في القلوب والأذهان ، ... الخ »[1] .

ويظهر بأدنى تدبر لمن نظر في المقدمة والكتاب أنّ الآمدي نثل ما استجمع في كنانته من صوائب حكم أمير المؤمنين ثم نظمها على الحالة التي أراد أن يكون عليها نظم كتابه .

وطبع الكتاب مرات عديدة ، في الهند وسوريا والعراق ، وهو منتشر مبذول لطالبه ، وأخيراً عثرت على نسخة مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٣١ باسم غرر الحكم وهي أقل من عشر الكتاب وقد علق عليها الشيخ جمال الدين القاسمي عالم الشام المشهور وكان قد اختارها من هذا الكتاب ولكنها طبعت باسم غرر الحكم. وإني لأخشى أن يأتي زمن فيقال: إن هذه الوريقات هي أصل الكتاب والباقي مزيد فيه فنقع في مشكلة كمشكلة

(١) غرر الحكم ص ١٠ .

الاضافات في نهج البلاغة التي سنشير إليها تحت عنوان « مشكلة الاضافات في نهج البلاغة ».

وقد نظم هذا الكتاب شعراً ، وترجم إلى غير واحدة من اللغات ، وشرح عدة شروح نذكر من ذلك :

أ ــ نظم الغرر والدرر من كلم أمير المؤمنين للشيخ إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن محمد التبريزي الحصفكي الشهير والده بابن المنلا نزيل حلب[1].

ب ــ نظم الغرر ونضد الدرر .

وهو شرح للغرر والدرر بالفارسية للمولى عبد الكريم بن محمد يحى القزويني المعاصر للشاه السلطان حسين الصفوي توجد منه نسخة في المكتبة الرضوية بخراسان [2] .

ج ــ منتخب الغرر .

للسيد زين العابدين بن أبي القاسم الطباطبائي وسيأتي الكلام عليه تحت عنوان (انيس السالكين) .

د ــ أصداف الدرر

ترجمة بالفارسية لغرر الحكم للمولى عبد الكريم بن محمد يحى القزويني صاحب (نظم الغرر ونضد الدرر) الذي مر قريباً ذكره في أول المجلد الثاني من كتابه « نظم الغرر » [3] .

هـ ــ رسالة في الأمثال والحكم منتخبه من غرر الحكم

مجهولة المؤلف ، مرتبة على الحروف في (٧٧) ورقة أولها (الحمد لله الذي هدانا بتوفيقه إلى جادة طريقه ...) [4].

---

(١) الذريعة حرف النون من القسم (غير المطبوع) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الذريعة ٨٢/١١ .

(٤) نفس المصدر ١٨٧/٢ .

و ـ شرح غرر الحكم

بالفارسية في عدة مجلدات ذكره شيخنا الرازي ولم يذكر صاحبه فيظهر أنه مجهول المؤلف [1].

ز ـ شرح غرر الحكم

بالفارسية للمحقق جمال الدين محمد بن الحسين الخونساري المتوفى سنة (١٢٢٥) هـ ألفه بطلب من السلطان حسين الصفوي والشارح المذكور أحد أساطين العلم ، وأقطاب الفضل وما من علم إلا انظر فيه ، وحصل منه، كان في خزانة كتبه ألف وخمسمائة كتاب في أنواع العلوم لايوجد فيها كتاب إلا وفيه أثر خطه من تصحيح أو حاشية و كتب بخطه سبعين مؤلفاً من تأليفه وتأليف غيره توفي سنة (١١٤٥) يوجد هذا الشرح في مجلدين في الخزانة الرضوية على مشرفها السلام .

ح ـ الجواهر العلية

ذكر السيد الأمين في « أعيان الشيعة ج ٣٩ ص ١٩١ » ان لغرر الحكم تكملة موسومة بالجواهر العلية ، ولم يذكر إسم المؤلف .

ط ـ ملخص غرر الحكم

مجهول المؤلف ، وقد نسب للسيد المرتضى وهذه النسبة غلط فاحش لتأخر زمن الآمدي عن زمن الشريف المرتضى وقد وقع في هذا الوهم الاستاذ رشيد الصفار المحامي ناقلا ذلك عن الدكتور الاستاذ حسين على محفوظ [3] .

---

(١) المصدر السابق ١٦٣/٣ .

(٢) الكنى والالقاب ١٣٧/٢ والذريعة ٣٧٣/٣ .

(٣) مقدمة ديوان الشريف المرتضى ص ٣٤ .

٣١ – منثور الحكم [1]:

لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الشهير بابن الجوزي نسبة إلى فرضة الجوز موضع مشهور – كما يقول ابن خلكان – ، ينتهي نسبه الى القاسم بن محمد بن ابي بكر بست عشرة واسطة ، من أفاضل علماء الحنابلة ، له يد طولى في التفسير والحديث ، وفي كثير من العلوم ، وصنف في فنون عديدة ، وكتب كثيراً حتى قيل – ولعلّ فيه شيئاً من المبالغة – أنه جمعت براءة أقلامه التي كتب فيها الحديث ، فحصل منها شيء كثير فأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل فيه بعد موته ، ففعل ذلك فكفت وفضل منها وكان قد مهر في صناعة الوعظ، ونال حظوة باقبال الناس عليه عند الوعظ ، حتى كان الخليفة العباسيّ الناصر لدين الله يجلس لسماع وعظه على تستر وتخفي، وكان ظريفاً ذكياً حاضر الجواب ، وكان يبهم في بعض أجوبته حذراً من إيحاش السامعين .

٣٢ – الحكم المنثورة :

وهي ألف كلمة ختم بها عبد الحميد بن ابي الحديد كتابه (شرح نهج البلاغة) وقال قبل الشروع بذكرها ما هذا نصه : « ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه – يعني إلى علي عليه السلام – وبعضه مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ، ولكنه قد روى عنه وعزي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء لكنه كالنظير لكلامه، والمضارع لحكمته ، ولما كان ذلك متضمناً فنوناً من الحكمة النافعة رأينا أن لا نخلي هذا الكتاب عنه لأنه كالتكملة والتتمّة لكتاب (نهج البلاغة) وربما وقع في بعضه تكرار شذّ عن

---

(١) بحار الانوار : م ١٧ ص ١٥٦ ط تبريز ، (تأسيس الشيعة) للسيد الصدر ص ٤٢٠ و (الذريعة) لآغا بزرك : ج ٨ ص ١٤٩ .

أذهاننا التنبه له لطول الكتاب ، وتباعد أطرافه، وقد عددنا ذلك فوجدناه الف كلمة »[1].

وقد اعترف ابن ابي الحديد بان بعض ما أورده ليس بكلام له ، وليته لم يذكر هذا الخليط حتى يتميز كلام امير المؤمنين عن غيره ويكفى غيره مؤنة التحقيق.

٣٣ - عيون الحكم والمواعظ :

هذا الكتاب مجهول المؤلف وهو الذي أشرنا إليه عند ذكر سميّه المار برقم (٢٥) ، أوله: الحمد لله فالق الحبّ ، وبارىء النسم... أما بعد : فان الذي حداني الى جمعه ... ما بلغني من إفتخار ابي عثمان الجاحظ حين جمع مائة حكمة... فألزمت نفسي أن أجمع من كلامه عليه السلام ... وسميته (عيون الحكم والمواعظ)اقتضبته من كتب ... مثل (نهج البلاغة) و (دستور معالم الحكم)و(غرر الحكم) و (مناقب خطيب خوارزم) ومن (منثور الحكم) و (الفرائد والقلائد) و (الخصال) وغيرها ، وقد وضعته ثلاثين باباً في إحدى وتسعين فصلاً ، منها على حرف المعجم تسعة وعشرون ، والباب الثلاثون أوردت فيه مختصرات من التوحيد والوصايا ، وذم الدنيا ... الخ

وتوجد من هذا الكتاب نسختان خطّيتان في مكتبة سبهسالار بطهران [2].

٣٤ - استخراج الوقائع المستقبلة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

لجمال الدين ابي العباس احمد بن محمد بن فهد الحلي الأسدي العالم الفقيه

---

(١) الشرح : م ٤ ص ٤٢٠.

(٢) الذريعة : ج ٨ ص ١٤٩ و ص ١٥٢ و ص ١٦٧ ، و ج ١٠ ص ٢٦٨.

أودع في هذا الكتاب جملة من الاسرار الغريبة استخرجها من كلام امير المؤمنين عليه السلام في صفين بعد استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه ، واطلع على تلك الاسرار تلميذه السيد محمد بن فلاح الواسطي المشعشعي المتوفى سنة (٨٧٠)هـ، قيل : وبعمله في بعض تلك الاسرار إتباعاً لهوى نفسه آ ل أمره إلى ما آ ل إليه ، من إظهار الدعوة الباطلة كما ذكر ذلك القاضي في (مجالس المؤمنين) والأفندي في (رياض العلماء) في ذيل ترجمة حفيده السيد علي خان بن خلف المشعشعي [١] .

ولابن فهد عدا الكتاب المذكور مؤلفات فائقة ، منها (عدّة الداعي) و (اللمعة الجليّة) و (الموجـز) و (التحرير) و (البـارع في شرح المختصر النافع) .

توفي رحمه الله سنة (٨٤١) هـ ودفن في كربلاء وقربه مزار مشهور .

٣٥ – منتخب وصايا امير المؤمنين وحكمه [٢] .

كتاب على مرتب حروف المعجم وفي آخره وصيته إلى ولده الحسن عليه السلام بخط التعليق في مجلد بخط المير قاسم القره باغي وهو موجود في (دار الكتب المصرية) وعليه تعليقات باللغة الفارسية [٣] .

٣٦ – نظم وصية امير المؤمنين لولده الحسين الشهيد عليهما السلام:

بالفارسية ذكره صاحب الذريعة وقال عنه أنه مجهول الناظم .

---

(١) انظر (الذريعة) : ٢ / ٢١ ، والسيد علي خـان الحسيني الموسوي المشعشعي (امير الأهواز) كان عالماً عابدا أديباً شاعرا وكان يحفظ اكثر الدواوين له مصنفات كثيرة في فنون العلم منها (منتخب التفاسير) و (مظهر العجائب) في شرح دعاء الحسين عليه السلام يوم عرفة ، وسيأتي أن والده السيد خلف بن السيد عبد المطلب من المستدركين على نهج البلاغة .

(٢) الذريعة حرف الميم في القسم المخطوط .

(٣) المصدر السابق حرف النون من القسم المخطوط.

٣٧ – وصايا امير المؤمنين عليه السلام :

جمع بعض الاصحاب ، بخط النسخ الجيد المجدول المذهب كتبه الحاج سلطان بن محمد خوشنويس الأصفهاني ، موجود في الخزانة الرضوية تاريخ كتابته سنة (١١١٠) هـ .

ذكره في « الذريعة » في القسم المخطوط .

٣٨ – وصايا امير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام :

مع ترجمتها بالفارسية في مجلد واحد مجدول مذهب في كل صفحة ستة اسطر موجود في الخزانة الرضوية على صاحبها السلام .

ذكره في « الذريعة » أيضاً .

٣٩ – اللآلىء المنثورة :

ارجوزة في شرح حديث امير المؤمنين عليه السلام (إن فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة خمسة اقسام : العلماء ، والزهاد ، والتجار ، والغزاة والحكام ... الخ) وبيان جهات فساد هؤلاء في ثلثمائة وسبعين بيتاً ، للسيد قطب الدين محمد الملقب بقطب الاقطاب الحسيني الذهبي الشيرازي ، جعلها ذيل ارجوزته في العوامل النحوية التي نظمها بقزوين سنة (١١٣٠) هـ أولها :

الحمد لله وسيع الرحمة ... يرزق من يشاء نور الحكمة

ولعله سماها (اللآلىء المنثورة) لقوله فيها :

أتتكم لآلئاً منثورة ... في هذه الرواية المسطورة

قال شيخنا الرازي : ارجوزة العوامل مع الشرح في مجلد عند العلامة ميرزا محمد علي الاردوبادي [1].

---

(١) الذريعة ١ : ٤٧٩ .

٤٠ — الصّحيفة العلوية والتحفة المرتضوية :

للشيخ المحدث عبد الله بن صالح بن علي بن احمد البحراني السماهيجي نسبة إلى سماهيج (بالياء المثناة من تحت ثم الجيم أخيراً) قرية من قرى جزيرة صغيرة من جزائر البحرين . وكان الشيخ عبد الله عالماً عابداً ، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كريماً سخياً كثير الملازمة للتدريس والمطالعة والتصنيف له جملة من المصنفات ذكرها في إجازته للشيخ ناصر الجارودي الخطي التي كتبها عصر يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ثمان وعشرين بعد المائة والالف ومن جملتها (الصحيفة العلوية) جمع فيها ماصحت عنده روايته من الدعوات الواردة عن سيد الوصيين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في ايران اكثر من مرة .

توفي الشيخ عبد الله المذكور في بلدة بهبهان لأنه استوطنها في أواخر ايامه حيث إنه ترك بلاده لما كثرت غارات الخوارج عليها ورحل إلى إيران واستوطن إصفهان قليلا ثم تحول عنها إلى بهبهان حتى وافته المنية ليلة الأربعاء التاسع من شهر جمادى الثانية سنة (١١٣٥) هـ تغمده الله برحمته .

٤١ — أنيس السالكين في بعض كلمات امير المؤمنين عليه السلام :

للسيد زين العابدين بن ابيالقاسم الطباطبائي الطهراني الشهيربالسيد آقا من تلامذة آية الله المجدد السيد محمد حسن الشيرازي قدس سرّه . أوّله (الحمد لله الذي أنعم علينا بأمره بتهذيب نفوسنا) . . الخ . وقد انتخب هذا الكتاب من « غرر الحكم للآمدي»ورتبه على حروف أوائل المطالب فما صدر عنه عليه السلام في التكبر والتوكل والتوبة والتفكر جعله في التاء،وماصدرعنه في العلم والعمل والعفو والعفة جعله في حرف العين وهكذا فرغ منه في النجف الاشرف سنة ١٢٩٣ هـ ، توفي في طهران سنة (١٣٠٣) هـ وحمل إلى النجف الاشرف.

٤٣ — الصحيفة العلوية الثانية :

قل في اهل العلم من يجهل مقام الشيخ الجليل الميرزا حسين النوري في العلم والتحقيق ، والرواية والدراية .

ولا اظن ان هناك من لم ير ، او لم يطرق سمعه — على الاقل — تلك المؤلفات الكثيرة التي جاد بها يراعه وقد طبع اكثرها .

ولا احسب ان في أهل الفضل من يجهل خزانة كتبه أو مكتباته الثلاث ، [1] وما اشتملت عليه من نفائس الكتب ، ونوادر المخطوطات.

وكان رحمه الله ذا ولع بتصحيح ما يقتنيه من الكتب ، حتى قيل : انه قل أن يوجد في مكتبته على ضخامتها كتاب إلاّ وعليه تصحيح أو ملاحظة أو حواشي أو تعليق بخطه الشريف .

ومن هنا كثر تأليفه في المستدركات ، فألف موسوعته القيمة (مستدرك الوسائل) استدرك فيها على جميع أبواب ذلك الكتاب على كثرتها ، وجاء بما لايقل عنه ضخامة ونفاسة ، وألف (الصحيفة السجادية الرابعة) على صاحبها السلام وهي استدراك على الصحائف السجادية الأولى والثانية والثالثة ، كما سيأتي الكلام عليها عند قول امير المؤمنين عليه السلام . (اللهم صن وجهي باليسار) : برقم (٢٢٣) في باب الخطب.

ومن جملة مستدركاته (الصحيفة العلوية الثانية) أستدرك فيها ما فات السماهيجي في (الصحيفة العلوية الاولى) من أدعية امير المؤمنين ومناجاته توجد النسخة التي بخطه الشريف في مكتبة شيخنا الرازي تاريخها كما قرأته في آخرها : ووافق الفراغ من جمعها ليلة السبت الخامس من رجب المرجّب من سنة ثلاث بعد الألف وثلثمائة بيد مؤلفها العبد المذنب المسيء حسين بن محمد

---

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٤ / ١٢٩ .

تقي النوري في بلدة سرمن رأى اه وقد طبعت هذه الصحيفة على الحجر بايران سنة ١٣١١ .

توفى الشيخ النوري رحمه الله في أواخر جمادى الثانية سنة (١٣٢٠) هـ ودفن في الصحن العلوي الشريف .

٤٣ – حكم علي بن ابي طالب :

جمعها بعض أهل الفضل من المسيحيين ، ذكر ذلك الاستاذ يوسف إليان سركيس في (معجم المطبوعات) قال : وهو يشتمل على أربع رسائل (١) نثر اللآلىء في الحكم والامثال من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، (٢) مختارات من كتاب (غرر الحكم ودرر الكلم) الذي جمعه العلامة عبد الواحد الآمدي من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (٣) بعض الامثال التي جمعها أبو الفضل الميداني النيسابوري من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ،(٤) طفاقة بعض الامثال التي ذكرها شظاظاً المفضل بن سلمة الضبي ورفعها الميداني إلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، طبع مع ترجمته وتقييدات وشروح في (اوكسونيا) ١٨٠٦ انتهى [١] .

٤٤ – غرر جوامع الكلم :

مجهول المؤلف ، رأيت منه نسخة بمكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف بخط واضح جميـل ، قال مؤلفه في المقدمة : تأملت كلامه صلوات الله عليه تأمل المعتبر ، وتفحصته تفحص المفتكر ، فشاهدت في ضمن خطابه درراً منثورة ، وفي ضمن خطبه ومواعظه فقراً مستورة ، فرأيت أن أضم شوارد حكمه إلى متجانساتها ... الخ .

وأول مارواه من كلامه عليه السلام في حرف الألف قوله :(إنّ أحبّ العباد

---

(١) الكنى والالقاب : ج ٣ ص ١٨٢ .

إلى الله عبد أعانه الله على نفسه » . الخ . وآخر ماروا في حرف الياء قوله عليه السلام . « يستدل على حلم الرجل بقلة كلامه ، وبمروته بكثرة أنعامه ».

٤٥ — مائة كلمة جامعة :

اختارها العلامة المحدث الحاج عباس القمي من كلماته القصار ، وشرحها بالفارسية شرحاً مختصراً وقال في مقدمتها خذها فانها حكمة بالغة ، ومائة كلمة جامعة ، وبدأها بهذه الكلمة (آلة الرئاسة سعة الصدر) وختمها بقوله عليه السلام : (يابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت خازن فيه لغيرك) طبعت على الحجر بايران سنة ١٣٥٥ .

٤٥ — خطب امير المؤمنين عليه السلام في الملاحم مع شرحها :

أملاها العلامة المرحوم الشيخ محمد حرزالدين على الشيخ طيّب علي الهندي.

قال الشيخ محمد حرزالدين رحمة الله عليه[1] في « معارف الرجال » ص ٣٨٩ في ترجمة الشيخ طيب علي المذكور :

« كان فاضلا حضر دروس العلماء في النجف ، وجد واجتهد حتى صار عالماً فاضلاً ، كاملا أديباً شاعراً ، وكان من الوفاء وحسن الخلق على جانب

---

(١) الشيخ محمد حرز الدين المذكور هو ابن الشيخ علي من قبيلة عربية تدعى بنو مسلم ولد في النجف الاشرف سنة (١٢٧٣) ه وكان رحمه الله على جانب عظيم من الزهد ، والاعراض عن الدنيا ، دمث الاخلاق ، رحب الصدر ، حسن البيان راوية لسير العلماء .

حضر على جملة من العلماء . الفقه والاصول ، وخصوصاً الشيخ محمد حسين الكاظمي قدس سره ، وكان كثير الملازمة له.

له مؤلفات تناهز السبعين ذكرها حفيده الشيخ محمد حسين في مقدمة « معارف الرجال » توفى رحمه الله في ١ ج ١ سنة ١٣٦٥ وقد ناهز التسعين.

عظيم . » – إلى أن قال – : « قرأ علينا بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام في الملاحم والحوادث قبل ظهور الحجة عجل الله فرجـــه ، وعند ظهوره ، وما بعد ذلك ، وشرحناها له بالنصوص الواردة في جملة الأمور ، وبينـا ما يتعلق بالعلائم النجومية ، وأشرنا الى اسمـاء البلدان والبقاع والاقاليم التي لايعرفها في ذلك الوقت إلا من علمه رسول الله صلى الله عليه وآله « الف باب من العلم ».

٤٦ – هدى ونور من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب :

للشيخ ثروت منصور هيكل الاحمدي الشرقاوي المصري قال في مقدمته: « سطرت كتابي (هدى ونور) من كلام امـير المؤمنين علي بن ابي طالب ، من خطبه ، وكلامه وكتبه ، وينابيـع عظات هديه لانصاره واعدائه ».

وقد اشتمل على سبعة ابواب :

الباب الاول : فيما ورد عنه من تنزيه الله سبحانه وتعالى .

الباب الثاني : فيما جاء عنه من وصف بعض المخلوقات ، من عوالم الارض والسماء .

الباب الثالث : فيما ورد عنه من بعثة الانبيـاء عليهم السلام .

الباب الرابع : في النهي عن البدع ، وفيه ذكر الموت وما بعده .

الباب الخامس : فيما روى عنه من ذم المتكبرين.

الباب السادس : في السعي للدنيا مع النهي عن حبها .

الباب السابع : ويشتمل على بعض المأثورات عنه نظماً ونثراً في الوصايا والادعية والمناجاة.

وقدم له العلامة الشيخ محمد الخضرالحسين – شيخ الازهر يومئذ – بتقديم موجز عرف فيه أهمية الـكتاب ، وشرف موضوعه ، ومن جملته :

« وجدت به حكماً نافعة ، ومواعظ باقية ينتفع بها من تأملهـا ، وأنعم

النظر فيها وهو اختيار حسن يدل على عقل وفطنة ، لأن اختيار المرأ قطعة من عقله ، وارجو ان يجزيه الله احسن الجزاء لأنه قرب النصح للمتناولين ، ودل على الخير للراغبين ، فهو شريك في الأجر لقائل الحكمة ، وسائق العبرة لأنه دل عليها و « الدال على الخير كفاعله » .

٤٧ – منتخبات من حكم الامام علي عليه السلام :

للاستاذ اسماعيل علي يوسف الاديب الصحفي الاردني ذكره في كتابه « شهيد كربلاء » ص ٦ .

٤٨ – جوامع ماورد عن امير المؤمنين عليه السلام في المواضيع المختلفة :

للاستاذ الباحث الشيخ محمد باقر المحمودي صاحب كتاب (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

هذا ما أمكنني الاطلاع عليه من الكتب المؤلفة في كلامه عليه السلام خاصة من أيامه الى يوم الناس ، هذا .

ومهما كانت قيمة تلك المؤلفات في أسواق العلم ، ومتاجر الفضل.

« فان اعظمها خطراً ، واعلاها شأناً ، واحسنها ابواباً ، وابعدها صيتاً وشأوا ، هو مجموع ما اختاره الشريف الرضى في كتابه (نهج البلاغة) »[١].

---

(١) انظر مقدمة الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم لشرح ابن ابي الحديد ص ٦ .

ما هو نهج البلاغة ؟

١ - « ان سطراً واحداً من « نهج البلاغة » يساوي الف سطر من كلام ابن نباته وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على انه اوحد عصره في فنه».

(ابن ابي الحديد)

٢ - « لامفر من الاعتراف بأن « نهج البلاغة » له اصل والا فهو شاهد على ان الشيعة كانوا من اقدر الناس على صياغة الكلام البليغ».

(الدكتور زكي مبارك)

(نهج البلاغة) اسم وضعه الشريف الرضى على كتاب جمع فيه المختار من كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، وجعله يدور على اقطاب ثلاثة :

الخطب والمواعظ ، والعهود والرسائل ، والحكم والآداب :

وقد بين في مقدمة الكتاب اهميته والوجه في تسميته بقوله : « علماً بأن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ، مـا لايوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الاطراف في كتاب » وليس في وسع أحد أن يصف الكتاب بأكثر مما وصفه مؤلفه أو يدل بأزيد

مما دل عليه اسمه [1] .

وقد ضم الكتاب مختار (٢٣٧) كلاماً وخطبه تقريباً [2] ، و (٧٩) بين كتاب ووصية وعهد ، و (٤٨٠) من الكلمات القصار .

ولو أن الشريف الرضى رحمه الله ذكر كل ماورد عن علي عليه السلام لجاء بأضعاف كتابه ، ولكنه كان يلتقط الفصول التي هي في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ويتخطى ما قبلها وما بعدها [3] .

« ومنذ ان صدر هذا الكتاب عن جامعه ، سار في الناس ذكره، وتألق نجمه ، أشأم وأعرق ، وأنجد وأتهم ، واعجب به حيث كان ،وتدارسوه في كل مكان ، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى ، والمعنى المشرق ، وما احتواه من جوامع الكلم ، في أسلوب متساوق الأغراض محكم السبك، يعد في الذروة العليا من النثر العربي الرائع » [4] .

« وغير خفي أن من يريد اختيار انفس الجواهر من الجواهر الكثيرة لابد ان يكون جوهرياً حاذقاً ، فكان الرضى باختياره أبلغ منه في كتاباته كما قيل عن ابي تمام لما جمع (ديوان الحماسة) من منتخبات شعرالعرب : إنه في انتخاباته أشعر منه في شعره .

وقد لاقى (ديوان الحماسة) من القبول عند الناس اقبالا كثيراً ، وشرحه اعاظم العلماء ، وكذلك (نهج البلاغة) من الشهرة والقبول ما هو أهله ،

---

(١) انظر مقدمة الشيخ محمد عبده لشرحه على « نهج البلاغة » .

(٢) انما قلت تقريباً لاختلاف الشراح في ذلك ، فمنهم من جعل الخطبة الواحدة خطبتين، ومنهم من ضم خطبتين تحت عنوان واحد .

(٣) شرح ابن ابي الحديد م ٢ : ٢٢٥ .

(٤) مقدمة الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم لشرح ابن ابي الحديد ص٦ .

وشرح بشروح كثيرة تنبو عن الاحصاء وكان مفخرة من أعاظم مفاخر العرب والاسلام » [1] .

« وقد جمع الكتاب مـا يمكن أن يعرض للكاتب والخطيب من أغراض الكلام ، فيه الترغيب والتنفير ، والسياسات ، والجدليـات ، والحقوق ، واصول المدنية ، وقواعد العدالة ، والنصائح والمواعظ ، فلا يطلب الطالب طلبته إلا ويرى فيه أفضلها ، ولاتختلج فكرة إلا وجد فيه أكملها »[2].

وهلم فاستمع إلى طائفة اخرى من اقوال جهابذة العلم ، واعلام الفكر ، فنرى انطباعاتهم عن هذا السفر العظيم وما له من أثر في نفوسهم، وليس بمقدورنا الاحاطة بكل ما هو من هذا القبيل ولكنه غيض من فيض.

١ — « هذا كتاب (نهج البلاغة) قد استودع من خطب الامام علي بن ابي طالب سلام الله عليه ما هو قبس من نور الكلام الالهي ، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي » [3] .

(الشيخ محمود شكري الآلوسي)

---

(١) قال ذلك السيد الامين في « اعيان الشيعة » ج ٤٤ .

(٢) قال ذلك الامام الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه على « نهج البلاغة » .

(٣) بلوغ الارب ٢ : ١٨٠ لم ترق هـذه الكلمة لبعض الادباء المعروفين فعلق عليها بما هو آت :

« كان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي رضي الله عنه كذباً لا اصل له ولاسند ، ثم قال بعد ذلك :

« قال الشيخ العلامة المقبلي في « العلم الشامخ » وصدق ابن سيرين رحمه الله فان كل ذي قلب سليم ، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم يشهد بكذب كثير مما في « نهج البلاغة » .. الخ وانظر الى هذا التهافت في الراي والتناقض في القول فاذا كان ابن سيرين يرى ان عامة ما روى عن علي كذباً وصدقه المقبلي بذلك فكيف يقول=

٢ — « نهج البلاغة » ، ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته ، وعلمه وهدايته ، وإعجازه وفصاحته .

إجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء ، وأفذاذ الفلاسفة ، ونوابغ الربانيين ، من آيات الحكمة السابغة ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومن كل موعظة باهرة ، وحجة بالغة تشهد له بالفضل ، وحسن الأثر .

خاض علي في هذا الكتاب لجة العلم ، والسياسة والدين ، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً ، ولئن سألت عن مكان كتابه من الادب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس في وسع الكاتب المترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية من وصفه ، أو النهاية من تقريظه .

وحسبنا أن نقول : أنه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة ، وجزالة البداوة ، والمنزل المفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه ، وتأوي اليه بعد أن زلت بها المنازل في كل لغة »[١] .

(الاستاذ محمد حسن نائل المرصفي)

٣ — إذا شئت أن تفوق أقرانك في العلم والأدب ، وصناعة الانشاء

= المقبلي : ان كثيراً مما في «النهج» كذب ؟ اوليس كلمة « عامة » تشمل جميع ما في «النهج»؟ ثم نقول للاستاذ المعلق ! واين ذهبت آثار علي في الخطابة والإنشاء ؟ وهل يعقل ان تضيع آثار ابن ابي طالب ضياعاً مطلقاً وكان في زمانه وبشهادة خصومه من افصح الخطباء » واين خطبه المجلدة كما يقول الجاحظ ، والتي حفظ منها اربعمائة وثمانون كما يقول المسعودي ؟

(١) جولات اسلامية للاستاذ محمد أمين النواوي ص ٩٨ عن مقدمة المرصفي لشرحه على « نهج البلاغة » .

فعليك بحفظ القرآن و (نهج البلاغة) [1] .

(الشيخ ناصيف اليازجي)

٤ — « نهج البلاغة » الكتاب المشهور الذي جمع فيه السيد المرتضى « كذا » الموسوي خطب الامير كرم الله وجهه وكتبه ومواعظه وحكمه وسمى (نهج البلاغة) لما أنه قد اشتمل على كلام يخيل أنه فوق كلام المخلوقين ، دون كلام الخالق عز وجل قد اعتنق مرتبة الاعجاز ، وابتدع أبكار الحقيقة والمجاز ولله در الناظم حيث يقول فيه :

الا إن هذا السفر (نهج البلاغة)

لمنتهج العرفان مسلكه جلى

على قمم من آل حرب ترفعت

كجلمود صخرحطه السيل من «على»[2]

(الشيخ أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي)

٥ — « واني لأعتقد أن النظر في كتاب (نهج البلاغة) يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس ، لأنه من روح قهار واجه المصاعب بعزائم الاسود » [3] .

(الدكتور زكي مبارك)

٦ — اذا شاء أحد أن يشفي صبابة نفسه من كلام الإمام فليقبل عليه

---

(١) نظرات في القرآن لمحمد الغزالي ص ١٥٤ من وصية اليازجي لولده ابراهيم .

(٢) الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية لأبي الثناء الآلوسي ص ١٣٣ والناظم هو المرحوم عبد الباقي العمري .

(٣) عبقرية الشريف الرضي ٢٩٦/١ .

في « النهج » من الدقة وليتعلم المشي على ضوء « نهج البلاغة » [1] .

(الاستاذ امين نخلة)

٧ — « ... حفظ علي القرآن كلّه ، فوقف على أسراره ، واختلط به لحمه ودمه ، والقـــارىء يرى ذلك في (نهج البلاغة) ويلمس فيه مقدار استفادة علي من بيانه وحكمته ، وناهيك بالقرآن مؤدباً ومهذباً ، يستنطق البكيء [2] الأبكم فيفتق لسانه بالبيان الساحر ، والفصاحة العالية ، فكيف إذا كان مثل علي في خصوبته ، وعبقريته ، واستعداده ممن صفت نفوسهم، وأعرضوا عن الدنيـــا وأخلصوا للدين فجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم ، متدفقة على ألسنتهم ، كالخيطات تجري بالسلس العذب من الكلمات ؟

وهل كان الحسن البصري [3] في زواجر وعظه ، وبالغ منطقه إلا اثراً من علي ، وقطرة من محيط أدبه ، ففتن الناس بعبادته ، وخلب البابهم

---

(١) مائة كلمة من كلام الامام علي للاستـاذ أمين نخلة وقد افردناهـا تحت عنوان خاص في هذا الجزء .

(٢) البكيء ، قليل الكلام .

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وامه خيرة مولاة ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، وكان يتهم بالإنحراف عن امير المؤمنين عليه السلام ، قال ابن ابي الحديد : « وممن قيل انه يبغض علياً عليه السلام ويذمه الحسن البصري ابو سعيد ، روى عنه حماد بن سلمه انه قال : لوكان علي يأكل الحشف بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه ، ورووا عنه : انه كان من المخذلين عن نصرته ، وروي عنه ان علياً عليه السلام رآه يتوضأ للصلاة — وكان ذا وسوسة — فصب على اعضائه ماءاً كثيراً ، فقال له : ارقت ماءاً كثيراً ياحسن ، فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين اكثر ! قال : او ساءك ذلك ؟ قال : نعم قال « فلا زلت مسوأً » ، قالوا : فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات » .

وعن تقريب ابن حجر انه قال في حقـه « ثقة فقيـــه ، فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيراً ويدلس ، وكان يروي عن جماعة لم يسمع منهم ويقول : حدثنا » مات في رجب سنة ١١٠ .

يحمله ، فكيف يكون الاستاذ العليم والإمام الحكيم علي بن أبي طالب ؟

لقد كان علي في خطبه المتدفقة يمثل بحراً خضماً من العلماء الربانيين واسلوبا جديداً لم يكن إلا لسيد المرسلين ، وطرق بحوثاً من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلا لمثله، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله ، فدانت لبيانه ، وسلست في منطقه وأدبه .

وخاض في أسرار الكون ، وطبائع الناس ، وتشريح النفوس ، وبيان خصائصها وأصنافها ، وعرض لمداخل الشيطان ومخارجه ، وفتن الدنيا وآفاتها ، في الموت وأحواله ، وفي بدء الخلق ، ووصف الأرض ، وفي شأن السماء وما يعرج فيها من أملاك ، وما يحف بها من أفلاك ، كما عرض لملك الموت وأطال في وصفه .

وخطب علي في السياسة وفي شئون البيعة والعهد والوفاء ، واختيار الأحق وما أحاط بذلك من ظروف وصروف ، كتحكيم صفين وما تبعه من آثار سيئة وتفرق الكلمة .

ولم يفته أن ينوة في خطبه بأنصار الحق ، وأعوان الخير ، والدعوة إلى الجهاد ، وفيها محاجة للخوارج ونصحه لهم ولأمثالهم باتباع الحق وغير ذلك مما يكفي فيه ضرب المثل ، ولفت النظر .

وغير أن ناحية عجيبة إمتاز بها الإمام ، هي ما اختص بها الصفوة من الأنبياء ومن على شاكلتهم كانت تظهر في بعض تجلياته ، وأشار إليها في بعض مقاماته ، ولم يسلك فيها سواه إلا أن يكون رسول الله صلوات الله عليه .

فقد ذكر كثيراً من مستقبل الامة ، وأورد ما يكون لبعض أحزابها كالخوارج وغيرهم ، ومن ذلك وصفه لصاحب الزنج وذكر الكثير من أحواله وذلك من غير شك لون من الكرامات .

هذا إلى أنه طرق نواحي من القول كانت من خواص الشعر اذ ذاك ،

ولكنه ضمنها خطبه فوصف الطب ، وعرض للخفاش وما فيه من عجائب، والطاووس وما يحـــويه من أسرار ، وما في الإنسان من عجائب الخلق ، وآيات المبدع الحق واحيلك في ذلك كله على « نهج البلاغة » .

وهكذا تجد في كلام علي الدين والسياسة ، والأدب ، والحكمة ، والوصف العجيب ، والبيان الزاخر .

هذا كتـاب علي الى شريح القاضي يعظه ، وقد اشترى داراً ، ويحـذره من مال المسلمين ، في معان عجيبة ، واسلوب خلاب .

وهذا كتابه الى معاوية يجـادله في الأحق بالخلافة ، وقتل عثمان في معان لا يحسنها سواه .

وتلك كتبه إلى العاملين على الصدقات يعلمهم فيهـا واجباتهم في جميـع ملابساتهم .

وذلك عهده إلى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر .

وتلك وصيته الى الحسن عنـد منصرفه من (صفين) لم يدع فيها معنى تتطلبه الحيـاة لمثله إلا وجهه فيها أسمى توجيه ، في فلسفة خصبية ، وحـكم رائعة مفيدة ، وكل تلك النواحي والاغراض في معـان سامية مبسطة ، يعلو بها العلم الرباني الغزير ، والروح السامية الرفيعة ، وتدنو بها تلك القوة الجبارة على امتلاك أزمّة القول ، كأنما نثل كنانته بين يديه فوضع لكل معنى لفظة في أدق استعمال .

ولقد يضيق بي القول فأقف حائراً عاجزاً عن شرح ما يجول بنفسي من تقدير تلك المعاني السامية فيسعدني تصوير الامام [1] له وهو يقـــدم « نهج البلاغة » : (فكان يخيل إلي في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت، وان للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ... الخ) .

---

(١) يعني به الإمام الشيخ محمد عبده وستأتي كلمته قريباً ان شاء الله .

اما الأسلوب فيتجلى لك بما يأتي :

(١) الثروة من الألفاظ العربية في مفردها وجمعها، ومذكرها ومؤنثها ، وحقيقتها ومجازها .

(٢) المجازات والكنايات في معرض انيق ، وقالب بديع .

(٣) الإيجاز الدقيق مع الاطنـــاب في مقامه ، ويظهر ذلك في فقره ، وسجعاته الفريدة ، التي يجمل بكل أديب أن يحفظ الكثير منها ، ليكون بيانه التكوين العربي السليم .

(٤) المحسنات البديعة في نمط ممتاز ، من جناس إلى طباق وترصيع وإلى قلب وعكس ، تزدان بجمالها البلاغة ويكمل بها حسن الموقع .

(٥) الجرس والموسيقى ، وجمال الايقاع مما يدركه أهل الذوق الفني[1].

ويحسن قبل الختـــام أن أشير إلى ما نوه به صاحب (الطراز) الامام يحي اليمني ، فقد تكرر ذلك في عدة مناسبات وأولها تمثيله للبلاغة في أول كتابه ، قال — وهو في ذلك الصدد — .

« فمن معنى كلامه ارتوى كل مصقع خطيب ، وعلى منواله نسج كل واعظ بليغ ، إذ كان عليه السلام مشرع البلاغة ، وموردها ، ومحط البلاغة ومولدها ، وهيدب [2] مزنهـا السـاكب ، ومتفجر ودقها [3] الهـاطل ، وعن هذا قال أمير المؤمنين في بعض كلامه :«نحن أمراء الكلام ، وفينا تشبثت عروقه ، وعلينا تهدلت أغصانه»» ثم أورد مثـالاً من أول خطبة في (نهج البلاغة) وقال : العجب من علماء البيـان والجماهير من حذاق المعاني كيف أعرضوا

---

(١) وهذا ما هو محسوس فعلا ، فاستمع الى خطباء المنـــابر الحسينية حين يرتلون شيئاً من كلامه عليه السلام بطرائقهم المعهودة .

(٢) الهيدب من السحاب المتـدلى الذي يدنو من الأرض ، وتراه كأنه خيوط عنـد انصباب المطـــر .

(٣) الودق ، المطر قال تعالى : « فترى الودق يخرج من خلاله . الروم : ٤٨ » .

عن كلامه وهو الغـاية التي لا مرتبة فوقها ، ومنتهى كل مطلب وغاية كل مقصد في جميع مايطلبونه ، من المجازات والتمثيل والكنايات ؟

وقد اثر عن فارس البلاغة، وأمير البيان الجاحظ انه قال : ماقرع سمعي كلام بعد كلام الله ، وكلام رسوله إلا عارضته إلا كلمـات لأميرالمؤمنين علي ابن أبي طـالب كرم الله وجهه فما قدرت على معارضتها وهي مثـل قوله : « ما هلك امرؤ عرف قدره » و « استغن عمن شئت تكن نظيره » واحسن إلى من شئت تكن أميره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره » [1] .

(الاستاذ محمد أمين النواوي)

٨ — « في كتاب (نهج البلاغة) فيض من آيات التوحيد والحكمة الالهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد ، وأصول التأليه وحكم التوحيد »[2] .

(الاستاذ عباس محمود العقاد)

٩ — « نهج البلاغة » هو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ، وهو الكتاب الذي ضم بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وتهيأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها ، إذ كان من كلام أفصح الخلق — بعد الرسول ﷺ — منطقاً ، وأشدهم اقتداراً ، وأبرعهم حجة ، وأملكهم للغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه ، والعالم الذي تهيأ له من خلاط الرسول، و كتابة الوحي ، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ما لم يتهيأ لأحد سواه » [3] .

(الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد)

---

(١) جولات اسلامية ص ٩٩ — ١٠٤ .

(٢) عبقرية الإمام ص ١٧٨ .

(٣) من مقدمته لشرح الشيخ محمد عبده على « نهج البلاغة » .

١٠ - : وبعد[١] : فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب « نهج البلاغة » مصادفة بلا تعمل ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملا من عباراته ، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت،وغارات شنت،وان للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وان للأوهام عرامة [٢] ، وللريب دعارة وان جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج [٣] والقويم الأملج ، وتمتلج المهج برواضع الحجج فتفل من دعارة الوساوس [٤] وتصيب مقاتل الخوانس . فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومرج الشك في خمود[٥] ، وهرج الريب في ركود وأن مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب[٦] .

---

(١) كان من حق هذه الكلمة أن تكون في الصدارة ولكني أخرتها عمداً كي لا يذهب تذوقها بحلاوة ما قبلها من الكلمات وفي نظري القاصر أن (نهج البلاغة) وان لم يوصف حتى الآن بما هو أهله - على كثرة الواصفين له - ولكن هذه الكلمة من خير ما وصف به .

(٢) العرامة : الشراسة ، والدعارة : سوء الخلق ، والجحافل: الجيوش ، والكتائب : الفرق منها ، والذرابة : حدة اللسان في فصاحة ، والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والأوهام .

(٣) تنافح تضارب أشد المضاربة ، والصفيح : السيف والأبلج : اللامع البياض ، والقويم : الرمح ، والأملج : الأسمر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة القوية المبددة للوهم وان خفي مدركها ، وتمتلج : أي تمتص ، والمهج : دماء القلوب والمراد لاتبقي للاوهام شيئاً من مادة البقاء .

(٤) فل الشيء : ثلمه ، والقوم هزمهم . والخوانس : خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء .

(٥) المرج : الاضطراب : والهرج هيجان الفتنة .

(٦) قد فسر الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد معنى الألفاظ التي مرت من الكلمة لغة - كما مر - ولم يوضح مراد الشيخ الامام منها ، وأكبر الظن أن معني ذلك أنه كان يسمع بالشبه والشكوك التي تحوم حول (نهج البلاغة) قبل اطلاعه عليه ، ولكنه بعد أن وقف =

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد : فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبـــارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية : توحي اليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزالق ، إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمـــل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختــلاب ، فخلبت القلوب عن هواها وأخـذت الخواطر دون مرماهـا ، واختالت فاسد الاهواء ، وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلا نورانيــاً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالهي ، واتصل بالروح الانساني ، فخلع عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به الى مشهد النور الأجلى ، وسكن به الى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الامة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتيــاب ، ويحـــذرهم مزالق الإضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي — رحمـه

= عليه ، وأحاط خبراً بما فيه ، تبددت تلك الأوهام وتلاشت تلك الشكوك ، وخلست تلك الوساوس ، وأصبح من المتيقن لديه ، والمتعين عنـده ، أن مدبر تلك الدولة ، هـو المرتضى علي بن ابي طالب اخو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، لا المرتضى علي بن الحسين ولا اخوه الرضي محمد .

الله — من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، جمع متفرقه وسماه « نهج البلاغة » ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الإختيار[1] .

(الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده)

ولو أردنا أن نأتي بكل ما قيل في (نهج البلاغة) لطال بنا المقام وبحسبك ماذكرنا ، (تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ) .

---

(١) مقدمة الشيخ محمد عبده لشرحه على (نهج البلاغة) .

أوهام ابن خلكان ومقلديه

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)

« قرآن كريم »

ابن خلكان : هو قاضي القضاة شمس الدين احمد بن ابراهيم بن ابي بكر المعروف بخلكان الأربلي البرمكي ، ومن هذا النسب جاءه هذا اللقب، وذلك أن أبا بكر هذا كان ذات يوم يفاخر أقرانه ، ويفخر بآبائه من آل برمك ، فقيل له : خلّ كان ابي كذا ، وكان جدي كذا وحدثنا عن نفسك الآن فلقب من هذه الواقعة بخلكان .

ولد ابن خلكان بأربل سنة (٦٠٨) ه وتوفي بدمشق سنة (٦٨١) وكان أديباً فاضلا يحب الشعر والأدب ، وكان – كما حدث هو عن نفسه – مغرماً بشعر يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، شديد الاهتمام به ، بحيث خلصه من شعر غيره ، ليكون حافظاً شعره الخالص ، لا المنسوب له ، فقد قال عندما ترجم لمحمد بن عمران المرزباني : « كان – أي المرزباني – راوية للأدب، صاحب أخبار ، وتواليفه كثيرة وكان ثقة في الحديث ، ومائلا الى التشيع في المذهب – إلى أن قال – وهو أول من جمع شعر يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي واعتنى به ، وهو صغير الحجم يدخل في ثلاثة كراريس ، وقد جمعه

من بعده جماعة ، وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست منه ، وشعر يزيد مع قلته في نهاية الحسن» وذكر أبياتاً من جيد شعره ثم قال :« وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدّة غرامي به سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق،وعرفت صحيحه من المنسوب إليه ، الذي ليس له، وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات ، ولولا خوف الأطالة لبينت ذلك » [١].

وابتلى ابن خلكان في أواخر أيامه بحب أحد اولاد الملوك ، وهو مسعود بن الملك المظفر ، حتى أن الغلام زاره في بعض الايام فبسط له ابن خلكان الطرحة [٢] ، وقال له . (ما عندي أعزّ من هذا تطأ عليه) ولما فشى أمرهما ، وعلم به أهله ، منعوه من الركوب إليه ، فقال ابن خلكان في ذلك أشعاراً ذكر بعضها ابن شاكر في (فوات الوفيات) وقد شغفه حبّه ، وتيمه هواه حتى امتنع من النوم فكان يدور الليل كله ، ويكرر قول ابن سكرة الهاشمي :

انا والله هالك	آيس من سلامتي
او أرى القامة التي	قد اقامت قيامتي

إلى ان يصبح على هذه الحال،ويروى انه مات وهو ينشدهما ، وكان ذلك آخر ما نطق به [٣] .

---

(١) وفيات الاعيان ١ : ٥٠٧ ط اولى ، ونقول بالمناسبة : لو ان الحكم الذي صدر عن ابن خلكان في (نهج البلاغة) صدر في شعر يزيد بن معاوية لكان (الحكم المرضي حكومته) اذ كان من المتخصصين به ، والمعنيين بتحقيقه ، اما في المأثور عن علي بن ابي طالب فهيهات (حن قدح ليس منها) .

(٢) الطرحة هي الطيلسان وهو كساء اخضر يلبسه القضاة والمشايخ ومذاك.

(٣) انظر « فوات الوفيات ١ : ١٠١ و ١٠٢ » و« تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق» للشيخ داود بن عمر البصير الانطاكي ص ١٧ .

واشهر مؤلفات ابن خلكان (وفيات الأعيان ، وانباء ابناء الزمان) تعرّض فيه لذكر المشاهير من التابعين ، ومن بعدهم إلى زمان نفسه ، وقد أظهر في هذا الكتاب من التعصب على جماعة والغلوّ في آخرين يتجلى ذلك واضحاً لمن سبر غوره ، وأنعم النظر فيه ، ولو لا خوف الاطالة لذكرت جملا من ذلك .

وفي هذا الكتاب بذر بذرة التشكيك في (نهج البلاغة) وفي من جمعه إذ قال في (وفيات الأعيان) ج ٣ : ٣ عندما ترجم للسيد المرتضى [٢] :

« وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، هل جمعه ؟ أم جمع أخيه الرضى ؟ وقد قيل : إنه ليس من كلام علي ، وانما الذي جمعه ،ونسبه إليه هو الذي وضعه والله اعلم انتهى » .

ثم جاء من بعده كل من الصفدي في (الوافي بالوفيات) واليافعي في « مرآة الجنان » : ج ٣ ص ٥٥ والذهبي في (ميزان الاعتدال) : ج ١ ص ١٠١وابن حجر في « لسان الميزان »: ج ٤ص ٢٢٣ وغير اولئك من القدامى والمحدثين، فتابعوه على هذا الرأي ، وترسموا خطاه ، ونهجوا سبيله،ونسجوا على منواله شبهاً وأوهاماً هي أو هى من بيت العنكبوت ، لايقوم لها دليل ، ولاتستند إلى ركن وثيق ، وقد تصدى جماعة من علماء الامامية وأدبائهم قديماً وحديثاً إلى تفنيد تلك المزاعم، ومحق تلك الافائك بالدليل العلمي والبرهان المنطقي، والدراسة الموضوعية كما ستقف على اكثره في مطاوي هذا الكتاب .

وهل تزن قول ابن خلكان بميزان العدل ، لا بـ (ميزان الاعتدال) [١] لنعرف مبلغه من العلم ، ومكانته في التحقيق ،ومحله في الدراية والرواية .

---

(١) قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » ج ١ ص ١٠١ في ترجمة الشريف المرتضى :انه هو المتهم بوضع (نهج البلاغة) ثم قال : ومن طالع كتاب (نهج البلاغة) جزم بأنه مكذوب على =

أولا – تراد يذكر الاختلاف بين الناس في « نهج البلاغة » هل هو – أي المرتضى – جمعه ؟ ام جمع اخيه الرضى ؟ وليته دلنا على واحد من اولئك الناس الذين اختلفوا في جامع (نهج البلاغة) ، وليتك – أخي القارىء – تعثر لنا على واحد من اولئك الناس ، في الكتب المؤلفة قبل (وفيات ابن خلكان) وما اكثرها في هذا الوقت .

ثانياً – إنّ مما لا يختلف فيه اثنان أن (المجازات النبوية) أو « مجازات الآثار النبوية » – كما يسمى احياناً – و (حقائق التأويل) و (خصائص الأئمة) من مؤلفات الشريف الرضى، وإليك إشارات الرضى في هذه الكتب ان (نهج البلاغة) من جمعه .

أ – في المجازات النبوية :

صرح الرضي في خمسة مواضع من هذا الكتاب أن (نهج البلاغة) من جمعه :

١ – عند كلامه على قوله ﷺ : « أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ[1] ، ذو حظ من صلاة » :.: قال : ويبيّن ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له :« تخففوا تلحقوا » وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ « نهج البلاغة » الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من أولاده[2] .

= أمير المؤمنين علي ، ففيه السب الصريح، والحط على السيدين ابي بكر وعمر الخ وستجزم – بعون الله – بعد الامعان في كتابي هذا ببطلان هذا الكلام .

(١) الحاذ بالحاء المهملة والذال المعجمة وهو على قول بعضهم طريقة المتن من الانسان ، وما وقع عليه اللبد من ظهر الفرس .

(٢) المجازات النبوية ص ٤٠ وانظر (النهج) ج ١ ص ٥٤ و ج ٢ ص ٩٢ .

٢ – في كلامه على الحديث « اسرعكن لحاقاً بي ، اطولكن يداً » . قال : ومثل ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام : « من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة » ... وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ « نهج البلاغة »[١].

٣ – عند كلامه على الاستعارة في قوله صلى الله عليه وآله في خطبة له « ألا وإنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة » ... قال : « ويروى هذا الكلام على تغيير في ألفاظه لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وقد أوردناه في كتابنا الموسوم بـ « نهج البلاغة » وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام في جميع المعاني والأغراض ، والأجناس والأعراض »[٢] .

٤ – في حديث القرآن « ما نزل من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن ، ولكلّ حرف حدّ ، ولكلّ حدّ مقطع » . : قال : « المراد ان القرآن يتقلب وجوهاً ، ويحتمل من التأويلات ضروباً كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له فقال « القرآن حمال ذو وجوه » أي يحتمل التصريف على التأويلات ، والحمل على الوجوه المختلفات ، وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بـ « نهج البلاغة » [٣] .

٥ – عند الكلام على قوله صلوات الله عليه وآله (القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض) ... قال : « وربما نسب هذا الكلام الى امير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه ، وقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب (نهج البلاغة) [٤]».

يضاف الى ذلك إن في (نهج البلاغة) ذكر لكتاب (المجازات) عند قوله

---

(١) المجازات النبوية ص ٦٠ وراجع « النهج » ج ٣ ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢ ، وتأمل « نهج البلاغة » ج ١ ص ٦٦ و ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨ وانظر « نهج البلاغة » ج ٣ ص ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٤ وراجع « نهج البلاغة » ج ٣ ص ١٨٦ .

عليه السلام « العين وكاء السه » [1] قال الرضي رحمه الله تعالى : وهذا من الاستعارات العجيبة — الى ان قال — وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بـ (مجازات الآثار النبوية) [2] وكلامه حول هذه الكلمة في ص ٢٠٨ من (المجازات) وقال بعد ذلك ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف ، وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي صلى الله عليه وآله .

وقد احتاط الرضي رحمه الله في نقل هذا الحديث في (النهج) فقال : وهذا القول في الاشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد ... الخ [2] .

ب — في حقائق التأويل :

هذا الكتاب من أنفس كتب التفسير واعلاها ، كشف فيه عن غرائب القرآن وعجائبه ، وخفاياه وغوامضه ، واسراره ودقائق اخباره ، ويقال : انه بحجم (التبيان) للشيخ الطوسي ، والموجود منه الآن الجزء الخامس فقط يبتدىء فيه من أول السورة التي يذكر فيها آل عمران إلى أواسط السورة التي يذكر فيها النساء وقد طبع في النجف الاشرف طبعة متقنة بتحقيق العلامة الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء رحمه الله ، وقدم له العلامة المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلي مقدمة ضافية .

ولا خلاف بين أهل العلم أن هذا الكتاب الجليل للسيد الرضي رحمه الله، ومما يؤسف له أنه لا يوجد منه إلا الجزء الخامس ومع هذا جاء فيه تصريح من الرضي بأن (نهج البلاغة) من تأليفه .

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢٦٣ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٢٦٣ .

قال رحمه الله في ص١٦٧ بعد ان ذكر طرفاً من علو بلاغة القرآن الكريم: « وإني لأقول أبداً : لو كان كلام يلحق بغباره ، او يجري في مضماره بعد كلام رسول الله ﷺ لكان ذلك كلام امير المؤمنين عليه السلام ، إذ كان منفرداً بطريقة الفصاحة ، لا تزاحمه عليها المناكب ، ولا يلحق بعقوه فيها الكادح الجاهد ، ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه وسميناه بـ (نهج البلاغة) ، ويشتمل على مختار جميع الواقع الينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، في جميع الانحاء والاغراض ، والاجناس والانواع من خطب وكتب ، ومواعظ وحكم ، وبوبناه أبواباً ثلاثة ، تشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصّلة ، وقد عظم الانتفاع به ، وكثر الطالبون له ، لعظيم ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها ، وشرائف الكلم ونفائسها ، وجواهر الفقر وفرائدها وكلامه عليه السلام مع ما ذكر من علو طبقته ، وخلو طريقه ، وانفراد طريقته ، فإنه إذا حول ليلحق غاية من أدنى غايات القرآن وجد ناكساً متقاعساً ، ومقهقراً راجعاً ، واقفاً بليداً ، وواقعاً بعيداً ، على انه الكلام الذي وصفناه بسبق المجارين والعلو على المسامين ... الخ »

هذا ولعلّ من يوفق للعثور على بقية أجزاء (حقائق التأويل) يجد ذكراً للنهج في عدّة مواضع منه .

يضاف إلى ذلك أن لحقائق التأويل ذكر في (المجازات النبوية) ص : ٢٥٨ .

ج – في خصائص الأئمة :

اتفق كتاب التراجم ، واصحاب الفهارس على أن هذا الكتاب من جملة تآليف الشريف الرضي رحمه الله ، وقد ذكر (الخصائص) في موضعين من (نهج البلاغة) مما يشعر أن مؤلف (النهج) هو مؤلف (الخصائص) .

(الأول) في مقدمة (النهج) وهو قوله : فإني كنت في عنفوان السن

وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب في (خصائص الأئمة) عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم ، وجواهر كلامهم ، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب ، وجعلته امام الكلام ولما فرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً صلوات الله عليه وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام، ومماطلات الزمان، وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبواباً وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه‌السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة ، والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ، ومتعجبين من نواصعه ، وسألوني عند ذلك أن ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين عليه‌السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب[1] ... الخ .

(الثاني) : عند تعليق جامع النهج على قوله عليه‌السلام (تخففوا تلحقوا).

قال : فأما قوله عليه‌السلام (تخففوا تلحقوا) فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولا ، وما أبعد غورها من كلمة ، وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب (الخصائص) على عظم قدرها ، وشرف جوهرها[2] ».

وكتاب (خصائص الأئمة) ذكره شيخنا الطهراني حفظه الله في (الذريعة) ج ٧ ص ١٦٢ ، فقال عنه : « كان عند شيخنا المحدث النوري ، ورأيت في مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء نسخة كتابتها حدود (١٠٧٠) قال في ديباجته :«كنت – حفظ الله عليك دينك ، وقوى في ولاء العترة يقينك – سألتني أن أصنف لك كتاباً يشتمل على خصائص أخبار الأئمة الاثنى عشر صلوات الله عليهم ، وعلى ترتيب ايامهم ، وتدريج طبقاتهم ، ذاكراً أوقات

---

(١) نهج البلاغة ١ : ٢ .

(٢) نهج البلاغة ١ : ٥٤ ، وانظر « الخصائص » ص ٨٧ .

مواليدهم ، ومدد أعمارهم ، وتاريخ وفيـــاتهم ومواضع قبورهم ، وأسامي أمهاتهم ، ومختصراً من فضل زياراتهم ، ثم مورداً طرفاً من جوابات المسائل التي سئلوا عنها ، واستخرجت أقاويلهم فيها ، ولمعاً من اسرار أحاديثهم ، وظواهر وبواطن اعلامهم ونبذاً من الصحاح في النص عليهم – إلى أن ذكر في سبب التأليف – أن الباعث على تأليفه هو تعيـــير بعض علينا ، بعدم تأليف لنا في هذا الموضوع » .

وكان شروعه في التـــأليف (٣٨٣) والاسف انه لم يتم الكتاب بجميع مقاصده ، لاشتغاله بجمع كتابه (نهج البلاغة) كما صرّح في ذلك في أول (النهج) وانما خرج من (الخصائص) أبواب وفصول من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي الفصل الاخير أورد الكلمات القصار له ، والمجموع يقرب من ألف وخمسمائة بيت ثلثها الكلمات القصار ، فعند ذلك عنّ له أن يكتب جميع ما صدر من معـــدن الفصاحة من الخطب والكتب والكلمات فاشتغل بجمع (النهج) إلى ان فرغ منه في سنة (٤٠٠) ولم يمهله الاجل لاتمام (الخصائص) .

ونسخة الشيخ شير محمد الهمداني المعاصر في النجف منتسخة من نسخة الشيخ هادى ، ورأيت في طهران نسخة اخرى في مكتبة سلطان العلماء ، ونسخـة في مكتبة راجـة فيض آباد كما في فهرسها المخطوط » انتهى كلامه رحمه الله .

وقد طبع الكتاب في النجف الاشرف سنة ١٣٦٩ هـ.

وتوجد من (خصائص الائمة) نسخة ثمينة قديمة في مكتبة رامبور وفي ختامها ان كاتبها عبد الجبار بن الحسين بن ابي القاسم الفرهاني فرغ من كتابتها سنة (٥٥٣)هـ.وكتب الكاتب نفسه بخطه :(كتاب خصائص الأئمة الاثنى عشر تصنيف السيد الامام ذي الحسبين أبيالحسن محمد بن الحسين بن موسىالموسوي

رضي الله عنه) [1] .

تلك نصوص الشريف الرضي رحمه الله في كتبه التي لا يختلف في نسبتها إليه وهي تنادي بأفصح لسان ، واوضح بيان أن (نهج البـــلاغة) له لا لأخيه المرتضى وهذه معاجم الشيعة جمعاء فلن تجد من ترجمة اربابها إلا ناصاً على صحة النسب،وجازماً باستقامة النسب منذ عصر المؤلف والى اليوم الحاضر انظر « فهرست ابي العباس النجـــاشي » المتوفى سنة (٤٥٠) « وفهرست الشيخ منتجب الدين » المتوفى (٥٨٥) و ... و ... و[2] .

عرفت فيما تقدم ان « نهج البلاغة » من مؤلفات الشريف الرضي وان القول بأنه من جمع اخيه المرتضى – بعدما سلف – سفه في الرأي واصرار على الخطأ ، وستعرف ان شاء الله تعالى ، ان الرضي روى ما رأى ، وأورد ماورد وان اتهامه بالكذب على امير المؤمنين في سبيل النزعة المذهبية مردود لايقبله إلا من يجهل اخلاق الرضي[3].

ولا أدري كيف يتهم الشريف بالوضع وهو عـــلم من اعلام طائفة من المسلمين يرون ان الكذب مطلقاً – فضـــلا عن الكذب على الله والرسول والأئمة – اعظم جرماً ، واكبر اثماً من شرب الخمر – وشارب الخمر عندهم كعابد الوثن [4] – ! وقد انفردوا بحكم خاص وهو أنّ من جملة المفطرات عندهم في شهر رمضان تعمد الكذب على الله والرسول والأئمة عليهم السلام سواء كان متعلقاً بامور الدين او الدنيا ، وسواء كان بنحو الأخبار او الفتوى بالعربي او بغيره من اللغات ، من غير فرق ان يكون بالقول او الكتـابة ،

---

(١) استناد نهج البلاغة للاستاذ علي خان العرشي ص ٧ .

(٢) الغدير ٤ : ١٩٤ .

(٣) عبقرية الشريف الرضي ٢ : ٢٦١ .

(٤) الانوار النعمانية .

او الاشارة او الكناية ، ولا فرق ان يكون المكذوب في كتـاب من كتب الأخبار أولاً ، فمع العلم بكذبه لا يجوز الاخبـار به وان اسنده الى ذلك الكتاب[1] :

كل ذلك حيطة للدين ، وحماية لمعالمه ، وحفظاً لاحكامه ، حتى لايتلاعب به اهل الاهواء ، فيدخل فيه ما ليس منه ، واذا رجعت الى ما صنفه علماء الامامية في احوال الرجال ، وكتب الجرح والتعديل ، وما وضعوه من قواعد راسخة ، واصول محكمة ، في نقل الاحاديث واخذ الاخبار ، واستنبـاط الاحكام ، تجد الصدق والامانة ، والدين والورع ، بأجمل صورها ، واسمى معانيها .

ولكن ذنب الشيعة الامامية وجريمتهم التي لا تغتفر (انهم لا يعتبرون من الاحاديث إلا ماصح لهم من طرق اهل البيت عن جدهم ، يعني ما رواه الصادق ، عن ابيه الباقر ، عن ابيه زين العابدين ، عن الحسين السبط ، عن أبيه أمير المؤمنين ، عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً) [2] .

ولا تثريب عليهم ، ولا ذنب لهم اذا تورعوا في النقل ، وتحروا الحقائق وتوخوا الصدق ، وضربوا بكل ما وجدوا به ادنى خدش عرض الجدار (فقد اتسع نطاق الكذب على الله وعلى رسوله وتلاطمت امواج الافتراء ، وتصدر قوم لا امانة لهم ، ولا دين يردعهم ، ولا عهد لهم بالصدق ، فحدثوا الناس بالاكاذيب ونمّقوا وزوّروا ووضعوا من الاحاديث أنـّى شاءت رغباتهم ، إرضاء لسلطان لا يرعى للصدق حرمة ، ولا يرى للدين قيمة ،

(١) مقتطف من (العروة الوثقى) للامام اليزدي ، ومن أراد التوسع فعليه بالطولات من كتب الفقه الامامي . أمثال (جواهر الكلام) و (مفتاح الكرامة) و (الحدائق الناضرة) و (مستمسك العروة الوثقى) .

(٢) أصل الشيعة واصولها ص ١٤٩ .

فدرج النـــاس على ذلك ، وتلقوا تلك الاحاديث بلا تمحيص ولا تتبع) [1] :

وما أحق الشيعة ان يستشهدوا بالمثل الســائر (رمتني بدائها وانسلت) وما أولاهم بالتمثل بقول الشاعر :

فانك إن تهج حنيفة سادراً — فقبلك قد فاتوا يد المتنــاول
كفرعون إذ يرمي السماء بسهمه — فردّ عليــه السهم أفوق ناصل

---

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ١ : ١٧٧ .

شبهات

حول «نهج البلاغة»

ثم جاء بعد ابن خلكان اقوام فتعاهدوا تلك البذرة التي اشرنا إليها فيما سلف حتى اخرجوا منها نبتة أشبه بخضراء الدمن فكانت ثمرتها ما يأتي : —

(١) ان في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله ﷺ ما لا يسلم ان يصح صدوره عن مثل الامام علي[١] .

(٢) ما فيه من ذكر الوصي والوصاية [٢] .

(٣) طول بعض الخطب والكتب كالقاصعة ، والاشباح ، وعهد مالك بما لم يك مألوفاً في صدر الاسلام [٣] .

(٤) إنّ فيه من السجع والتنميق اللفظي ، وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الامام ولا عرفه ، وإنما ذلك طرأ على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الاسلام وافتتن به ادباء العصر العباسي والشريف الرضى جاء من بعد ذلك على ما الفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم .

---

(١) مقدمة الشيخ محي الدين عبد الحميد لشرح الشيخ محمد عبده على « النهج » .

(٢) اثر التشيع في الادب العربي ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦ ، و (الامام علي) لاحمد زكي صفوت ص ١٣١ .

(٥) ان فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، واحكام الفكرة، وبلوغ النهـــاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس ، والنملة والجرادة ، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول، ولا ادباؤه ولاشعراؤه وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية، ويدخل في هـذا استعمال الألفاظ الاصطلاحية التي عرفت في علوم الحكمة من بعد كالأين والكيف ونحوهما .

وكذلك استعمال الطريقة العـددية في شرح المسائل ، وفي تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله : « الاستغفار على ستة معـان » ، « الايمان على اربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهاد . والصبر منها على اربع شعب ..الخ».

(٦) ان في عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب ، وهذا أمر يجل عن مثله مقـام علي ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسالة ، ورأى نور النبوة [١] .

(٧) ما فيه من الحث على الزهد ، وذكر الموت ، وقرض الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام [٢] .

(٨) وصف الحياة الإجتماعية على نحو لم يعرف إلا في عصور متـأخرة ، ترى في هذه الخطب طعناً شديداً على الوزراء والحكام والولاة والقضاة والعلماء في السلوك والاخلاق ، وفي الذمم والضمائر ، ووصفاً للقضاة بالجهل وعـدم المعرفة بأحكام الشريعة [٣].

(٩) إن بعض ما روي عن علي في (نهج البـــلاغة) روي عن غيره في غيره ، كقوله :« كان لي فيما مضى أخ عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه»..

---

(١) مقدمة الشيخ محمد محي الدين المذكورة آنفاً .

(٢) انظر اثر التشيع في الادب العربي ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ .

وهذا مروي عن ابن المقفع [1] ، وكقوله : « الدنيا دار مجاز ... » يروى لسحبان وائل [2] .

(١٠) خلو الكتب الأدبية عن كثير مما في « نهج البلاغة » [3] .

وستقرأ على الصفحات التالية البراهين التي أوردناها في دحض تلك المزاعم، وتبديد تلك الاوهام .

---

(١) عبد الله بن المقفع الاديب المشهور ، الماهر في صنعة الانشاء ، فارسي الاصل ، وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي (عم المنصور) ، وتسمى بعبد الله وكان اسمه روزبه واسم ابيه واذجشنش ، وانما سمي بالمقفع بكسر الفاء لأنه كان يصنع القفاع (والقفاع وعاء يعمل من خوص شبيه بالمكتل لكنه بغير عروة) ، وقيل : انما سمي بالمقفع لان بعض الولاة ضربه فتقفعت « أي تقبضت » يداه فعلى هذا يكون « بفتح الفاء » .

صنف ابن المقفع « الدرة اليتيمة في طاعة الملوك » و « الادب الكبير » و « الادب الصغير » وضمنها بعض حكم امير المؤمنين عليه السلام كما ستعرف ذلك عند قوله عليه السلام « كان لي فيما مضى اخ عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه » ، وعرب كتاب « كليلة ودمنة » وقيل انه من انشائه وقتله سفيان بن معاوية بن المهلب بن ابي صفرة امير البصرة بأمر المنصور سنة ١٤٣ .

(٢) ترجمة علي بن ابي طالب لأحمد زكي صفوت .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٢ .

(١)

الصحابة

في (نهج البلاغة)

« لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى احداً منكم يشبههم ! لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب »

« نهج البلاغة ١ : ١٩٠ »

الصحبة لغة هي المعاشرة ، وتطلق على المعاشرة في الزمن القليل والكثير ، ولذلك يقال : صحبت فلاناً حولا وشهراً ويوماً وساعة ، فيوقع اسم لقليل ما يقع عليه منها كثيره [1] ، وتقع بين المؤمن والكافر ، كما تقع بين المؤمن

---

(١) اسد الغابة ١ : ١٢ .

والمؤمن قال تعالى : (قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، الكهف : ٣٨) والقصة تدل على أن المحاورة جرت بين مؤمن وكافر ، وقال تعالى مخاطباً مشركي قريش (ما ضل صاحبكم وما غوى ، النجم : ٣) ، وقال جلّ شأنه : (ما بصاحبكم من جنة ، سبأ : ٤٧) ... إلى غير ذلك من الآيات البيّنات ، وقال ﷺ وقد اشير عليه بقتل عبد الله بن أبي، رأس المنافقين :(بل نحسن صحبته ، ونترفق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)[1].

وقد اصطلح علماء الحديث ، على أنّ الصحابي من رأى رسول الله ﷺ وقد ادرك الحلم فأسلم،وعقل أمر الدين ورضيه وصحبه ولو ساعة من نهار[2] ، وذهب أكثرهم إلى تعديلهم جميعاً ،وتأويل ما ينافي ذلك ، ولا مشاحة في أن الصحبة فضيلة جليلة،ولكن الصحابة لم يكونوا طرازاً واحداً في الفقه والعلم، ولا نمطاً متشابهاً في الادراك والفهم ، وإنما كانوا في ذلك طبقات متفاوتة ، ودرجات متباينة ، شأن الناس جميعاً في هذه الحياة؛ سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا)[3] . ففيهم من أحسن الصحبة ، وأبلى البلاء الحسن ، وجاهد في الله حق جهاده،وسابقوا إلى دعوته ومنهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، الفتح : ٢٩) ولم يحدثوا بعد رسول الله حدثاً ، ولم يؤوا محدثاً ، إلى غير ذلك مما وصفهم الله ورسوله به .

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود : قال: قال النبي ﷺ :(انا فرطكم

---

(١) اسد الغابة ٣ : ١٩٧ .

(٢) انظر اسد الغابة ١ : ١٢ .

(٣) اضواء على السنة المحمدية ط اولى ص ٤٥ .

على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني . فأقول: ربي اصحابي فيقال: لاتدري ما احدثوا بعدك . وروى مثله البخاري ايضاً عن سهل بن سعد وزاد عليه فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي).

كما ان فيهم الذين (ابتغوا الفتنة ، التوبة : ٤٧) ومنهم (من يقول إءذن لي ولاتفتني ، التوبة : ٤٨) ومنهم من لمز النبي (في الصدقات ، التوبة:٥٧) ومنهم من آذاه وقالوا (هو اذن،التوبة ٦٠) ومنهم « الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، التوبة : ١٠٦) ومنهم من كان في قلبه مرض ومنهم المعوقون ، ومنهم الذين اعتـذروا في غزوة تبوك وكانوا بضعة وثمانين رجـلا وحلفوا للنبي فقبل منهم علانيتهم فنزل فيهم قـوله تعالى: (سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهـم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين ، التوبة : ٩٣) . وفي هذه الغزوة همّ أربعة عشر منافقاً ليفتكوا برسول الله في ظلمات الليل عند عقبة هناك ، ولما انصرف النبي ﷺ من هذه الغزوة إلى المدينة كان في الطريق ماء يخرج من وشل بوادي المشقق . فقال رسول الله : «من سبق إلى ذلك الماء فلايسقين منه شيئاً حتى نأتيه فسبقه إليه نفر من المنافقين واستقوا مافيه فلما أتاه رسول الله وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، ولما علم النبي بأمر المنافقين ، قال : « او لم ننههم ان يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ثم لعنهم ودعا عليهم » .

وبحسبك ان تجد في القرآن سورة تسمى سورة المنافقين.

وروى البخاري عن زيد بن ثابت : لما خرج النبي إلى أحد رجع ناس من أصحابه فقـالت فرقة منهم : نقتلهم ، وقالت فرقة : لانقتلهم فنزلت الآية الكريمة (وما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا . . . الآية ، النساء : ٨٦) ، قال الراغب في مفرداته : أركسهم اي ردهم إلى الكفر .

والكلام في هذا الباب كثير جداً [١] .

وفي القرآن الكريم قبل (نهج البلاغة) تعريض ببعض الصحـابة ، وذم طائفة منهم – كما مـــر عليك طرف من ذلك – وكذلك كتب الصحاح والمسانيد المعتبرة لم تخل من الذم لبعضهم ، بل رأينا الصحـابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، ولو كانت الصحابة عند نفسهـا بالمنزلة التي لايصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك ، وهذا طلحة والزبير ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا ان يمسكوا عن علي ، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب اصحابه بالسيف وكالذي روى عن عمر انه طعن في رواية أبي هريرة ، وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبها الى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وقـل ان يكون في الصحـابة من سلم من لسانه او يده ، الى كثير من امثال ذلك ممـا رواه التاريخ .

روى ابن الاثير في (اسد الغابة) ج ٤ ص ٢٩٢ في ترجمة السائب بن أبي حبيش قال فيـه عمر رضي الله عنه : « ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً ، ومـا أحد بعد رسول الله إلا وأنا أقدر أن اعيبه » وهذا طعن في الصحابة بالجملة .

وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العصاة منهم هذا القول ، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك ، فالصحابة قوم من النـاس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم [٢] . واعتبارهم جميعاً عدولا ، لايجوز عليهم نقد ، ولايتجه اليهم طعن ، ولايتسرب إليهم تجريح مراغمة واضحة للقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والسيرة الثابتة ، وليتني أدري لماذا يمتنع على علي عليه‌السلام شتم خصومه وأعدائه الذين شتموه ، ونكثوا بيعته ، وبغوا عليـه ،

---

(١) اضواء على السنة المحمدية ٣٢٢.

(٢) ضحى الاسلام ٣ : ٧٥ – ٧٦ .

وتألبوا لقتاله ؟ وأي انكار على (نهج البلاغة) إذا نقل فيه شيء من ذلك ؟ يقول الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد : كنا نتكلم في هـذا الموضوع مرّة فقال أحد إخواننا : أنا لا افهم معنى لانكار بعض الناس أن يقول علي في معاوية وعمرو بن العاص وهم يؤمنون بأنه حاربها ، ودعاهمـا مبارزته (١) .

ويجدر بنا ههنا ان ننقل كلاماً للعلامة المتضلع السيد محمد بن‌عقيل العلوي الحضرمي قـال : « سب من يسمونهم صحـابة حسب اصطلاحهم الحـادث بعضهم لبعض قد وقع قطعاً ، ولاسبيل لتأثيمهم كلهم ، كما لاسبيل إلى القول بضد ذلك وحيث أنه لم يقل أحد يعتد بقوله بتخطئة الامام علي ، تحققنـا ان سبه عليه‌السلام لاعدائه كان طاعة لله فهو فيه مثاب ، ومثله من شاركه وناصره واتبعه ، كما تيقنا أن سبّ أعدائه له كان ظلماً وإثماً ،ونفاقاً وفسوقاً.

فما يفهمه قولهم من ذم كل ساب لأي فرد ممن سموهم باصطلاحهم صحـابة باطل قطعاً وإلا لدخـــل فيه علي من جهتين متقابلتين ففي إثباته ابطاله فتأمل»(٢).

يضاف إلى ذلك أن جميع التعريض والسباب ـ على حـــد تعبيرهم ـ الموجود في (نهج البلاغة) ما هو إلا نقد بناء ، ووصف للاعمال، بلغة مهذبة، والفاظ متزنة لم يخرج بها عن حق ، ولم يدخل فيها بباطل ، ونظرة واحدة في ثنايا الكتاب تغني عن سرد الشواهد وتسطير الادلة .

هذا وإن في (نهج البـلاغة) من مديح الصحابة شيئاً ليس بالقليـل من ذلك قوله عليه‌السلام : (لقد رأيت اصحاب محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله فما أرى أحداً منكم يشبههم ... الخ) كما مر قبل قليل.

والقاعدة عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه في الصحابة (رض) تلوح

---

(١) مقدمة شرح النهج للشيخ محمد عبده.

(٢) تقوية الايمان ص٥٩ .

في قوله عليه السلام الذي رواه القاضي النعمان بن أبي عبد الله محمد المصري المتوفى سنة (٣٦٣) في كتـاب « دعائم الاسلام » : (واوصيكم بأصحـاب محمد الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يأووا محدثاً ، ولم يمنعوا حقاً ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصانا بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم [1]) .

وبالجملة الصحابة ناس كغيرهم — مع فضل الصحبة — فيهم العدول الثقاة ، والقادة الهداة ، وفيهم الناكثون والمارقون والبغـاة ، وفيهم من لعبت بهم الاهواء ، وفيهم من خـرج عن الحق ، وفيهم من رجع إليـه ، والامور بعواقبها ، والأعمال بخواتمها والى الله المصير .

---

(١) خاتمة المستدرك ٣ : ٣٤٣ عن كتاب « دعائم الاسلام ».

(٢)

الوصي والوصاية

حديث الوصي والوصاية أمر مشهوربين الناس ، معروف لديهم قبل (نهج البلاغة) وبعده ، والآثار ناطقة به ، والكتب مليئة بذكره فقلّ أن تجد كتاباً في التفسير ، أو الحديث أو التاريخ ، أو السير ، أو الشعر أو الأدب إلا وفيه شيء من ذكره ، أو الإشارة إليه .

وإذا كانت الوصيّة في الحطام الزائل، والعرض الحاضر، فريضة محكمة ، وسنة ثابتة ، حتى جاء في صحيحي البخارى ومسلم [1] عن رسول الله ﷺ إنه قال : (ما حقّ امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم : (يبيت ثلاثة ليال) ، قال ابن عمر : مامرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي ، وقال ﷺ : (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية) [2] ، وقال ﷺ : (ومن لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً

---

(١) صحيح البخاري ٢/٣ كتاب الوصية ، وصحيح مسلم ٤/١٠ .

(٢) مشكاة الأنوار ص ٣٠٠ .

في مروّته وعقله)[1] .

فما بالها تنفى في خلافة راشدة ، وشريعة خالدة ، متكفلة بصلاح النفوس والنواميس، والأموال والأحكام ، والأخلاق والصالح العام، والسلام والوئام، ومن المسلم قصور الفهم البشري العادي عن غايات تلك الشئون ، فلا منتدح والحالة هذه أن يعين الرسول الأمين عن ربه خليفته من بعده ، ليقتص اثره [2] .

أيكون أبو بكر (رض) أحرص على مصلحة الامة من نبي الرّحمة فيوصي بها إلى عمر ؟

أفتكون ام المؤمنين عائشة (رض) أنظر للامة من رسول الله ﷺ فتقول لعبد الله بن عمر : يابني أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع امة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فاني أخشى عليهم الفتنة[3] .

أو يكون عبد الله بن عمر أعلم بمآل الامور فيقول لأبيه : لو استخلفت؟ قال : من ؟ قال : تجتهد فانّك لست لهم بربّ ، أرأيت لو أنك بعثت إلى قيم أرضك ألم تحب أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلى قال : أرأيت إلى راعي غنمك ألم تحبّ أن يستخلف رجلا حتى يرجع؟ [4]

أيخشى معاوية أن يدع امة محمد بعده كالضان لا راعي لها [5] ولا يخشى محمد ذلك ؟!

ولما ترك النبي ﷺ امته سدى هملا ؟ وفتح بذلك أبواب الفتن المضلة

---

(١) مشكاة الأنوار .
(٢) الغدير ١٧٢/٧ .
(٣) الامامة والسياسة ٢٢/١ .
(٤) طبقات ابن سعد ٢٤٩/٣ .
(٥) انظر الطبري ١٧٠/٦ .

المدلهمة ؟ وإستحقر امته ورأى رعيته أهون من رعية الابل والغنم ؟ حاشا النبي الأعظم عن هـــذه الأوهام ، فانه ﷺ وصى واستخلف ونص على خليفته وبلغ امته ، غير أنه عهد إلى وصيّه من بعده : إن الامة ستغدر به بعده كما ورد في الصحيح [١] وقال له أيضاً : (أما انك ستلقى بعدي جهداً) قال علي : في سلامة من ديني ؟ قال : (في سلامة من دينك)[٢] وقال لعلي : (ضغائن في صدور أقوام لايبدونها إلا من بعدي) [٣] وقال له : (ياعلي إنـّك ستبتلي بعدي فلا تقاتلن) . «كنوز الدقائق للمناوى ص ١٨٨»[٤].

وعلى كل حال لو أردنا التبسط في الحديث عن الوصاية والوصي لأتينا بما يضاهي هذا الـكتاب بل يزيد عليه أضعافاً ، ولـكن سنشير إلى نماذج من ذلك لترى أن (نهج البلاغة) لم ينفرد بذلك بل لم ينطو إلا على النزر اليسير، ولتعرف أنّ حديث الوصي والوصـــاية من الشهرة والتواتر بمكان عظيم : وهاك فخذها :

١ ـــ « منها ما كان في مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهور الإسلام وحين أنزل الله تعـالى عليه ﷺ (وأنذر عشيرتك الأقربين ، الشعراء : ٢١٥) فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب ، وهم يومئـذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا ، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمـــزة والعبّـاس وأبو لهب ، والحديث في ذلك من صحاح السنن المذكورة وفي آخره قال ﷺ : «يا بني

(١) مستدرك الحـاكم ٣/١٤٠ — ١٤٢ وصححه هو والذهبي في تلخيصه ، تاريخ بغـداد ١١/٢١٦ ، تاريخ إبن كثير ٦/٢١٩ ، كنز العمال ٦/١٥٧ .

(٢) مستدرك الحاكم ٣/١٤٠ وصححه هو وأقره الذهبي .

(٣) أخرجه ابن عساكر والمحب الطبري في « الرياض » ٢ / ٢١٠ نقلا عن أحمـــد في « المناقب » والحافظ الكنجي في « الكفاية » ص ٢٤٢ ، والخوارزمي في المقتل ١/٣٦ .

(٤) انظر الغدير ٧/١٧٣ .

عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ » فأحجم القوم عنها غير علي وكان أصغرهم إذ قام فقال : أنا يانبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله برقبته وقال : « إنّ هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ا هـ .

أخرجه بهذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية كابن اسحق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي في سننه ، وفي دلائله ، والثعلبي والطبري في تفسير سورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين ، وأخرجه الطبري أيضاً في الجزء الثاني من كتاب « تاريخ الامم والملوك » [1] وأرسله ابن الاثير إرسال المسلمات في الجزء الثاني من كامله [2] عند ذكر أمر الله نبيه بإظهار دعوته وأبو الفداء في الجزء الأول من تاريخه [3] عند ذكره أول من أسلم من الناس ، ونقله الأمام أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في كتابه « نقض العثمانية » مصرحاً بصحته [4] ، وأورده الحلبي في باب استخفائه ﷺ وأصحابه في دار الأرقم من سيرته المعروفة ، وأخرجه بهذا المعنى مع تقارب الألفاظ غير واحد من أثبات السنة ، وجهابذة الحديث كالطحاوي والضياء المقدسي في المختارة ، وسعيد بن منصور في السنن ، وحسبك ما أخرجه احمد بن حنبل من حديث علي في ص ١١١ وفي ص ١٥٩ من الجزء

---

(١) ص ٢١٧ بطرق مختلفة .

(٢) ص ٢٢ .

(٣) ص ١١٦ .

(٤) كما في ص٢٦٣ من المجلد ٣ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

الأول من مسنده فراجع : ... » الخ [1] .

٢ — وقال ﷺ : (إن الله تعالى أنزل إلي « بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد ، واعلم كلّ أبيض وأسود : أنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدى » .

(الولاية لمحمد بن جرير الطبرى) [2]

٣ — وقوله ﷺ : « معاشر الناس . هذا أخي ووصيي وواعي علمي ، وخليفتي على من آمن بي » .

(الولاية لمحمد بن جرير الطبري) [3]

٤ — وقال صلى الله عليه وآله : « علي وعاء علمي ، ووصيي وبابي الذى اوتي منه » .

(كفاية الطالب ص ٧٠ و ص ٩٣)

٥ — قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام : « إنّ الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختار أباك فبعثه نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك وأوحى إلي فاتخذته وصياً) .

(إكمال كنز العمال ٦ / ١٥٣ مجمع الزوائد ٩ / ١٦٥) [4]

---

(١) المراجعات لشرف الدين ص ١١٨ في المراجعة ٢٠ .

(٢) الغدير ٢١٥/١ .

(٣) المصدر المتقدم ٣١٥/١ .

(٤) المصدر المتقدم ٢٣/٣ .

٦ – ومنه قوله ﷺ : « أنا أفضل أنبياء الله ورسله ، وعلي بن أبي طالب أفضل الأوصياء ... الحديث » .

(رواه الحمويني في (فرائد السمطين) في السمط الاول في الباب ٥٨)

٧ – وقال ﷺ : « علي أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في امتي وولي كلّ مؤمن بعدى » .

(المصدر المذكور في السمط المزبور)

٨ – عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ لام سلمة : « هـذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي ، يا ام سلمة هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين ووعاء علمي ووصيي وبابي الذي اؤتى منه اخي في الدنيا والآخرة ومعي في المقام الاعلى ...) الحديث .

(مناقب الخوارزمي ص ٥٢ و ص ٥٨) .

٩ – عن سلمان قال : « قلت لرسول الله ﷺ : يارسول الله إنّه لم يكن نبي إلاّ وله وصي فمن وصيك ؟ » قال : « وصيي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي ، مؤدي ديني ومنجز عداتي علي بن ابي طالب » .

(الولاية لمحمد بن جرير الطبرى) [١]

١٠ – قال النبي ﷺ : « يا أنس يدخل عليك من هـذا الباب أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين ، قال أنس: قلت اللّهم اجعله رجلا من الأنصار ، وكتمته ، إذ جاء علي فقال : من هذا يا أنس ؟ قلت : علي فقام مستبشراً واعتنقه » ... الحديث .

---

(١) مناقب آل ابي طالب ٣/٤٧ .

(المصدر السابق ٤٨/٣ عن حلية الأولياء لأبي نعيم ، والولاية للطبرى) [1]

١١ – وقال ﷺ : « إن الله عز وجل عهد إلي في علي عهداً ، إن علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي الزمها المتقين ، من أحبه أحبني ، ومن أبغضه أبغضني ، فبشره ، فجاء علي فبشرته بذلك ، فقال : يارسول الله أنا عبد الله وفي قبضته ، فان يعذبني فبذنبي ، وإن يتم الذى بشرني به ، فالله أولى به ، قال ﷺ ، قلت : اللهم أجل قلبه ، وأجعله ربيعة الايمان ، فقال ربّي عز وجل ، قد فعلت به ذلك ، ثم قال تعالى : إني مستخصه بالبلاء ، فقلت : يارب إنّه أخي ووصيي ، فقال تعالى : إنّه شيء قد سبق إنه مبتلى ومبتلى به) .

(ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص ٨٩)

١٢ – عن أنس بن مالك ، قال : قلنا لسلمان : سل النبي ﷺ عن وصيّه ، فقال سلمان : يارسول الله من وصيك ؟ فقال : « ياسلمان من وصي موسى ؟ » فقال : يوشع بن نون ، قال ﷺ : « وصيي ووارثي ، يقضي ديني ، وينجز موعدي علي بن أبي طالب » .

(ينابيع المودة ص ٨٩ عن مسند أحمد بن حنبل)

١٣ – عن أبي أيوب : إنّ النبي ﷺ مرض مرضه فأتته فاطمة عليها السلام تعوده ، فلما رأت ما برسول الله من الجهد والضعف استعبرت فبكت

---

(١) كتاب « الولاية » في طرق حديث الغدير لمحمد بن جرير الطبرى صاحب التأريخ المشهور ، وسماه ياقوت في « معجم الادباء » ١٨ / ٨٠ « كتاب فضائل علي بن ابي طالب رضي الله عنه » وقال عنه : تكلم في أوله بصحة الاخبار الواردة في حديث غدير خم في مجلدين ضخمين: وقال الشيخ الطوسي في «الفهرست» ص ١٨٧ «محمد بن جرير الطبري صاحب التأريخ عامي المذهب له كتاب « غدير خم » وينقل عن هذا الكتاب كثير من المحدثين ، وأرباب المسانيد » .

حتى سالت دموعها على خديها ، فقال لها رسول الله ﷺ : « إنّ لكرامة الله اياك زوجتك من هو أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً ، ان الله اطلع إلى أهل الارض اطلاعة فاختارني منهم فبعثني نبياً مرسلا ، ثم اطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك فأوحى إلي أن ازوجك إياه واتخذه وصياً واخاً » . (مناقب الخطيب الخوارزمي ص ٦٧)

١٤ – ومن حديث ام سلمة مع مولى لها يبغض علياً عليه السلام قالت : « أقبل رسول الله ﷺ وكان يومي وإنما كان نصيبي في تسعة أيام يوماً واحداً ، فدخل النبي ﷺ وهو يتخلل أصابعه في أصابع علي عليه السلام واضعاً يده عليه ، فقال : « يا ام سلمة أخرجي من البيت وأخليه لنا ، فخرجت وأقبلا يتناجيان وأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان ، حتى إذا قلت : قد انتصف النهار وأقبلت وقلت ، السلام عليكم ، ألج ؟ فقال النبي ﷺ : لا تلجى وارجعي مكانك ، ثم تناجيا طويلاً ، حتى قام عمود الظهر ، فقلت : ذهب يومي وشغله عليّ، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب ، فقلت : السلام عليكم ألج ؟ فقال ﷺ : لاتلجي ، فرجعت وجلست مكاني ، حتى إذا أنا قلت قد زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي ، ولم أر قط أطول منه ، أقبلت أمشي حتى وقفت على باب الدار ، فقلت : السلام عليكم ألج ؟ فقال النبي ﷺ نعم فلجي ، فدخلت وعلي عليه السلام واضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قد أدنى فاه من أذن النبي ﷺ وفم النبي ﷺ على اذن علي ﷺ يتساران ، وعلي يقول : أفأمضي وأفعل ؟ والنبي ﷺ يقول : نعم ، فدخلت وعليّ معرض وجهه حتى دخلت وخرج ، فأخذني النبي ﷺ وأقعدني ، ثم قال : يا ام سلمة لا تلوميني فإن جبرئيل أتاني بأمر الله تعالى يأمرني أن أوصي به علياً من بعدي ، وكنت بين جبرئيل وعلي ، جبرئيل عن يميني ، وعلي عن شمالي ، فأمرني جبرئيل ان آمر علياً بما هو كائن بعدى فاعذريني ولا تلوميني ، إنّ الله اختار من كل امة نبياً واختار لكل نبي وصياً فأنا نبي هذه الامة ، وعلي

وصيي في عترتي واهل بيتي وامتي من بعدي » .

(مناقب الخوارزمي ص ٨٧)

١٥ — عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ياعلي أنت صاحب حوضي ، وصاحب لوائي ، وحبيب قلبي ، ووصيي ووارث علمي ... الحديث)

(ينابيع المودة ص ١٥٦)

١٦ — عن أبي الطفيــل عامر بن واثلة وهو آخر من مات من الصحابة بالاتفــاق عن علي رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : (ياعلي أنت وصيي حربك حربي وسلمك سلمي ... الحديث)

(ينابيع المودة ص ٩٧)

١٧ — عن علي بن الحسين عن أبيــه عن جــده أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : قال رســول الله ﷺ : « إن الله قد فرض عليــكم طاعتي ، ونهاكم عن معصيتي ، وفرض عليكم طاعة علي من بعدي ، ونهاكم عن معصيته وهو وصيي ووراثي ... الحديث »

(ينابيع المودة ص ١٤٥)

١٨ — قال ﷺ : «لكلّ نبيّ وصي ووارث وعلي وصييّ ووارثي» .
(ينابيع المودة ص ٢١٣ عن الفردوس للديلمي)

١٩ — عن بريدة مرفوعاً : « لــكلّ نبي وصي ووارث وأن عليــاً وصيي ووارثي » أخرجه أبو القاسم البغوي في « معجم الصحابة » .
(المصدر السابق ص ٢٤٥)

٢٠ — عن علي بن هلال عن أبيه قال : « دخلت على النبي ﷺ في مرضه فبكت فاطمة ، فقال : « مايبكيك يا ابنتي ؟ » فقالت : « أخشى

الضيعة بعدك » فقال : (يا حبيبتي إن الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختار منهم أباك فبعثه برسالته ، ثم اطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك ، وأوحى إلي أن انكحك إياه ، يافاطمة نحن أهل بيت قد أعطانا الله تبارك وتعالى سبع خصال لم يعطها أحداً قبلنا ، ولا يعطها أحداً بعدنا ، أنا خاتم النبيين، وأكرمهم على الله عز وجل أبوك ، ووصيي خير الأوصياء ، وأحبهم الى الله عز وجل بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء ، وأحبّهم إليّ حمزة عم أبيك وعمّ بعلك ، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنة مع الملائكة حيث يشاء ، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك ، ومنا سبطا هذه الامة ، وهما الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ابناك ، والذي بعثني بالحق نبياً إنّ المهدي من ولدك يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً) أخرجه الحافظ ابو العلاء الهمداني (في الأحاديث الأربعين في المهدي رضي الله عنه) .

(المصدر السابق ص ٢٦٥)

٢١ — عن خالد بن معدان رفعه : « إنّ من أحبّ أن يمسى في رحمة الله ويصبح في رحمة الله فلايدخل قلبه شكّ بأن ذريتي أفضل الذريات ، ووصيي أفضل الأوصياء » .

(المصدر السابق ص ٢٩١ عن كتاب مودة القربى للهمداني)

٢٢ _ ابن عباس قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال لي : (أبشرك إنّ الله تعالى أيدني بسيد الأولين والآخرين والوصيين علي فجعله كفو ابنتي فان اردت أن تنتفع فاتبعه) .

(اخرجه الهمداني في المودة الرابعة من كتاب مودة القربى)

٢٣ — علي عليه السلام رفعه : (إنّ الله تعالى جعل لكلّ نبي وصياً ، شيث وصي آدم ، ويوشع وصي موسى ، وشمعون وصي عيسى، وعلياً وصي محمد ... الحديث) . (مودة القربى ، المودة الرابعة)

٢٤ _ أنس رفعه : « إنّ الله اصطفاني على الأنبياء فاختارني واختار لي

وصياً . واخترت ابن عمي وصيي ، يشد عضدي كما يشد عضد موسى بأخيه هرون ... الحديث) .

(كتاب مودة القربي : المودة السادسة)

٢٥ ـ عن عباية بن ربعى رضي الله عنه مرفوعاً : « أنا سيد النبيين ، وعلي سيد الوصيين ... الحديث) .

(كتاب مودة القربى في المودة العاشرة)

٢٦ ـ قال رسول الله ﷺ : « أنا خاتم النبيين ، وأنت يا علي خاتم الوصيين إلى يوم الدين) أخرجه الحمويني عن ابي ذر .

(ينابيع المودة ص ٩٠)

٢٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ « إنّ علياً وصيي ومن ولده المنتظر المهدي ... الحديث)

(المصدر السابق ص ٥٣٦ عن فرائد السمطين للحمويني)

٢٨ ـ عن أنس قال : قلنا لسلمان الفارسي : سل رسول الله ﷺ من وصيّه ؟ فسأل سلمان رسول الله ﷺ فقال : من كان وصي موسى بن عمران ؟ فقال : يوشع بن نون فقال : « إنّ وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي ابن ابي طالب).

(تذكرة الخواص : ٤٩)

٢٩ ـ إنّ النبي ﷺ قال : « هبط على جبرئيل عليه السلام يوم حنين فقال : يا محمد إن ربك تبارك وتعالى يقرؤك السلام وقال : ادفع هذه الأترجة الى ابن عمك ووصيك علي بن ابي طالب رضي الله عنه فدفعتها إليه ... الحديث » .

(المحاسن والمساوىء للبيهقي : ٤٢)

٣٠ ـ إنّ رسول الله ﷺ ، كان عنـد ام سلمـة بنت أبي اميـة إذ أقبل علي عليه السلام يريد الدخول على النبي ﷺ فنقر نقراً خفيفاً فعرف رسول الله ﷺ نقره فقال « يا ام سلمة قومي فافتحي الباب » فقالت : يا رسول من هذا الذي يبلغ خطره إن أستقبله بمحاسني ومعاصمي ؟ فقال : « يا ام سلمة إنّ طاعتي طاعة الله جلّ وعزّ ، قال (ومن يطع الرسول فقـد أطاع الله) قومي يا ام سلمة فإنّ بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ، ولا بالعجل في أمره ، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، يا ام سلمة إنه إن تفتحي الباب له ، فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطء » فلم يدخل حتى غابت عنه ، وخفى عليه الوطء ، فلما لم يحس لها حركة دفع البـاب ودخل فسلم على النبي ﷺ فردّ عليه السلام فقال : يا ام « سلمة هل تعرفين هذا » ؟ قلت : نعم هذا علي بن أبي طالب ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم هذا علي ـ إلى ان قال ـ وهو الوصي على أهل بيتي ، وعلى الاخيار من امتي ... الحديث » .

(المحاسن والمساوىء للبيهقي : ٤٤)

٣١ ـ عن أنس بن مالك ، قال : بينما أنا عنـد النبي ﷺ إذ قال : يطلع الآن ، قلت : فداك أبي وامي من ذا ؟ قال : « سيد المسلمين : وأمير المؤمنين وخير الوصيين ، وأولى الناس بالنبيين » قال فطلع علي عليه السلام .

(المناقب للحافظ ابن مردويه) [١]

٣٢ ـ عن أنس بن مالك ، قال: كنت خادماً لرسول الله ﷺ وكانت ليلة ام حبيبة بنت ابي سفيان ، فأتيت رسول الله ﷺ بوضوء فقال: « يا أنس يدخل عليك من هذا البـاب أمير المؤمنين ، وخـير الوصيين ، أقدم الناس

---

(١) اليقين ص ١٤ .

إسلاماً ، وأكثر الناس علماً ، وأرجح الناس حلماً ، قلت : اللهم اجعله رجلا من قومي فلم ألبث أن دخل علي بن ابي طالب ... الحديث .

(نسخة كتاب القاضي أبي الحسن علي بن محمد القزويني من أكابر علماء الجمهور في القرن الرابع) [1] .

٣٣ - قال ﷺ يوم الغدير : « إنّ جبرئيل عليه السلام هبط إلي مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام رب السلام ان اقوم في المشهد فاعلم كل أبيض وأسود ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي ، وخليفتي على أمتي ،والامام من بعدي، محله مني محل هرون من موسى إلاّ انه لانبي بعدي ... الحديث » .

(الرجال لأحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي)
(من علماء القرن الرابع) [2]

٣٤ - في الحديث : « ينادي مناد (أي يوم القيامة) هذا علي بن ابي طالب وصي رسول رب العالمين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين . . . الحديث ».

(المنتقى من تاريخ بغداد لابن الحداد الحنبلي) [3]

٣٥ - عن سلمان الفارسي قال : قلنا يوماً يا رسول الله من الخليفة بعدك حتى نعلمه ؟ قال لي : « يا سلمان أدخل علي أبا ذر والمقداد وأبا ايوب الانصاري (وأم سلمة زوجة النبي ﷺ من وراء الباب - ثم قال : «اشهدوا، وافهموا عني إنّ علي بن ابي طالب وصيي ووارثي،وقاضي ديني وعداتي».. الحديث .

(مناقب أهل البيت لمحمد بن جرير الطبري)

---

(١) اليقين ص ٣٦ .
(٢) نفس المصدر : ١١٧ .
(٣) نفس المصدر : ١٨٥ .

٣٦ ـ وقال ﷺ : « علي أخي ومني وأنا من علي فهو باب علمي ووصيي [(١)] » .

٣٧ ـ وقال ﷺ : « يا علي انت سيد الوصيين ، ووارث علم النبيين وخير الصديقين ... » الحديث .

(مائة حديث لمحمد بن احمد بن الحسن)
(من شيوخ الخطيب الخوارزمي) [(٢)]

٣٨ ـ إنّ رسول الله ﷺ كان قاعداً مع اصحابه فرأى علياً فقال : « هذا خير الوصيين ، وأمير الغر المحجلين » .

(فضائل علي لعثمان بن احمد بن أبي عمران السماك)

٣٩ ـ قال ﷺ : إنّ الله اختار من (كذا) كلّ نبي وصياً وعلي وصي عترتي ، واهل بيتي ، وامتي من بعدي .

(مناقب الخوارزمي)

٤٠ ـ عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أنس اسكب لي وضوء » ثم قام فصلى ركعتين ثم قال : « يا أنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين .

قال أنس : قلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتمته إذ جاء علي فقال « من هذا يا أنس ؟ » فقلت علي ، فقام مستبشراً فاعتنقه... الخ .

(مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي ج ١ : ٦٠)

---

(١) اليقين : ١٨٨ .
(٢) رواه ابن طاووس في « الاجازات » عن الكتاب المذكور .

تلكم أربعون حديثاً نقلتها من أوثق المصادر وإنما اقتصرت على هذا العدد لاكون ممن (حفظ اربعين حديثاً) وهاك بقدر ما مر من الشواهد الاخرى :

٤١ ـ حنان سمعت علياً يقول : (لأقولن قولا لم يقله أحـــد قبلي ، ولا يقوله بعـدي إلا كذاب ، أنا عبد الله ، واخو رسوله ... وأنا خـــير الوصيين) .

(فرائد السمطين الباب : ٥٧)

٤٢ ـ وقال علي عليه السلام : (أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب ، وكالذراع من العضد ، وكالكف من الذراع ، رباني صغيراً ، وآخاني كبيرا ، ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه احد غيري ، وأنه أوصى إلي دون اصحابه واهل بيته ... الخ) .

(الحكم المنثورة باشارة « جكز ») .

٤٣ ـ وقال عليه السلام : (أنا أخو رسول الله ووصيّه ... الخ) .

(مناقب الخوارزمي ص ١٤٣)

٤٤ ـ ومن عهده عليه السلام لمحمد بن أبي بكر رحمه الله : « فإنه لاسواء امام الهدى وامام الردى ، ووصي النبي وعدو النبي » .

(شرح ابن أبي الحديد : م ٢ ص ٢٦ ، جمهرة رسائل العرب ١ : ٥٤٠)

٤٥ ـ ومما روي عنه عليه السلام من الشعر قوله :

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشى البصرا ما كان يرضي أحمداً لو اخبرا
أن يقرنوا وصيه والابترا [1]

(كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٢)

---

(١) المراد بالابتر هنا عمرو بن العاص وفي أبيه نزل (ان شانئك هو الابتر) .

٤٦ ـ وخطب الامام ابومحمد الحسن السبط سيد شباب اهل الجنة خطبته الغراء فقال فيها : (وأنا ابن النبي ، وأنا ابن الوصي) .

(مستدرك الحاكم ٣ : ١٧٢)

٤٧ ـ وقال الحسين عليه السلام في خطبته يوم عاشوراء : (أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها ،فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه ، وابن عمه ،واول المؤمنين بالله ... الخطبة) .

(تاريخ الطبري ج ٦ : ٢٤٢ في حوادث سنة ٦١)

٤٨ ـ ومن الشعر المقـــول في صدر الاسلام المتضمن كونه عليه السلام وصي رسول الله قول عبد الله بن ابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب .

ومنّـا علي ذاك صـاحب خيـبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وابن عمــه فمن ذا يدانيــه ومن ذا يقــاربه ؟

٤٩ ـ وقال عبد الرحمن بن جعيل :

لعمري لقـد بايعـــتم ذا حفيظة على الدين معروف العفــاف موفقاً
عليـاً وصي المصطفى وابن عمــه واول من صلى أخا الدين والتقى

٥٠ ـ وقال ابو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصـــار
نحن الذين رأت قريش فعلنا يوم القليب أولئك الـكفار
كنا شعار نبينـا ودثاره يفديه منا الروح والأبصـــار
إن الوصي إمامنـــا وولينا برح الخفـاء وباحت الاسرار

٥١ ـ وقال عمر بن حارثة الأنصـاري في محمد بن الحنفية من أبيـات انشأها يوم الجمل :

سمي النبي وشبه الوصي ورايته لونهـا العندم

٥٢ ــ وقال رجل من الأزد يوم الجمل :

هذا علي وهو الوصي　　آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدي الولي　　وعاه واع ونسى الشقى

٥٣ ــ وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبّة شاب معلم من عسكر عائشة وهو يقول :

نحن بنو ضبة أعداء علي　　ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي　　ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعي ابن عفان التقي　　إنّ الولي طالب ثار الولي

٥٤ ــ وقال سعيد بن قيس الهمدانى يوم الجمل وكان في عسكر علي عليه السلام :

أية حرب أضرمت نيرانها　　وكسرت يوم الوغى مرانها
قل للوصي أقبلت قحطانها　　فادع بها تكفيكها همدانها
هم بنوها وهم اخوانها

٥٥ ــ وقال حجر بن عدى الكندي في ذلك اليوم أيضاً :

ياربنا سلم لنا عليا　　سلم لنا المبارك المرضيا
المؤمن الموحد التقيا　　لاخطل الرأى ولا غويا
بل هادياً موفقاً مهديا　　واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له وليا　　ثم ارتضاه بعده وصيا

٥٦ ــ وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وكان بدرياً يوم الجمل ايضاً :

ياوصي النبي قد أجلت الحر　　ب الأعادي وسارت الأظعان
واستقامت لك الامور من الشام　　وفي الشام يظهر الاذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا　　هكذا نحن حيث كنا وكانوا

٥٧ – وقال خزيمه يوم الجمل أيضاً في أبيات يخاطب بها ام المؤمنين عائشة :

وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهده

٥٨ – خطب ابن الزبير يوم الجمل وخطب الحسن عليه السلام بعده فقال عمرو بن احيحة في ذلك :

حسن الخير ياشبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الله بها عن أبيك أهل العيوب
وكشفت القناع فاتضح الأمر وأصلحت فاسدات القلوب
لست كابن الزبير لجلج في القول وطأطا عنان فسل مريب
وأبى الله أن يقوم بما قام به ابن الوصي وابن النجيب
إن شخصاً بين النبي – لك الخير – وبين الوصي غير مشوب

كل هذه الأشعار والأراجيز نقلها ابن أبي الحديد عن كتاب وقعة (الجمل) لأبي مخنف لوط بن يحى [1] .

والحديدي يعترف هنا ويقر بتسمية علي بالوصي ولكنه يتمحل في تفسير ذلك فيحرفه عن موضعه فيقول :

« أمّا الوصية فلا ريب عندنا – أي عند المعتزلة – أنّ علياً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة ولكن اموراً اخرى لعلها إذا لمحت اشرف واجل »[2] .

انظره لما عجز عن التوجيه والتأويل جعل المعنى (في قلب الشاعر)

---

(١) الشرح م ١ / ٤٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .

- كما يقول المثل العامي - فان لم تكن الوصاية هي النص على الخلافة فعلى أي شيء ؟ أعلى التركة والنبي لا يورث فيما يزعمون ؟

٥٩ - وجاء المنذر بن ابي حميصة الوادعي (وكان فارس همدان وشاعرهم) الى علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إنّ عكا والأشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم ، فباعوا الدين بالدنيا ، وإنا رضينا بالآخرة من الدنيا ،وبالعراق من الشام ، وبك من معاوية ، والله لآخرتنا خير من دنياهم، ولأمامنا أهدى من إمامهم ، فاستفتحنا بالحرب ، وثق بنا بالنصر ، واحملنا على الموت ثم قال في ذلك :

إنّ عكا سالوا الفرائض والأشـ ـعر سالوا جوائزاً بثنيه [1]
تركوا الدين للعطاء والفر ض فكانوا بذاك شرّ البريه
وسألنا حسن الثواب من الله وصبراً على الجهاد ونيه
فلكلّ ما ساله ونواه كلّنا يحسب الخلاف خطية
ولأهل العراق أحسن في الحر ب إذا ما تدانت السمهريه
ولأهل العراق أحمل للثقـ ـل إذا عمّت البلاد بليه
ليس منا من لم يكن لك في الله وليا يا ذا الولا والوصية

فقال علي : حسبك رحمك الله وأثنى عليه خيراً وعلى قومه.

(كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٣٦)

٦٠ - ومن جملة احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين عليه السلام انه ضيع الوصية فكان من جوابه عليه السلام « أما قولكم أني كنت وصياً فضيّعت الوصية فانّ الله عز وجل يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج اليه أحد

(١) سالوا مخفف سألوا والبثنية المنسوبة الى قرية بالشام بين دمشق وأذرعات واليها تنسب الحنطة البثنية وهي من أجود أنواع الحنطة .

كان البيت يكفر ؟ إن هـذا البيت لوتركه من استطاع إليـه سبيلا كفر ، وأنتم كفرتم بتركـكم إياي لا أنا بتركي لكم ... الخ » .

(تاريخ ابن واضح ج ٢ ص ١٨٢)

٦١ ــ وقال مالك بن الحارث الأشتر لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام (أيها الناس هـذا وصي الأوصيـاء ، ووارث علم الأنبيـاء ، العظيم البلاء ، الحسن العناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ، ورسوله بجنة الرضوان ، من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الاواخر ولا الاوائل) .

(تاريخ ابن واضح ج ٢ : ١٦٨)

٦٢ ــ وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

وإن ولي الامر بعـــد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه

(نقض العثمانية لابي جعفر الاسكافي المعتزلي)

٦٣ ــ ومن كتاب لعمرو بن العاص إلى معاوية قبل أن يتفقـا :

(فأما دعوتي اليه من خلع ربقة الاسلام من عنقي ، والتهور في الضلالة معك ، واعانتي اياك على الباطل ، واختراط السيف في وجـه علي وهو أخو رسول الله ووصيه ووارثه ، وقاضي دينه ومنجز وعده ، وزوج ابنته ...) الخ .

(مناقب الخوارزمي ص ١٢٥)

٦٤ ــ وجاء في كتاب محمد بن أبي بكر الى معاوية :

(فكفف ــ لك الويل ــ تعدل نفسك بعلي وهـــو وارث رسول الله ووصيه ...) الخ .

(مروج الذهب ج ٣ ص ٦١)

٦٥ ــ وقال حسان بن ثابت يمدح علياً بلسان الأنصار :

حفظت رسول الله فينـــا وعهـده اليك ومن أولى به منك من ومن ؟؟

ألست أخاه في الهـــدى ووصيـه   وأعلم منهم بالـكتاب وبالسنن ؟

(الموفقيات للزبير بن بكار) [1]

٦٦ — وقال أبو الأسود الدئلي [2] :

احب محمـد حبّاً شديداً   وعباساً وحمـزة والوصيا
احبهم لحـــب الله حتى   أجيء إذا بعثت على هويا
هوى أعطيته منذ استدارت   رحى الإسلام لم يعدل سويا
يقول الأرذلون بنـو قشير   طوال الدهر ماتنسى علياً ؟[3]
بنـو عم النبي وأقربوه   أحب النـاس كلهم إليـا
فان يك حبهم رشداً أصبه   ولست بمخطيء إن كان غيا[4]

(الكامل للمبرد ج ٢ : ١٣٠)

٦٧ — وقال النعمان بن العجلان شاعر الأنصار وأحد ساداتهم من قصيدة له ، يذكر فيهـا أيام الأنصـار في الإسلام ، ويذكر فيهـا الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله :

---

(١) شرح ابن ابي الحديد م ٢ / ١٥ .

(٢) هو ظـالم بن عمـرو الدئلي (بضم الدال وفتح الهمزة) نسبة الدئل (بكسر الهمزة) قبيلة من كنانة ، من سادات التابعين وأعيتهم ، صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين في من شهدها من أهل البصرة ، يعد من الفرسان والعقلاء والحكماء والشعراء ، وهو الذي وضع علم النحو باشارة امير المؤمنين عليه السلام .
توفي بالطاعون الجـارف بالبصرة سنة ٦٩ .

(٣) بنو قشير من عثمانية البصرة وكان أبوالاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك ، فشـكاهم مرة فقالوا : ما نحن نرميك ولـكن الله يرميك ، فقـال : كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطاني .

(٤) قيل : انّ بني قشير لما سمعوا ذلك قالوا : شكـكت يا أبا الأسود ، قال : ان الله تعالى يقول (واني واياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فهل كان نبيه شاكاً . ؟

وكان هوانـــا في علي وإنه لأهل لهامن حيث تدري ولاتدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والـكفر
(عن الموفقيات للزبير بن بكار)

٦٨ — مر ابن عباس بنفر يسبون علياً عليه السلام فقال : أيّـكم الساب لله؟ فأنكروا ، قال : فأيّـكم الساب لرسول الله ؟ فأنـكروا ، قال : فأيـكم الساب لعلي ؟ قالوا : فهذا نعم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (من سبّ علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سبّ الله ، ومن سبّ الله فقد كفر) ثم التفت إلى ابنه فقال : قل فيهم : فقال :

نظروا اليـك بأعين محمـــرة نظر التيوس إلى شفار الجازر
غزر الحواجب خاضعي أعناقهم نظر الذليل الى العزيز القاهر
سبوا الإله وكذبوا بمحمـد المرتضى ذاك الوصي الطـاهر
أحيـــاؤهم عار على أمواتهم والميتـون فضيحة للغـــابر
(الولاية للطبرى ، والابانة للعكبرى) [١]

٦٩ — طارق بن شهاب الأحمسي وهو ممن رأى النبي وروى عنه [٢] قال وهو يفـكر مع من يكون في فتنة الجمل : ادع علياً وهو أول الناس إيمـاناً بالله وابن عم رسول الله ووصيه ؟... الخ .

(شرح النهج لابن ابي الحديد م : ٧٦)

٧٠ — قال أبو سعيد التيمي المعروف بعقيصا [٣] قال : كنا مع علي في

---

(١) مناقب آل ابي طالب ٣ / ٢٢١ .

(٢) اسد الغابة ٣/٤٨ .

(٣) في القاموس : أو عقيصي مقصوراً لقب أبو سعيد التيمي التابعي ا هـ وانما لقب بذلك لشعر قاله .

مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد — قال — عطش الناس واحتاجوا إلى الماء ، فانطلق بنا علي حتى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض كأنها ربضة العنز [1] ، فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا ماء فشرب الناس منه وارتووا ، قال : ثم أمرنا فأكفأناها عليه ، قال : وسار الناس حتى اذا مضينا قليلاً قال علي : منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فانطلقوا إليه ، قال : فانطلق منا رجال ركباناً ومشاة فاقتصصنا الطريق اليه ، حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه ، قال : فطلبناها فلم نقدر على شيء ، حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا فسألناهم : أين الماء الذي هو عندكم ؟ قالوا : ما قربنا ماء ، قالوا : بلى إنا شربنا منه ، قالوا : أنتم شربتم منه ؟ قلنا نعم : قال صاحب الدير ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء وما استخرجه الا نبي أو وصي نبي [2] .

(كتاب صفين ص ١٤٥)

***

قرأت فيما مضى سبعين شاهداً بأن الوصي والوصاية أمران معروفان في صدر الاسلام ، ولولا خوف الاطالة والملالة لذكرنا المزيد من ذلك على انه شيء يفوت الحصر .

واليك أيضاً ما جاء في هذا المعنى في كلمات بعض المشاهير ممن تأخر عن ذلك العصر .

---

(١) الضرس بالكسر الارض الخشنة وربضة العنز بالضم والكسر جثتها اذا بركت .

(٢) وقد ذكر هذه القصة ايضاً كثير من المؤلفين نذكر منهم : الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٠٥/١٢ ، وابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج م ٢٨٨/١ .

٧١ ـ قال الكميت بن زيد الاسدي في ميميته المشهورة :

والوصي الذي أمال التجوبي به عرش امة لانهـــدام
كان اهل العفاف والمجد والخير ونقض الامور والإبرام
والوصي الولي والفـارس المعلم تحت العجـاج غير الـكهام
ووصى الوصي ذي الخطة الفصل ومردي الخصوم يوم الخصام

(هاشميات الكميت ص ٢٩)

وعلق الاستاذ محمد محمود الرافعي شارح (الهاشميـات) على البيت الأول بما يأتي :

« والوصي هنـا الذي يوصى له ، ويقـــال للذي يوصي أيضا وهو من الأضداد ، والمراد به علي كرم الله وجهه سمي وصياً لأن رسول الله ﷺ وصى له فمن ذلك ماروي عن أبي بريدة عن أبيه مرفوعاً أنه قال : « لكل نبي وصي وأن علياً وصيي ووارثي » .

وأخرج الترمذي عن النبي أنه قال : (من كنت مولاه فعلي مولاه).

وروى البخاري عن مصعب بن سعد عن أبيــه : أن رسول الله ﷺ خرج الى تبوك واستخلف عليـــاً فقال : « أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ » قال : (ألا ترضى أن تـكون مني بمـنزلة هـارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي ؟) .

وقال ابن قيس الرقيات :

نحن منـّا النبي أحمـد والصدّيق منـّا التقى والحكماء
وعليّ وجعفر ذو الجناحين هناك (الوصي) والشهداء

وهذا شيء كانوا يقولونه ، ويكثرون فيه) . وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية .

تخـــبر من لاقيت انك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم
وصي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أعنـــاق وقاضي مغارم

أراد ابن وصي النبي، والعرب تقيم المضاف إليه في الباب مقام المضاف... الخ »[1] .

أقول : ولو أن الرافعي روى البيت بروايته الاخرى لأغناه عن إقامة المضاف إليه مقام المضاف ، وهي :

سمي نـــبي الله وابن وصيّـــه وفـكاك أغلال وقاضي مغارم[2]

ولكنه أخذ برواية المبرد في « الكامل » وتابعه على هذا التفسير[3] :

وقال الرافعي معلقاً على قول الكميت : والوصي الولي ... البيت :

« الولي يعني وليّ العهد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمعلم الذي إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها » .

قال : « والكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيفه كهام[4] » .

٧٢ — وقال السيد اسماعيل بن محمد الحـــميري في قصيدته المذهبة التي شرحها السيد المرتضى أعلى الله مقامه :

وكأن قلبي حين يذكر أحمداً ووصي أحمد نيط من ذي مخلب

والسيد الحميري من المكثرين لذكر الوصاية والوصي في أشعاره .

٧٣ — وقال دعبل الخزاعي في رثاء الحسين عليه السلام :

---

(١) شرح الهاشميات ص ٢٩ .
(٢) تذكرة الامة ص ٣٠٢ .
(٣) انظر الكامل ٢/١٣٠ .
(٤) شرح الهاشميات ص ٣٠ .

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قناة يرفـع !

(معجم الادباء ١١ : ١١٠)

وفي شعر دعبل من ذكر الوصاية شيء كثير .

٧٤ - وقال ابو تمام الطائي :

فعلتم بأبنـــاء النبي ورهطه أفاعيل أدناها الخيانة والغدر

ومن قبـله أخلفتم لوصيـــه بداهية دهيآء ليس لهـا قدر

والقصيدة مثبتة في ديوانه ص ١٤٣ .

٧٥ - وقال : أبو الطيب المتنبي وقد عوتب على تركه مـــدح أمير المؤمنين عليه السلام :

وتركت مدحي للوصي تعمّداً إذ كان نوراً مستطيلاً شـاملا

وإذا استطـــال الشيء قام بنفسه

وصفـات ضوء الشمس تذهب باطلا [١]

٧٦ - وقال أبو الفتح محمود بن محمـد بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم :

فجـــدهم خاتم الأنبياء ويعرف ذلك جميع الملـل

ووالدهم سيـد الأوصيـاء ومعطي الفقير ومردي البطل

وفي هذه القصيدة يقول :

فيـامعشر الظـالمين الذين أذاقوا النبي مضيض الثكل

---

(١) مما يؤسف له أن هذين البيتين حذفتا من بعض طبعات ديوان المتنبي حتى أن الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي ذكرهما في الطبعة ذات الجزئين ج ٢ ص ٥٤٦ وحذفها في الطبعة ذات الأربعة اجزاء (وعلى هذه فقس ما سواها) .

نبذتم وصيته بالعراء   وقلتم عليه الذي لم يقل

إلى آخر قصيدته الموجودة في نسخ ديوانه المخطوط وهي ٤٧ بيتاً ، وقد أسقط ناشر ديوانه من القصيدة ما يخالف مذهبه ، وليست هذه بأول يد حرفت الكلم عن مواضعه (١) .

٧٧ – وللصاحب بن عباد شعر كثير في الوصي والوصاية منه قوله :

قالت : فمن صاحب الدين الحنيف أجب ؟
فقلت أحمد خير السادة الرسل .
قالت : فمن بعده تصفى الولاء له ؟
قلت الوصي الذي أربى على زحل

ثم ذكر في هذه القصيدة جملة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل السؤال منها والجواب منه ، إلى أن قال في آخرها :

قالت فمن هو هذا الفرد سمه لنا ؟   فقلت ذاك أمير المؤمنين علي
(مناقب آل أبي طالب)

٧٨ – ولبديع الزمان الهمداني :

يقولون لي : لا تحب الوصي ؟   فقلت الثرى بفم الكاذب
أحبّ النبي وآل النبي   واختص آل أبي طالب
وأعطي الصّحابة حقّ الولاء   وأجري على السنن الواجب
وإن كان رفضاً ولاء الوصي   فلا ترض بالرفض من جانبي
وإن كان نصباً ولاء الجميع   فانّي كما زعموا ناصبي
ولو كنتم من ولاء الوصي   على العجز كنت على الغارب

---

(١) الغدير ٤ / ٤ .

يرى الله سـري إذا لم ترو ه فكم تحكمون على الغائب
(مناقب الخوارزمي ص ٤٧)

٧٩ – وقال أبو فراس الحمداني :

إذ قال يوم غدير خمّ معلنا من كنت مولاه فذا مولاه
هذى وصيته إليـه فافهموا يا من يقول : بان ما أوصاه
(الغدير ٣ : ٤٠٤)

٨٠ – يروى أن المستنصر العباسي خرج يوماً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ومعه السيد محمد بن علي الاقساسي فقال له المستنصر وهما في الطريق : ان من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي ابن أبي طالب من المدينة إلى المدائن لما توفي سلمان الفارسي، وتغسيله إياه ورجوعه من ليلته فأجابه السيد المذكور بقـول أبي الفضل التيمي في رد من أنكر ذلك :

أنكرت ليلة إذ سار الوصي بها إلى المدائن لمـا أن لها طلبا
وغسل الطـّهر سلماناً وعاد إلى عراص يثرب والأصباح ماوجبا
وقلت ذلك من قول الغلاة وما ذنب الغلاة إذا لم يذكروا كذبا؟
فآصف قبل ردّ الطرف من سبأ بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا
فأنت في آصف لم تغل فيه بلى في حيدر أنا غال إن ذا عجبا؟
إن كان أحمد خير المرسلين فـذا (خير الوصيين) أوكل الحديث هبا

هذا وكم جاء ذكر الوصيّة والوصي في أقوال الشعراء عدا من ذكرنا أمثال سفيان بن مصعب العبدي ، والمفجّع المصري ، وأبي الفضل الصنوبري ، والقاضي التنوخي ، وأبي القاسم الزاهي ، وأبي العباس الضبيّ ، وأبن الرومي ، وابن حماد ، والشريف المرتضى ، ومهيار الديلمي ، والحسين بن الحجاج ، وابن منير الطرابلسي ، والخطيب الخوارزمي ، وقطب الدين الراوندى ، وسبط ابن التعاويذى ، وأبي الحسين الجزار وغيرهم ...

وغير خفي أنه ليس بين الأشعار والأخبار فرق اذا امتنع في مجيئها ، واصل مخرجها الاتفاق والتواطؤ [1] .

وقد كنت أعددت أكثر من مائة شاهد في الوصية من الأحاديث والأخبار من أقوال العلماء والشعراء ، والادباء ثم أضربت عنها خوف الملالة واقتصرت على ما مر وفيه كفاية (وشهود كلّ قضية اثنان) .

المؤلفون في الوصيـــة

وإليك أسماء المؤلفين في الوصيّة من القرون الاولى ، والصدر الاول قبل القرن الرابع :

١ — كتاب الوصية لهشام بن الحكم المشهور .
٢ — الوصية للحسين بن سعيد الاهوازي .
٣ — « للحكم بن مسكين المكفوف .
٤ — « لعلي بن المغيرة .
٥ — « لعلي بن الحسن بن فضال .
٦ — « لمحمد بن علي بن الفضل .
٧ — « لابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي .
٨ — « لمحمد بن احمد بن خالد البرقي صاحب (المحاسن) .
٩ — « لعبد العزيز بن يحيى الجلودي .

---

(١) نقض العثمانية للاسكافي .

وأكثر هؤلاء من أهل القرن الأول والثاني ، أما أهل القرن الثالث فهم جماعة كثيرة أيضاً .

١٠ – الوصية لعلي بن دئاب .

١١ – « ليحيى بن المستفاد .

١٢ – « لمحمد بن أحمد الصابوني .

١٣ – « لمحمد بن الحسن بن فروخ .

١٤ – « إثبات الوصية والإمامة لعلي بن الحسين المسعودي صاحب (مروج الذهب) .

١٥ – الوصية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي .

١٦ – الوصايا لمحمد بن علي الشلمغاني المشهور .

١٧ – الوصية لمحمد بن الحسن بن عامر .

أما ما ألف بعد القرن الرابع فشيء لا يستطاع حصره ، وذكر المسعودي في كتابه المعروف (باثبات الوصية) لكل نبي اثنى عشر وصياً ذكرهم بأسمائهم ، وبسط الكلام بعض البسط في الأئمة الاثنى عشر [1] .

ولم يزل العلماء يؤلفون في « الوصية » من ذلك اليوم إلى يومنا هذا وكان آخر من ألف العلامة المعاصر الشيخ نجم الدين العسكري إذ أخرج للناس كتابه الجليـل (علي والوصية) وقد ضمنه الاحاديث الصحيحة المروية في كتب علماء السنة عن النبي ﷺ والتي تنص على أن علياً عليه السلام وصيه وخليفته من بعده . وبالمناسبة أذكر إن للشيخ العسكري كتباً مهمة ، وأهم كتبه – في نظري القاصر – كتابه القيّم (الوضوء في الكتاب والسنّة) وهو من الكتب التي يجب ان تقرأ .

---

(١) أصل الشيعة واصولها ص ١٠٢ .

هذا عدا الكتب التي ألفت باسم (الإمامة) أو (الولاية) أو (إثبات الإمامة) أو غير ذلك وكتب الفهارس والرجال مشحونة بذكرها .

فهل بعد هذا كله لأحـد ان يقول : إنّ الرضي انفرد بنقل مايتضمن ذكر الوصي والوصاية ؟ وهـل يبقى في نفس أحد شيء من هذه الشبهة التي هي أو هى من بيت العنكبوت ؟ .

(٣)

الاطنـاب والايجـاز

أما الاطناب والايجاز والمساواة فلا يحتاج فيها أن تؤثر عن النبي صلى الله عليه وآله ، وخلفائه الراشدين ، ولم يكن أحدهما مرسوماً في الاسلام بحيث يجب اتباعه ، بل هي تابعة لمـا تقتضيه المصلحة ، وتفرضه الحاجة ، وربما كانت أحوال وغايات لابد فيها من ذلك ، وشتان ما بين زمانه ﷺ، وأزمنة الخلفاء [١] .

حتى هؤلاء الذين أرسوا هذه الشبهة أقروا بذلك واعترفوا بحقيقته فقال أحدهم : [٢] (نحن لا نقول إنّ هذا القدر من الطول في الخطب غير مقبول عقلاً ... الخ) .

فالتطويل والإيجـــاز في خطب الإمام وكتبه يجري حسب المقامات والأحوال وهذا شيء معروف عن البلغاء في الجاهلية والإسلام .

وقد رووا أن قيس بن خارجة بن سنان خطب يوماً إلى الليل فما أعاد

---

(١) مدارك نهج البلاغة ص ٥٤ .

(٢) هو الاستاذ أحمد زكي صفوت .

كلمة ولا معنى [1] .

وقد رووا أيضاً أن وفداً من خراسان قدم على معاوية وفيهم سعيد بن عثمان ، فطلب سحبان وائل [2] فأدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تقوم من أودي ، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربّه ، فقال معاوية : هاتوا عصاى ، فأتوا بها فأخذها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ، ولا توقف ، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء ، فمازالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار اليه : أن لا تقطع على كلامي ، فقال معاوية : الصلاة ، قال : هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب، فقال سبحان : والعجم والجن والانس [3] .

ومع هذا الاسترسال في الكلام ، وطول النفس في الخطابة نراه يوجز احياناً حتى يجيء في ادنى غاية من غاية الاختصار .

يقول الدكتور زكي مبارك : « وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وإنه كان يخطب أحياناً نصف يوم ، أثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة ، وذلك يدل على أن الفطرة كانت غالبة على ذلك العصر ، وأن القاعدة المطردة لم تكن شيئاً آخرغير مراعاة الظروف ، ورسائل علي بن ابيطالب ، وخطبه ، ووصاياه ، وعهوده الى ولاته تجري على هذا النمط ، فهو يطيل حين يكتب عهداً ليبيّن فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه ، ويوجزحين

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٥٠ .

(٢) هو سحبان بن زفر بن أياس الوائلي خطيب مفصح يضرب به المثل في البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة ٥٤ .

(٣) سرح العيون : في شرح رسالة ابن زيدون ١ / ١٤٨ .

يكتب إلى بعض خواصه في شيء معين لا يقتضي التطويل » [1] .

وعبد الحميد الكاتب لتأثره ببلاغة أمير المؤمنين عليه السلام تراه يوجز مرة غاية الإيجاز ، ويطنب اخرى إذا اقتضت الحال غاية الإطناب .

فمن إيجـازه : إن بعض عمال مروان أهـدى اليه عبـداً أسود ، فأمره الاجابة مختصراً ، فكتب : لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدداً أقل من الواحد لأهديته .

ومن إسهابه : إنـه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه مروان يستميله ويضمنه ما لو قرىء لأوقع الإختلاف بين أصحاب أبي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على جمـل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك ، فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه ، وأمر بنار فأحرقه وكتب على حزازة منه إلى مروان :

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كلّ جانب
فان تقدموا نعمل سيوفاً شحيذة يهون عليها العتب من كلّ عاتب

ويقال: إن أوّل الكتاب كان: لو أراد الله بالنملة صلاحاً لما خلق لها جناحاً.

ولقد شهد الجاحظ بخطب أمير المؤمنين الطوال بقوله : « لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال، وكان كلامه قصيراً ، وإنما صاحب الخطب الطوال علي ابن أبي طالب » [2] .

ولسنا ــ بعد ذلك ــ بحاجة إلى أن نسهب في القول هنا ، و نستكثر من الأدلة على كون الإيجاز والإطناب لا يختص بواحد منهما قوم دون قوم ولا ينحصر أحدهما بحصر دون آخر .

---

(١) النثر الفني ١ / ٥٩ .
(٢) انظر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) : م ٣ ص ١٢٤ .

(٤)

السجع والتنميق

السجع إذا جاء من غير تصنع وتكلف ، ولم تظهر سمـــاجته ، ولم يثقل استماعه كان آية من آيات البلاغة ، ودلائل الفصاحة ، ومع ذلك فليس ما في الكتاب كله سجعاً وما فيه من السجع فهو مما لم تدع إليه الصنعة ، ولا اقتضاه الكلف بالمحسنات ، وأكثره مما يأتي عفواً بلا كد خاطر ، ولا تجشم هول ، ومثله في عبارات عصره واقع ، ومن عرف أن ابن ابي طالب كان حامي عرين الفصاحة ، وابن بجدتها لم يعسر عليه التسليم [١] .

ولو كان السجع المقبول ، والازدواج المستحسن ، كالذي حواه (نهج البلاغة) عيباً في الـكلام لما اشتمل القرآن الـكريم ، والحديث الشريف ، وما يؤثر عن البلغاء في ذلك العصر على الكثير منه .

فمن الاول ، فحسبك أن تتلو هذه السور الشريفة : الذاريات ، الطور ، النجم ، القمر ، الرّحمن ، الواقعة ... إلى غير ذلك . بل القرآن المجيد كله

---

(١) مقدمة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد لنهج البلاغة (ص / و) .

ذو فواصل وقرائن وفي هـذا كفاية في دحض هذه الشبهة على أنهـا واهية من أساسها .

وأرجو من قارئي الكريم أن لا يرى في هذا القول انا نقيس بكتاب الله العزيز غيره ، أو نقرن معه سواه ، بل نرى أن أعلى غاية من كلام البلغاء بما فيهم أمير المؤمنين عليه السلام لا تقاس بأدنى غاية من الكتاب الحكيم .

ومن الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : (إنّ الأعمار ، تفنى والأجسام تبلى ، والأيام تطوى ، والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد ، يقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد ، وفي ذلك – عباد الله – ما يلهي عن الشهوات ، ويرغب في الباقيات الصالحات) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنّ مع العز ذلاً وان مع الحيـاة موتاً ، وان مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء حساباً ، ولكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً ، وإن على كلّ شيء رقيباً ، وانه لابد لك من قرين يدفن معك هو حي وأنت ميت ، فان كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، ولا تبعث إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، فلا تجعله الا صالحاً فانه ان صلح أنست به ، وان فسد لم يستوحش الا منه وهو عملك) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (انما الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وانما هو موزورات بالواو ولكن عدل عنه للمقابلة .

ومن الثالث : خطبة قس بن ساعدة الأيادي ومن الرواة لها رسول الله

ﷺ نفسه [1] ومنها :

« أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكلّ ماهو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، انّ في السماء لخبراً ، وانّ في الأرض لعبرا ... الخطبة » .

ومن خطبة لأبي بكر : (استهدي الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً).

ومن خطبة له اخرى: (يامعشر الانصاران شئتم ان تقولوا: آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في اموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلتم : وان لكم من الفضل مالا يحصيه العدد ، وان طال به الأمد) .

ومن خطبة لعمر في الاستسقاء : (اللهم قد ضرع الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى) .

ومن خطبة لعثمان خطب بها الناس لما نقموا عليه ما نقموا :

(ان لكل شيء آفة ، وان لكل نعمة عاهة ، وفي هذا الدين عيابون ظنانون ، يظهرون لكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون) [2] .

ولو أردنا أن نلم بك ببعض ما ورد عن ذلك في كلام الخلفاء والامراء والعلماء لضاق بنا المجال ، وبحسبك أن ترجع الى بعض كتب التأريخ والأدب مثل : (عيون الاخبار) و (البيان والتبيين) و (العقد الفريد) و (زهر الآداب) و (جمهرة خطب العرب) لترى الكثير من السجع والمقابلة ، في

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٨١ .

(٢) من خطبة قس الى هنا نقلناه من الجزء الاول من جمهرة خطب العرب .

كلام البلغاء والفصحاء في الجاهلية وصدر الاسلام .

والعجب من الاستاذ احمد امين حين يقول : واستوجب هذا الشك امور ما في بعضه من سجع منمق ، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله : (اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي اليه تصير)[1] ، فاستكثر على سيد البلغاء الذي صحب الرسول منذ نعومة أظفاره ، وتأثر بالقرآن منذ نزوله و (كتبه على تنزيله) أن يقول مثل هذا الكلام .

وعجب من ذلك انه اعتمد في شكه بنهج البلاغة على (هوار الذي شك في نسبة القرآن الى الله سبحانه قبل أن يشك في نسبة (النهج) . الى علي عليه السلام ، فيقول عنه الدكتور طه حسين : « ويرى الاستاذ (هـــوار) ان ورود هذه الاخبار في شعر أمية بن أبي الصلت مخالفة بعض المخالفة لما جاء في القرآن دليـل ، على صحة هـذا الشعر من جهة ، وعلى أن النبي قد استسقى منه أخباره من جهة اخرى »[2] .

---

(١) فجر الاسلام ١٤٩ .

(٢) الادب الجاهلي .

(٥)

دقة الوصف

والتقسيمات العدديّة

ان أكثر الشاكين في (النهج) لم يركنوا الى مقياس علمي خلا العاطفة والأغراض ولم يكونوا احراراً متجردين عن كل شيء والا متى كانت دقة التخيل ، واجادة الوصف وقفاً على قوم دون قوم ؟ ، أوليس الشعر العربي مملوء بدقة الوصف واستكماله ؟ ثم أليس لقرشي شهد تنزيل القرآن ، وصحب أفصح العرب منذ نعومة أظفاره ، وكتب له الوحي ، وسمع ما يفجره الله تعالى على لسانه من ينابيع الحكمة ، أليس لهذا القرشي ميزة عن سائر الناس ؟ [1] .

بقي شيء آخر : لقائل أن يقول : هب أن العرب تفننوا في صفات ما ألفوه كالخيل والابل ، بل وحتى النملة والجرادة ، ولكن أنى لواحد منهم أن يصف الطاووس ، وبلادهم لم تعرف هذا النوع من الأطيار . وقد وصفه بهذه الصفة التى بلغت الغاية في الدقة حتى يقول في الخطبة : « أحيلك على

---

(١) مقدمة الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد لنهج البلاغة ص : و .

معاينـة » يشير بذلك الى حاله في سفاده، ورؤية ذلك إنما تكون لمن تكثر عنده، ويطول مكثها لديه ، وقد ذكر هذا الاشكال ابن أبي الحديد ، وأجاب عنه بقوله : « لم يشاهد أمير المؤمنين عليه‌السلام الطواويس بالمدينة بل بالكوفة ، وكانت يومئذ تجبى لها ثمرات كل شيء ، وتأتي اليه هدايا الملوك من الآفاق ، ورؤية المسافدة مع الذكر والانثى غير مستبعدة » [1] .

قال شيخنا الهادي عطر الله مرقده بعد أن ذكر هذا الاعتراض : «وهذا كله من الجهل بمقام أمير المؤمنين وفضله ومبلغه من العلم » [2] .

أما استعمال الألفاظ الاصطلاحية التى عرفت في علوم الحكمة بعد تعريب كتب اليونان والفرس الادبية والحكمية ، فاترك الجواب هنا للعلامة الاستاذ الشيخ محمد جواد مغنية ففيه كفاية .

قال حفظه الله : « ان في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله ، وقد استدل علماء الكلام ، وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تكلموا عنها ، فهل هذه الآيات والاحاديث منحـــولة مدسوسة ؟ وهل من الضروري اذا اتفق قول مع قول ان يكون أحدهما مصدراً للآخر ، وقد أثبت علماء الغرب والشرق من غـير المسلمين بأن القرآن والسنة هما المصدر الأول للحضارة الاسلامية وعلومها وفلسفتها ، وكلنـا يعلم أن عليـاً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيه ، وشريك القرآن ، بل هو القرآن الناطق ، وما بين الدفتين القرآن الصامت .

والغريب أن هؤلاء المنكرين لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم

---

(١) الشرح م ٢ / ٤٨٤ ط/ الحلبي .

(٢) مدارك نهج البلاغة ص/ ٣٩ .

الاجتماع قبل ان يعرفه روسو[1] ومنتسكيو[2] وان يقولوا عن علومه ومعارفه : «انها تدفق فجائي ، وحدس باطني ، واختيار لاشعوري » يستكثرون على باب مدينة العلم ان يصف الطاووس ، وان يقول: الله اينّ الأين فلا يقال له : أين ؟ وكيّف الكيف فلا يقال له: كيف ؟ وان يصف الباري تعالى بصفات تليق بجلاله ، وهو اعرف الناس به بعد الرسول .

هـذا الى ان الامام تكلم عن أشيـاء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان »[3] .

وأمّا استعمال التقسيمات العددية في شرح المسائل ، وبيان الفضائل والرذائل ، فالحديث النبوى ، وكلمات الصحابة ، وكلام العرب مفعم بذلك ، فأي فرق بين قول علي عليه السلام : « الاستغفار على ستة معان... الخ»[4] وقول الرسول عليه السلام : (ستة أشياء حسنة ولكنها من ستة أحسن ، العدل حسن وهو من الامراء أحسن ، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن ، والورع حسن وهو من العلماء أحسن ، والسخاء حسن وهو من الأغنياء أحسن ، والتوبة حسنة وهي من الشباب أحسن ، والحياء حسن وهو من النساء أحسن ، وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له ، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له ، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمرة لها ، وغني لا سخـاء له كمكان لا نبت له وشاب لا توبة له

---

(١) جان جاك روسو : ولد في جنيف سنة (١٧١٢) م من كبار الكتاب في علم الاجتماع الافرنسيين . ومن مشاهير الدعاة الى الثورة الاجتماعية توفي سنة (١٧٧٨) .

(٢) مونتسكيو : مؤلف افرنسي له « اصول النواميس والشرائع » ولد سنة (١٦٧٩) وتوفي سنة (١٧٥٥) م .

(٣) فضائل الامام علي ص / ٧٣ .

(٤) نهج البلاغة ٣ / ١٥٢ .

كنهر لا ماء فيه ، وامرأة لا حياء لها كطعام لا ملح له) [١] .

وقوله ﷺ : « ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأمّا الكفارات : فإسباغ الوضوء في السبرات وانتظار الصّلوات بعد الصلوات ، ونقل الاقدام إلى الجمعات . وأمّا الدّرجات : فاطعام الطعام وافشاء السلام ، والصلاة في الليل والناس نيام ، وأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الغنا والفقر ، وخشية الله في السر والعلانية . ، وأما المهلكات : فشح مطاع وهوىً متبع وإعجاب المرأ بنفسه »[٢].

وقوله ﷺ : (معشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ، ويورث الفقر ، وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الرب ، وسوء الحساب ، والخلود في النار) [٣] .

وقال ﷺ : (اخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى قبض روحه ، والثاني إلى قبره ، والثالث إلى محشره ، فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله ، والذي يتبعه الى قبره فأهله ، والذي يتبعه الى محشره فعمله) [٤] .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال : انه دخل على ابي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتماً فقال له عبد الرحمن في جملة كلام له : إنك لا تأسى على شيء من الدنيا . قال أبو بكر رضي الله عنه : أجل اني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت اني تركتهن،

---

(١) الارشاد للديلمي ص : ٢٣٣ .

(٢) حلية الاولياء : ج ٦ ص ٢٦١ والسبرات : جمع سبرة وهي الغداة الباردة .

(٣) الخصال ج ١ / ١٤١ .

(٤) الترغيب والترهيب ٤ / ١٧١ ، مجمع الزوائد ١٠ / ٢٥١ .

وثلاث تركتهن ووددت اني فعلتهن ، وثلاث وددت اني سألت رسول الله ﷺ عنهن .

فأمّا الثلاث التي وددت أني تركتهن ، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ، ووددت اني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي واني قتلته سريحاً ، أو خليته نجيحاً [1] ، ووددت اني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر أو أبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

وأما اللاتي تركتهن: فوددت اني يوم اتيت بالاشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه ، فإنّه تخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه ، ووددت اني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة ، فان ظفر المسلمون ظفروا وان هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ، ووددت اني اذ وجهت خالد الى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله ، ومدّ يديه .

ووددت اني سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الامر ؟ فلا ينازعه أحد ،

---

(١) الفجاءة : رجل من بني سليم اسمه اياس بن عبد الله قدم على ابي بكر وطلب اليه ان يعطيه سلاحاً ، وأن يحمله ، فلبى طلبه فخرج يستعرض الناس مسلمهم وكافرهم ، يأخذ أموالهم ، ويقتل من امتنع منهم ، وأعانه رجل من بني الشريد يقال له : نجبة بن ابي الميثاء ، فلما بلغ ابا بكر خبره ، كتب الى طريفة بن حاجز يأمره بالمسير اليه ليقتله أو يأسره ، فسار طريفة بمن معه من المسلمين ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرميا بالنبل فقتل نجبة بن ابي الميثاء ، واستسلم الفجاءة ، فأخذه طريفة الى ابي بكر فلما وصلا اليه أمر ابو بكر طريفة ان يأخذه الى البقيع فيحرقه هناك فخرج به طريفة الى مصلى المدينة وجمع له حطباً كثيراً واضرم به ناراً ، ثم رماه به مقموطاً ، انظر تفصيل ذلك في « تاريخ الطبري » ٣/٢٣٤ « وتاريخ ابن كثير » ٦ / ٣١٩ وغيرهما .

وددت اني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت اني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فان في نفسي منهما شيئاً .

اخرجه ابو عبيد « في الأموال » ص : ١٣١ والطبري في تأريخه ٤ ص : ٥٢ ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ١ : ١٨ ، والمسعودى في «مروج الذهب» ١ : ٤١٤ ، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٢ : ٢٥٤[1] .

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « النساء ثلاث ، فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها ، واخرى وعاء للولد واخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويكفه عمن يشاء .

والرجال ثلاثة ، رجل ذو رأي وعقل ، ورجل إذا حزبه أمرأتى ذا رأي فاستشاره ، ورجل حائر بائر ، ولا يأتمر رشداً ، ولايطيع مرشداً»[2] .

ذكر ذلك ابن قتيبة في كتاب (غريب الحديث)[3] .

ولو أردنا أن نجمع الشواهد من هذا القبيل من المأثورات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة والصحابة لجاء كتاب برأسه ، وبحسبك أن تطلع على كتابي (الخصال) و (المواعظ العددية) لترى الكثير من ذلك ، وزد على ذلك إن المرويات في (نهج البلاغة) من هذا النوع هو من المتواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام إجماعاً ، مثل قوله عليه السلام : « الناس ثلاثة » وقوله : « الايمان على أربع دعائم » كما ستراه واضحاً في مباحث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر الغدير ٧ / ١٧٠ ولشيخنا الأميني تعليق لطيف جداً على هذا التسمة ليس هذا موضع ذكره فراجعه .

(٢) قال ابن قتيبة : البائر الهالك ، والأصل في قوله غل قمل انهم كانوا يغلون بالقد وعليه الشعر فيقمل الرجل ، ولا يأتمر رشداً أى لا يأتي برشد من ذات نفسه ، يقال لمن فعل الشيء بلا مشاورة : قد ائتمر ، وبئس ما ائتمر ، وبئس ما ائتمرت لنفسك .

(٣) انظر شرح ابن ابي الحديد م ٣ / ١٣٧ .

(٦)

المغيبـــات

في « نهج البلاغة »

أما العلم بالمغيبات في (نهج البلاغة) فلا نقول : إنه استنتاج للقضايا الاجتماعية ، من مقدماتها وأسبـابها ، أو أن الذي مكن الامام ذلك هو دقة ذهنه ، وقوة عارضته – كما قال بعضهم – ولكنه تعلم من ذي علم ، فإن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وآله على أمور غيبية فعلمها النبي لوصيه عليه السلام ودعا له بأن يعيها صدره ، وتضطم عليها جوانحـــه ، فأخبر أمير المؤمنين الناس ببعض ذلك حسب مقتضيات الأحوال « وأفضى اليهم ببعض ما سمع ، وما كـَذب ولا كـُذب » .

ولشيخنا الأميني كلمة جامعة حول الموضوع نقتطف منها ما يلي :

« العلم بالغيب أعني الوقوف على ما وراء الشهود والعيـان من حديث ما غبر وما هو آت إنمـــا هو أمر سائغ ممكن لعامة البشر كالعلم بالشهادة يتصور في كل ما ينبأ الأنسان من عالم غابر ، أوعهد قادم لم يروه ولم يشهده ، مهما أخبره بذلك عالم خبير ، أخذاً من مبدأ الغيب والشهادة ، أو علماً بطرق

أخـــرى معقولة ، وليس هناك أي وازع من ذلك ، وأما المؤمنين خاصة فأغلب معلوماتهم إنما هوالغيب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه، والحياة بعد الموت، والبعث والنشور ، ونفخ الصور ، والحساب ، والحور والقصور والولدان ، وما يقع في العرض الاكبر ، الى آخر ما آمن به المؤمن وصدّقه ، فهذا غيب كله ، وأطلق عليه الغيب في الكتاب العزيز ، وبذلك عرف الله المؤمنين في قوله تعـــالى : (الذين يؤمنون بالغيب) « البقرة : ٣ » وقوله (جنات عدن وعد الله عباده بالغيب) « مريم : ٦١ » .

ومنصب النبوة والرسالة يستدعي لمتوليه العلم بالغيب من شتى النواحي مضافاً إلى ما يعلم منه المؤمنون ، واليه يشير قوله تعالى : (كلا نقص عليك من أنبـاء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) « هود : ١٢٠ » ومن هنا قص على نبيه القصص ، وقال بعد النبأ عن قصة مريم : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) « آل عمران : ٤٤ » وقال بعد سرد قصة نوح : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك) « هود : ٤٩ » وقال بعد قصة إخوان يوسف : (ذلك من أنبـاء الغيب نوحيه اليك) « يوسف : ١٠٢ » .

وهذا العلم بالغيب الخاص بهم دون غيرهم ينص عليه بقوله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) ، نعم : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) ، (وما اوتيتم من العلم الا قليلاً) .

فالأنبياء والأولياء والمؤمنون كلهم يعلمون الغيب بنص من الكتاب العزيز، ولكل منهم جزء مقسوم ، غير أن علم هؤلاء كلهم بلغ ما بلغ محدود لامحالة كمّاً ، وكيفاً ، وعارض ليس بذاتي ، ومسبوق بعدمه ليس بأزلي ، وله بدء ونهـاية ليس بسرمدي ، ومأخوذ من الله سبحـــانه وتعـالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) . « الانعام : ٥٩ » .

والنبي ووارث علمه في امته يحتاجون في العمل والسير على طبق علمهم بالغيب من البلايا ، والمنايا ، والقضايا ، واعلامهم الناس بشيء من ذلك ، إلى امر المولى سبحانه ورخصته ، وانما العلم ، والعمل به ، واعلام الناس بذلك ، مراحل ثلاث لادخل لكل مرحلة بالاخرى ، ولا يستلزم العلم بالشيء وجوب العمل على طبقه ، ولا ضرورة الاعلام به ، ولكل منها جهات مقتضية ، ووجوه مانعة لابد من رعايتها ، وليس كل ما يعلم يعمل به ، و (لا كل مايعلم يقال) .

فهلاّ كان من الغيب [1] (نبأ ابني آدم وابن نوح) وانباء قوم هود وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم ولوط ، وذكرى ذي القرنين ، ونبأ من سلف من الأنبياء والمرسلين ؟

وهلا كان منه ما أسر به النبي ﷺ إلى بعض أزواجه فأفشته الى أبيها فلما نبأها به (قالت ، من أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير) « التحريم ، ٣ » ؟ .

وهلا كان منه ما أنبأ موسى صاحبه من تأويل ما لم يستطع عليه صبراً (الكهف) ؟

وهلا كان منه ما كان يقول عيسى لامته : (وأنبأكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) ؟ (آل عمران : ٤٩) .

وهلا كان من قول عيسى لبني إسرائيل : (يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد): (الصف : ٦) .

وهلا كان منه ما أوحى الله تعالى إلى يوسف : (لتنبأنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) ؟ (يوسف : ١٥) .

---

(١) اى من الغيب الممنوع على غير الله تعالى .

وهلا كان منه ما أنبأ آدم الملائكة بأسمائهم أمراً من الله : (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) ؟ (البقرة : ٣٣) .

وهلا كان منه تلك البشارات الجمة المحكية عن التوراة والانجيل والزبور وصحف الماضين وزبر الأولين بنبوة نبي الإسلام وشمائله ، وتاريخ حياته ، وذكر امته ؟

ليس هناك أى منع وحظر إن علم الله أحداً ممن خلق مما شاء وأراد من الغيب المكتوم ما كان أو سيكون ، من علم السموات والأرضين ، من علم الأولين والآخرين ، من علم الملائكة والمرسلين ، كما لم ير وازع إذا حبا أحداً بعلم ما شاء من الشهادة وأراه ما خلق كما أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، ولا يتصور عندئذ قط اشتراك مع المولى سبحانه في صفة العلم بالغيب ولا العلم بالشهادة ، ولو بلغ علم العالم أى مرتبة رابية .

وكذلك الحال في علم الملائكة ، لو أذن الله تعالى إسرافيل مثلاً وقد نصب بين عينيه اللوح المحفوظ الذي فيه تبيان كل شيء أن يقرأ ما فيه ، ويطلع عليه لم يشارك الله قط في صفة العلم بالغيب ، ولا يلزم منه الشرك .

فلا مقايسة بين العلم الذاتي المطلق وبين العرضي المحدود ، ولا بين ما لا يكيف بكيف ، ولا يؤين بأين وبين المحدود والمقيد ، ولا بين الأزلي الأبدي وبين الحادث الموقت ، ولا بين التأصلي وبين المكتسب من الغير ، كما لا يقاس العلم النبوي بعلم غيره من البشر ، لاختلاف طرق علمها ، وتباين الخصوصيات والقيود المتخذة في علم كل منهما مع الاشتراك في امكان الوجود .

فالعلم بالغيب على وجه التأصل والاطلاق من دون قيد بكم وكيف كالعلم بالشهادة على هذا الوجه انما هو من صفات الباري سبحانه ويختصان بذاته لا مطلق العلم بالغيب والشهادة وهذا هو المعنى نفياً واثباتاً في مثل قوله تعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) « النمل : ٦٥ »

وقوله تعالى (انّ الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور) « فاطر : ٣٨ » . وقوله تعالى حكاية عن نوح : (لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك) « الأنعام : ٥٠ ، هود : ٣١ » وقوله حكاية عن نبيه صلى الله عليه وآله : (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) « الاعراف : ١٨٨ » .

وبهذا التفصيل في وجوه العلم يعلم عدم التعارض نفياً واثباتاً بين أدلة المسألة كتاباً وسنة ، فكل الأدلة النافية والمثبتة ناظر الى ناحية منها ، والموضوع المنفي من علم في لسان الأدلة غير المثبت منه ، وكذلك بالعكس، وقد يوعز الى الجهتين في بعض النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام مثل قول الامام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام مجيباً يحي بن عبد الله بن الحسن لما قال له : جعلت فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب ؟ فقال عليه السلام (سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي الا قامت) ، ثم قال : (لا والله ما هي الا وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) [1] .

وكذلك الحال في بقية الصفات الخاصة بالمولى العزيز سبحانه وتعالى فانها تمتاز عن مضاهاة ما عنده غيره من تلكم الصفات بقيودها المخصصة ، فلو كان عيسى على نبينا وآله وعليه السلام يحي كل الموتى بإذن الله ، أو كان خلق عالماً من البشر من الطين باذن ربه أو بدل ذلك الطير الذي أخبر عنه بقوله : (اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله)« آل عمران : ٤٩ » لم يكن يشارك المولى سبحانه في صفة الأحياء والخلق ، والله هو المولى ، وهو محي الموتى وهو الخلاق العليم .

وان الملك المصور في الارحام مع تصيره ما شاء الله من الصور وخلقه

---

(١) اخرجه شيخنا المفيد في المجلس الثالث من اماليه .

سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها[1] لم يـكن يشارك ربه في صفته ، والله هو الخالق البارىء المصور ، وهو الذي يصور في الارحام كيف يشاء .

وملك الموت مع أنه يتوفى الأنفس ، وأنزل الله فيه القرآن وقال : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) « السجدة : ١١ » صح مع ذلك الحصر في قوله تعالى: (الله يتوفى الانفس حين موتها) والله هو المميت ولا يشاركه ملك الموت في ذلك ، كما صحّت النسبة في قوله تعـالى : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) « النحل : ٢٨ » وفي قوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) « النحل : ٣٢ » ولا تعارض في كلّ ذلك ولا اثم ولا فسوق في اسناد الإماتة الى غيره تعالى .

والملك لا يغشاه نوم العيون ولا سنة الراقد[2] بتقدير من الله العزيز العليم ومع ذلك لم يشارك الله فيما مدح نفسه بقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) . « البقرة : ٢٥٥ » .

ولو أن أحداً مكنه المولى سبحانه من احياء موتان الارض برمتها لم يشاركه تعالى : (والله هو الذي يحيي الارض بعد موتها) [3] اهـ .

وللشيخ ميثم البحراني رحمه الله رأي في كيفية علم أمير المؤمنين عليه السلام بعض المغيبات نورده هنا اتماماً للفائدة قال :

لا يقال : لا نسلم أن ذلك علم ألهمه الله اياه ، وأفاضه عليه ، بل الرسول صلى الله عليه وآله أخبره بوقائع جزئية من ذلك، وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في

---

(١) مضمون أحاديث مرفوعة أخرجها البخاري في صحيحه في باب ذكر الملائكة ، ومسلم في صحيحه وأحمد في مسنده ١ ، ٣٧٤ ، ٤٣٠ وغيرهم .

(٢) راجع الخطبة الاولى من نهج البلاغة وشروحها .

(٣) الغدير ٥ / ٥٢ — ٥٩ .

هذا المعنى ، فانّ الواحد منّا لو أخبره الرسول ﷺ بشيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قال الرسول وان وقع المخبر به على وفق قوله ، ويدل على ذلك قوله بعد وصف الأتراك وقد قال له بعض أصحابه في ذلك المقام : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل-وكان كلبياً-:(يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب ، وانما هو تعلم من ذي علم ، وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام) من ذكر وانثى، وقبيح وجميل، وشقي وسعيد، ومن يكون للنار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً ، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه ﷺ فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي) ،وهذا تصريح بأنه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنا نقول : إنا لم ندع أنه عليه السلام يعلم الغيب ، بل المدعى أنه كان لنفسه القدسية إستعداد أن تنتقش بالامور الغيبية عن إفاضة جود الله تعالى ، وفرق بين الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما ادعيناه ، فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيده وذلك إنمّا يصدق في حق الله تعالى إذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده إما بواسطة أو بغير واسطة فلا يكون علم غيب وإن كان إطلاعاً على أمر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه كل الناس ، بل يختص بنفوس خصت بعناية إلهية كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) فاذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه عليه السلام صادق مطابق لما أردناه فانه نفى أن يكون ما قاله علم غيب لأنه مستفاد من جود الله تعالى ، وقوله : (وانما هو تعلم من ذي علم) اشارة الى واسطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه ، واشارة الى كيفية السلوك وأسباب التطوع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والإخبار عنها ، وليس التعلم — وان كان أمراً قد يلزم ايجاد العلم — فتبين اذن أن تعليم رسول الله ﷺ لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية ،

ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول ﷺ صوراً جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها فان فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حق من له أدنى فهم ، وان ما يحتاج الى الدعاء ، واعداد الأذهـان له بأنواع الأعدادات هو الامور الكلية العـامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعهـا وتفصيلها وأسباب تلك الامور المعدة لإدراكها، وما يؤيد ذلك قوله عليه السلام : (علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب)، وقول الرسول : (أعطيت جوامع الكلم وأعطى علي جوامع العلم) ، والمـراد بالانفتاح ليس الا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هوأهم منها ، وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه وقوانينه ، وفي قوله : (وأعطي) بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي ﷺ بل الذي أعطـاه ذلك هو الذي أعطى النبي ﷺ جوامـع الكلم وهـو الحق سبحانه وتعالى .

أما الامور التي عددها الله سبحانه فهو من الامـور الغيبية ، وقوله لا يعلمها أحد الا الله كقوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) وهو محتمل للتخصيص لمـا هو في قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احـداً إلا من ارتضى من رسول ، الجن : ٢٦) واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة [١] ا هـ .

وما أدري لماذا يقال : « ان التنبؤات التي جاءت في (نهج البلاغة) عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها من مدخول الـكلام عليه ، مما أضافه النساخ إلى الـكتاب بعـد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل ... » [٢] ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم البحراني ج ١ ص ٨٣/٨٥ .

(٢) القائل هو الاستاذ العقاد في « عبقرية الامام » ص ١٧٧ .

هب أن الإخبـار عن الحجـاج وفتنة الزنج أضيفت الى الكتـاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل ــ لأنه لايريد أن يتهم الرضي بالوضع ــ ولكن كيف يضاف إلى الكتاب الاخبار عن فتنة التتار ، وكل حوادث التتار من حملات جنكيزخان إلى احتلال هلاكو بغداد كان ما بين سنة (٦١٦) وسنة (٦٥٦) وهذه نسخ (نهج البلاغة) المخطوطة قبل هذا التأريخ كما سيأتي الكلام عليها مفصلا تحت عنوان « مشكلة الاضـــافات » ــ وفيها نسخة مكتبة المتحف العراقي المؤرخـــة سنة (٥٥٦) هـ أي قبل وقوع تلك الحوادث بمائة عام وفيها هذا الـكلام الذي يشير فيه الامام أمير المؤمنين عليه‌السلام الى تلك الفتن والمحن وهو لا يختلف عما في النسخ المطبوعة ، بل المخطوطة أيضاً :

وهذا عبد الحميد بن أبي الحـديد وقعت إليه علة نسخ من الكتاب وفيها ما كتب في حياة الرضي رحمه الله كما أشار ذلك في غير موضع من شرحه لم يستشعر هذه الإضافات المزعومة ، بل نراه يقول في شرحه للخطبة التي أشار فيها أمير المؤمنين الى التتار :

« واعلم ان هذا الغيب الذي أخبر عليه‌السلام عنه قد رأيناه نحن عيـاناً ، ووقع في زماننا ، وكان الناس ينتظرونه من أول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا ، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق ». الخ [١].

وليت شعري لماذا كل هذا التحامل على « نهج البلاغة » لاشتماله على ذكر بعض الامور الغيبية ، وهذه كل كتب الحديث والسنن ، والتاريخ والسير ، والعلم والأدب قل أن يخلو واحد منها من ذكر مغيبات رويت عن أمير المؤمنين وغيره من الصحابة وغيرهم .

---

(١) الشرح م ٢ ص ٣٦٢ .

(٧)

الزهد وذم الدنيا

الدنيا المذمومة في (نهج البلاغة) هي الدنيا الموصوفة في القرآن الكريم بقوله سبحانه : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد . الحديد : ٢٠) فالدنيا الموصوفة في هذه الآية هي التي أمر أمير المؤمنين عليه السلام بالزهد فيها ، ونهى عن الركون إليها ، والتهالك عليها ، ومتاعها ما جمع في قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . آل عمران : ١٤) فالحبّ الأعمى لهذه المذكورات مع الغفلة عما بعدها ، والسعي للحصول عليها من أي وجه ، وعلى أي كيفية هو المراد في كل ما جاء في (نهج البلاغة) فخرج بهذا الكسب لصيانة ماء الوجه ، والسعي في طلب الرزق الحلال للتوسعة على الاهل ، وصلة الارحام، والتفقد للجيران ، والتعطف على أهل المسكنة ، والاعانة للضعيف ، والاغاثة للهيف ، والعمل في التجارة لتنظيم الحياة ، وإعداد القوة لإعلاء كلمة الحق ، ودحض الباطل الى امثال ذلك ، ويظهر من هذا معنى ما ورد في الأثر (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله) .

واظن انّ مورد هذه الشبهة حفظ من (نهج البلاغة) شيئاً وغابت عنه

أشياء ونظر فيه من جانب وأهمل منه عدة جوانب ، فهو يستمسك بكلام أمير المؤمنين عليه السلام مع نوف البكالي ، ويأخذه على ظاهره ، ويتجاهل كلامه مع عاصم بن زياد الحارثي حين سمع عنه أنـّه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا ، فدعاه عليه السلام فلما رأى ما هو عليه قال: ياعدي نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله احل لك الطيبات وهويكره أن تنالها؟ أنت أهون على الله من ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، هـذا أنت في خشونة ملبسك ، وجشوبة مأكلك ؟ قال:«ويحك إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره»[1] .

وتجاهل ايضاً قوله عليه السلام في عهده لمحمد بن ابي بكر : (ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذ الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ ، والمتجر الرابح)[2].

فالدنيا في (نهج البلاغة) على ضربين :

دنيا تطلب لذاتها مع الغفلة عما وراءها وهي المذمومة . ودنيا تطلب لما بعدها وتؤخذ من حلها ، وتنال من الوجه الذي اذن اللهبه وهي المحمودة لان (الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها)[3] وهي (دارصدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ودار موعظة لمن اتعظ بها ، مسجد أحباء الله ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط وحي الله ، ومتجر

---

(١) نهج البلاغة ٢ / ٢١٣ .
(٢) « « ٣ / ٣١ .
(٣) « « ٢/ ٢٦٢ .

أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة فمنذا يذمها ؟ [١] .

وصفوة القول : إن أمير المؤمنين عليه السلام يرى أن ما أحلّ الله في الدنيا اكثر مما حرم منها ، وبمقدور الانسان أن يتمتع بزينتها المحللة ، ويتناول من طيبات رزقها مع الحذر من اتباع الهوى ، وطول الامل (قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . الأعراف : ٣١) واذا استعصى على الانسان ان يتوصل الىذلك الا بما حرم الله (فطوبى للزاهدين في الدنيا ، اولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً ، وماءها طيباً) [٢] و (كل مقتصر عليه كاف » [٣] و « وما خير بعده النار بخير ، وما شرّ بشرّ بعده الجنة ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية) [٤] ولهذا قال عليه السلام : « والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا ، واجــر في الأغلال مصفدا أحب الي من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام » [٥] .

والخلاصة : ليس الزهد في (نهج البلاغة) هو تقصير الثياب ، وتقارب الخطو ، ولوي الجيد ، والتماوت عند التكلم ولكن « الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والورع عند المحارم » [٦] و (الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ١٨١ .
(٢) » » ٣ / ١٧٣ .
(٣) » » ٣ / ٢٤٨ .
(٤) » » ٣ / ٢٤٧ .
(٥) » » ٢ / ٢٤٣ .
(٦) » » ١ / ١٢٦ .

الحديد : ٢٣) و (من لم يأس على المـــاضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه » [١] و « افضل الزهد اخفاء الزهد » [٢] .

وأما ما في (النهج) من ذكر الموت والفنى ، والقبر والبلى فله في القرآن الكريم اسوة فكم فيه من آيات، مثل (اينما تكونوا يدرككم الموت. النساء: ٧٧) (كلّ نفس ذائقة الموت. الانبياء : ٣٥) (فاصابتكم مصيبة الموت المائدة : ١٠٩) (وجاءت سكرة الموت بالحق . ق : ١٩) (كل من عليها فان. الرحمن : ٢٦) (كل شيء هالك الاّ وجهه القصص : ٨٨) . وهكذا.

وسرّ الحث الشديد على ذكر الموت - سواء كان في القرآن الكريم او الأحاديث النبوية أو في (نهج البلاغة) - عظيم ، وحكمته بالغة ، فإنّ من كان ذاكراً للموت مستعداً له يعيش شجاعاً لا يرهب سلطاناً ، ولا يجبن في نزال ، ولا يكف عن القتال ، كريماً لا يحرص على مال ، عادلاً لا يظلم ، بريئاً من الحرص والطمع، سالماً من الخبث والجشع، صابراً في البأساء والضراء شاكراً عند الشدّة والرخاء لا تزعزعه الشدائد ، ولا تثني عزمه الأوابد [٣]، عزيزاً لا يخزى ولا يذل ، عاملا يجـد لا يكلّ ولا يملّ ، لا تريبه ريبـة ، ولا يجزع لمصيبة ، ولا تفسده الشهوات ، ولا تقوده اللذات ، ولا تضعضعه البليات ، لا يؤخر عملاً الى غد مخافة أن يدركه الأجل فيفوته أجر العمل ، وهذا هو السبب في عزّ المسلمين في الغابر ، وذلهم في الحاضر ، فانهم كانوا يذكرون الموت في جميع اوقاتهم حتى ان اصحاب رسول الله كانوا لا يتركون الوضوء مخافة أن تدركهم الساعة وهم محدثون ، فلما أيقنوا انهم صائرون الى

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٢٥٨ .

(٢) « « ٣ / ١٥٦ .

(٣) الأوابد : جمع آبدة وهي الداهيـة .

الموت لا محـــالة وكانوا ذاكرين له في جميع حالاتهم هانت عليهم نفوسهم فارخصوها في سبيـل الله ، وجدوا في العمل فأدركوا غاية الأمل ، ومن هانت[1] عليه نفسه عزّ وأبى الذل، وكان ذلك شعارهم في جهادهم وغزواتهم وارجازهم في حروبهم .

هذا العباس بن علي عليه السلام يقول في رجزه عند جهاده من هم أكثر منه عدداً وعدة :

لا أرهب الموت إذا الموت زقا   حتى أوارى في المصاليت لقى[2]
إني انا العبـــاس اغـدو بالسقا   ولا أخاف الشر عند الملتقى

وقد اقتدى بذلك بأخيه الحسين عليه السلام اذ يقول في رجزه :

الموت خير من ركوب العار   والعار اولى من دخول النار

وقال قبل ذلك :

فان تكن الابدان للموت انشئت   فقتل امرء بالسيف في الله افضل

وقد جرى شعراء المسلمين وادباؤهم في صـدر الاسلام في هـذا الجري فقال قائلهم :

واذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العـار ان تموت جبانا

وما احسن قول المتنبي حين قال :

إذا غامرت في أمر مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير   كطعم الموت في أمر عظيم

---

(١) هانت هنا بمعنى رخصت وفي هذا الهوان كل الكرامة .

(٢) زقا بمعنى صاح ، والمصاليت جمع مصلات وهو الرجـــل السريع المتشمر قال عامر ابن الطفيل:

وإنا المصاليت يوم الوغى   اذا ما المغاوير لم تقدم

وكانوا يعدون نسيان الموت ضلالاً ، وذكره هدى وكمالاً فقال شاعرهم :

صاح شمر ولا تزل ذاكر المـــوت فنسيانه ضلال مبين

وبذلك حسنت حالهم ، وصلحت أعمالهم ، وأدركوا ما أملوا وعز سلطانهم ، وقويت شكيمتهم ، وسخروا البلاد ، وخضعت لهم جبابرة العباد، ولما حلت الدنيا في أعينهم وتناسوا ذكر الموت اسرعوا إلى اللذات، وانقادوا الى الشهوات ، وهابوا الموت ففزعوا لكل صيحة وصوت ، وتداعت اركانهم ، وتزعزع سلطانهم ، فهلكوا وضلوا ، وخابوا وذلوا ، فذكر الموت حياة وفيه رضى الرحمن ، ونسيانه ممات ومرضاة للشيطان [1] .

---

(١) احياء الشريعة ١ / ٣٣٠ - ٣٣٦ .

(٨)

وصف الحياة الاجتماعية

الشبه حول (النهج) كلها واهية من أصلها ولكن هذه الشبهة بالخصوص أوهاها وليت شعرى كيف يستكثر على رجل مثل علي بن ابي طالب ان يصف الأوضاع الاجتماعية وهو ذو النظرة الثاقبة و (الاذن الواعية) الذي استمد ثقافته من القرآن ، ولازم الرسول ملازمة اصبح بها باب مدينة علمه ، ووعاء فهمه ، وعيبة حكمه مع تجاربه الكثيرة وخبرته الواسعة ، وكثرة الأحـــداث في عصره ، فكم جرت من حوادث هامة ، ووقعت من قضايا كبرى؟ وكم اختلف فقهاء الصحابة بينهم في الأحكام؟ وكم رد بعضهم على بعض في كثير من المسائل ؟ وكم سفك من دم حرام ؟ وكم اكلت اموال بالباطل ؟ وكم وكم وهلم جرا .

فكيف والحـال هذه لا يصف علي ماحوله ، ولا يشن الحملة على بعض الولاة الخونة ، والقضـاة الفسقة وهو حامي حمى الإسلام والمتفاني في سبيل الصالح العام .

(٩)

المشتركات في « نهج البلاغة »

اما ما قيل : إن بعض ما روى عن الامام علي في (نهج البلاغة) روي عن غيره في غيره ، فهو قليل جـــداً وسنتعرض لذكر مداركه ونذكر من رواه عن امير المؤمنين في امكنته من هذا الكتاب بحول الله وقوته .

وارجو ان لايغرب عن البال نصوص العلماء المتعددة ، والتي سلف ذكر بعضها ان خطب امير المؤمنين عليه السلام كانت تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم إما بنصها ، او بالاقتباس منها ، او باحتذاء امثلتها ، ويغفلون نسبتها اليه انتحالاً او تقية او لسبب آخر .

بل وحتى الخوارج لايمتنعون من حفظ خطبه عليه السلام واعادتها على منابرهم في الجمع والأعياد .

يقول الاستاذ الشيخ محمد علي دبوز استاذ الأدب العربي في معهد الحياة في الجزائر (وهو من معتدلي الأباضيـــة) في كتابه (تاريخ المغرب الكبير) ج ٣ ص ٥٨٨ .

« قال ابن الصغير : كان الأباضيـــة (في الدولة الرستمية) [١] لا يمنعون

---

(١) الدولة الرستمية من دول الاباضية في المغرب من سنة ١٤٤/٢٩٦هـ وعاصمتها تيهرت.

احداً من الصلاة في مساجدهم ولا يكشفون على حاله ولو رأوه رافعاً يديه[1] وكانت خطبهم على منابرهم هي خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لحب الاباضيـة للامام علي رضي الله عنه [2] ، واجلالهم لمقامه ، واعجابهم ببلاغته وفصاحته .

ان ايثار الاباضية في الدولة الرستمية لخطب الامام علي رضي الله عنه يدل على حبهم له وعلى الرقي الذى كانت عليه الدولة في الفهم والذوق الأدبي ، وعلى تمكن الجماهير [3] في العربية .

إن خطب الجمعة والأعياد يراعي الأئمة فيها ان تكون في مستوى الجماهير ، وخطب الامام علي رضي الله عنه التي كانت تجلجل في منابر تيهرت دليل على مستوى الثقافي الرفيع الذي كانت عليه الجماهير وعلى تمكن الدولة الرستمية في العربية الفصحى وانتشارها في كل طبقاتها » .

ومما يجدر التلميح له في هذا المقام ان خصوم علي وبنيه في الدولة الاموية ، بل وحتى في دولة قسمائهم وبني عمهم آل العبـــاس جندوا انفسهم الى محق فضائلهم ومحو آثارهم بشتى الوسائل ومختلف الأساليب :

فطائفة عليها وضع الاحاديث في ذمهم ...

---

(١) لعله يقصد من خالفهم برفع اليدين في التـكبير في الصلاة زائداً عن تـكبيرة الاحرام كما هو مذهب الإمامية وبعض علماء الجمهور .

(٢) الرجل هنا لايريد ان يتخلى عن مذهبه ولا يحب ان يقر اصحابه على المشهورعنهم من البغض لعلي عليه السلام اذ لا ريب انه (وهو البـاحث المتضلع كما يدل عليه كتابه المذكور) اطلع على ما ورد فيصحاح السنن ومتواتر الاخبار (انه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق) فأراد ان يوفق بين مذهبه وما ثبت لديه .

(٣) يقصد بالجماهير الاباضية فقد عبر عنهم في مواضع من كتابه بذلك كما سماهم في مواطن اخرى بالجمهوريين .

واخرى مهمتها تجريح ما ورد في فضلهم ...

واخرى وظيفتها اختلاق الأخبار في مدح مناويئهم وهكذا ... [١]

وجماعة عليهم ان ينسبوا ما ورد عنهم من الكلم والحكم والأدعية والمناجات الى غيرهم ...

ولهذا السبب اخفى اهل البيت عليهم السلام (الصحيفة السجادية) الا عن خواص شيعتهم مخافة أن يقع هذا العلم الى أعدائهم فينسبونه إلى غيرهم [٢].

وكيف كان فيه :

من جاء بالقول البليغ فنا قل عنهم وإلا فهو منهم سارق

أما الشبهة العاشرة وهي خلو الكتب الأدبية عن كثير مما في (نهج البلاغة) بزعمهم فستعرف في هذا الكتاب – بعون الله – بطلان ذلك .

● ● ●

رأي ابن أبي الحديد

ولا يفوتنا بعد ما تقدم أن نذكر رأي ابن أبي الحديد المعتزلي في (نهج البلاغة) فان له يداً طولى في النقد والتمحيص ، وقدماً راسخة في التحقيق والدراية ، قال :

« ان كثيراً من أرباب الهوى [٣] يقولون : انّ كثيراً من (نهج البلاغة)

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب (نقض العثمانية) لشيخ المعتزلة ابي جعفر الإسكافي .

(٢) مؤلفو الشيعة في صدر الاسلام ص ٣١ .

(٣) اصحاب هذا الرأى أسبق من ابن خلكان ولكنهم مجهولون ولذا جعلناه رأس المشككين في (النهج) .

كلام صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي ابي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم أعمت العصبيـة أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا بينات الطريق ضلالاً وقلة معرفة باساليب الكلام .

وانا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول : إمّا أن يكون كل (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولا ، أو بعضه ، والاول باطل بالضرورة ، لأنا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى امير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينتسبوا الى غرض في ذلك ، والثاني يدل على ما قلنـــاه ، لأن من أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح الأفصح ، وبين الأصيـل والمولد ، واذا وقف على كراس واحـد يتضمن كلاماً لجمـاعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابد أن يفرق بين الكلامين ويميّز بين الطريقتين ، ألا ترى انا مع معرفتنا بالشعر ونقـــده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنـائه قصائد أو قصيدة واحـدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ، ومذهبه في القريض ؟ ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس شيئاً كثيراً لمـا ظهر لهم أنه ليس من الفاظه ، ولا من شعره ، وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمـدوا في ذلك الا على الذوق خاصة ؟ وانت اذا تأملت (نهج البلاغة) وجدته كله ماءاً واحداً ونفساً واحداً ، واسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز اوله كأوسطه ، واوسطه كآخره ، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لبـــاقي الآيات والسور ، ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولا ، وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك ، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين

عليه السلام ... واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه مالا قبل له به ، لأنا متى فتحنا هذا الباب ، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً ، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول ، وهذا الكلام مصنوع ، وكذلك مانقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك ، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله ، والأئمة الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والشعراء والمترسلين والخطباء ، فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعدوا إلى مثله فيما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره وهذا واضح »[1] .

(١) شرح نهج البلاغة م/ ٢ ص ٥٤٦ .

مشكلة الاضـــافات

بقيت مشكلة اخرى ، وهي أن الشريف الرضي رحمه الله بعد فراغه من جمع (نهج البلاغة) ترك أوراقاً من البياض في آخر كلّ باب من أبوابه الثلاثة لاقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد[1] ، فهل بقي (النهج) على وضعه ؟ أم تعرض للزيادات والاضافات — كما زعم بعضهم —؟ [2] والحقيقة، إن دعوى هذه الزيادة من الافتراء المحض كالافتراء بأن (نهج البلاغة) من وضع جامعه ، وهي ممنوعة أشدّ المنع لامور :

(الاول) إن النسخة التي بخط الرضي كانت موجودة في زمن ابن أبي الحديد ، كما ذكر ذلك في شرح قوله:(لله بلد فلان) قال : وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي ابي الحسن جامع (نهج البلاغة) وتحت فلان عمر، قال : حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الشاعر الأديب،[3] والسيد شمس الدين فخار بن معد توفي في سنة ٦٣٠ ، وابن أبي الحديد ألف الشرح بين سنة ٦٤٠ و ٦٤٤، فالنهج إلى هذا الحد سالم من

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٢٦٧ .

(٢) انظر مدارك نهج البلاغة ص : ١١٣ .

(٣) شرح النهج م ٣ / ٩٢ .

التحريف والاضافة ، بل وإلى زمن كال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة (٦٧٩) لأنه أشار إلى نسخة الرضي في مواضع من شرحه على (نهج البلاغة) .

(الثاني) إذا عرفت ما تقدم فاليك بعض النسخ المخطوطة الموجودة في هذا الوقت وهو سنة (١٣٨٤) ه وفيها ما هو سابق في تأريخه على زمن السيد فخار بن معد ، وابن أبي الحديد ، وابن ميثم أيضاً ، ولا تعقل الزيادة بعد ذلك الزمن لان ابن أبي الحديد، وابن ميثم ضبطا أصل (النهج) في شرحيهما عليه.

١ — حدثني شيخنا العلامة الخبير المتتبع الشيخ عبد الحسين الاميني مؤلف (الغــدير) دام علاه قال : « رأيت نسخة من (نهج البلاغة) عند أحــد الأعلام في النجف الاشرف وعليها اجازة السيد المرتضى أعلى الله مقامه بخط يده لبعض تلامذته وفيها يقول : «اجزت لفلان رواية كتاب أخي ... الخ» والنسخة لا تختلف عما في ايدي الناس اليوم من « نهج البلاغة » . قال : (وقد بيع هذا الكتاب في سوق الهــرج ، وصادف وجود الحـــاج نعمان الاعظمي في النجف فاشتراه ولا يعلم مستقره الآن إلا الله سبحانه وتعالى).

٢ — ومما أفادني به شيخنا الاميني قال : (يوجد في مدرسة النواب بمشهد الامام الرضا سلام الله عليه نسخة من (نهج البلاغة) ناقص من أوله مقدار ورقة وفي آخر النسخة ما يلي :

تم كتاب «نهج البلاغة» وقد صادف الفراغ من كتابته سنة أربع وأربعين وخمسمائة كتبه محمد بن أحمد النقيب حامداً ومصلياً على نبيه ﷺ » .

٣ — نسخة من « نهج البلاغة » تاريخ كتابتها سنة (٥١٢) ه توجد عند السيد محمد المحيط الطباطبائي بطهران ، كذا في (الذريعة) لشيخنا الطهراني (حرف النون القسم المخطوط) .

٤ — نسخة من (نهج البلاغة) في مكتبة مدرسة الفاضل خانة [١] ، في المشهد الرضوي بخط الشريف محمد بن محمد بن احمد النقيب تاريخها سنة (٥٤٤) كما في (الذريعة) أيضاً. والظاهر انها هي النسخة التي رآها الشيخ الأميني.

٥ — ومنه نسخة رآهـا الشيخ آغا بزرك رحمه الله عند السيد محسن الكشميري الكتبي ببغداد تاريخ نسخها سنة (٥٢٥) (الذريعة : حرف النون : القسم المخطوط).

٦ — نسخة من « نهج البلاغة » رأيتها أنا في مكتبة الآثار (مكتبة المتحف العراقي) ببغداد برقم (٣٥٦) مخطوطات ، كاملة جيدة الخط ، واضحة الرسوم ، تاريخها كما في آخرها مكتوب بالحمرة هكذا بالحرف الواحد (آخر كتاب نهج البلاغة فرغ من كتابته محمد بن سعيد بن الحسين العامري يوم الجمعة ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمس وستين وخمسمائة) وبعده مكتوب بنفس الخط وقد طمست بعض الكلمات ، وعاثت الأرضة في بعضها ، وأنا أذكر لك بعض ما استطعت قراءته :

قال أبو الحسن علي بن احمد الفنجكردي فيه [٢] .

(نهج البلاغة) من كلام المرتضى — جمـع الرضي الموسوي السيد
بهر العقول بحسنه وبهـائه [٣] — كالدر فصـل نظمه بزبرجـد
الفاظـه عـلوية لـكنهـا — علوية حلت محـل الفـرقد
فيـه لأرباب البلاغـة مقنع — من يعن باستظهـاره يستسعد

---

(١) نقلت مكتبة هـذه المدرسة الى مكتبة الامام الرضا عليـه السلام بعد هـدم المدرسة واضافتها الى أحد الشوارع .

(٢) الياء من كلمة (فيه) ا كلتها الارضة يا للاسف .

(٣) هكذا بالياء وفي النسخة مواضع كثيرة استبدلت فيها الهمزة بالياء .

وترى العيون إليه صوراً[1] إن قرا منه كتاباً رائعـــاً في مشهـد
أعجب به كلماته قـــد ناسبت كلمات خير النـــاس طراً أحمد
نعم المعـــين على الخطابة للفتى وبه إلى طرق الـكتابة يهتـدي
وأجـد يعقوب بن أحمـد ذكره لعلو همته (وطيب المولد) [2]
ودعا اليـه تحرضـــاً اصحـابه فعل الحنيفي الـكريم المرشـد

وفي أول صفحة منه كما يأتي : (هذا الكتاب الشريف مما من الله به على عبده المخطىء احمد بن محمد بن علي بن مسعود الحتي) .

وفي أواخر هذه النسخة بعد قوله عليه السلام (رب مفتون بحسن القول فيه) مكتوب هكذا بالحمرة : (زيادة من نسخة كتبت في عهد المصنف) ثم ذكر الزيادات وهي كما يلي بالحرف الواحد :

وقال عليه السلام : الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها .

وقال عليه السلام : إن لبني أمية مروداً يجرون ... الى آخر الكلمة (٤٦٤) .

وقال عليه السلام : في مدح الأنصار : هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السباط ، والسنتهم السلاط .

وقال عليه السلام : العين وكاء السه إلى آخر تعليق الرضي على هـذه الكلمة انظر الحكمة (٤٦٦) .

---

(١) صور بمعنى مائلة ومراده طامحة .

(٢) يعقوب بن احمـد هو الاديب المعروف احـد مشايخ الفنجكردي وهو القـــائل في « نهج البلاغة » :

« نهج البلاغة » نهج مهيع جدد لمن يريد عـــلواً ماله امـد ...

في أبيات نقلها صاحب « منهاج البراعة » في الجلد الاول : ٧٩ ، ورأيتها ايضاً على ظهر احدى النسخ المخطوطة من « نهج البلاغة » الموجودة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم (١٦٢٤) مخطوطات .

وقال عليه السلام : في كلام له : ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه .

وقال عليه السلام : يأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤسر فيه على ما في يديه ... الخ الكلمة (٤٦٨) .

وقال عليه السلام : يهلك في رجلان محبّ مفرط وباهت مفتر ... الخ الكلمة (٤٦٩) .

وسئل عن التوحيد والعدل: فقال عليه السلام : التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه .

وقال عليه السلام : لا خير في الصمت عن الحكم ، كما انه لاخير في القول بالجهل .

وقال عليه السلام : في دعاء استسقى به : اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها

وقيل له عليه السلام: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: الخضاب زينة ، ونحن قوم في مصيبة يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال عليه السلام : القناعة مال لا ينفد .

وقال عليه السلام : لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج : استعمل العدل، واحذر العسف والحيف الى آخر الكلمة (٤٧٦) .

وقال عليه السلام : ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم ان يعلموا .

وقال عليه السلام : شرّ الإخوان من تكلف له .

وقال عليه السلام : إذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه .

ثم كتب بعد ذلك بالحمرة هكذا (انتهت الزيادة) .

وستعرف إن شاء الله في مباحث هذا الكتاب أن هذه الزيادات كلها لأمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنها أضافها الرضي نفسه في الكتاب فقد ذكر ابن أبي الحديد بعد أن فسر قوله عليه السلام (رب مفتون بحسن القول فيه) قال: (واعلم ان الرضي رحمه الله قطع كتابه (نهج البلاغة) على هذا الفصل، وهكذا وجدت النسخة بخطه وقال — أي الرضي — : وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حامدين الله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه ، وتقريب ما بعد من اقطاره ومقررين العزم كما شرطنا أولا على تفصيل اوراق من البياض في آخر كلّ باب من الابواب لتكون لاقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ، ويقع بعد الشذوذ ، وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل) ، قال : ثم وجدنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام ، قيل : إنها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي رحمه الله وقرأت عليه فأمضاها ، واذن في إلحاقها بالكتاب [١] .

وبالجملة ان هذه النسخة أعني نسخة مكتبة الآثار من أهم نسخ (نهج البلاغة) المخطوطة في هذا الزمن ، ولكن الارضة قد دبت اليها فنخرت بعض صفحاتها مما هيج أسفي ، وأخذتني الحمية على ودائع العلم فكتبت الى الدكتور فيصل الوائلي مدير الآثار العام ، أصف له حالها ، واستنجد به في البقيا عليها ، واقترحت عليه أن تصور ليرجع إليها المراجع وتوضع هي في خزانة لا ترى إلا من وراء حجاب فلا يسمح للهواء أن يلامسها فضلاً عن الأيدي تقلبها ، ولا أدري هل القي إليه كتابي ، وأخذ باقتراحي أم لا ؟ فانه لم يتفضل بالجواب .

---

(١) شرح ابن ابي الحديد م/ ٤ / ٥٠٦ .

هذا ولم يتعرض الاستاذ الخبير كوركيس عواد لذكر هذه المخطوطة في كتابه (المخطوطات التأريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد) ولعلها وردت المتحف بعد صدور الكتاب المذكور أي بعد سنة (١٩٥٧) م .

٧ – نسخة من الكتاب المذكور بخط السيد الحسن بن محمد بن عبد الله ابن علي الجعفري الحسيني سبط الامام أبي الرضا الراوندي تاريخها سنة احدى وثلاثين وستمائة وهي بمكتبة مدرسة السيد اليزدي في النجف الاشرف .

٨ – وفي مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف نسخة من (النهج) بقلم السيد نجم الدين الحسيني بن أردشير بن محمد الطبري فرغ من كتابتها يوم السبت من آخر صفر سنة سبع وستين وستمائة وهي النسخة التي رآها صاحب الرياض فوصفها وذكر خصوصياتها فقال ما هذا نصه : السيد نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري كان فاضلاً عالماً جليلاً، وكان من تلامذة الشيخ نجيب الدين يحى بن سعيد ويروي عنه ، قال : وقد رأيت في إصفهان نسخة من (نهج البلاغة) بخطه وتأريخ كتابتها سنة (٦٦٧) آخر صفر بالحلة السيفية في مقام صاحب الزمان عليه السلام عليها خط الشيخ نجيب الدين المذكور وهذه صورة خطه الشريف : أنهاه أحسن الله توفيقه قراءة وشرحاً لمشكله وغريبه نفعه الله وايانا به بمحمد وآله ، وكتب يحى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي بالحلة حماها الله في صفر سنة سبع وسبعين وستمائة وعليها خط السيد محمد بن أبي الرضا العلوى أيضاً وهذه صورته :

انهاه ادام الله بقاه قراءة مهذبة وكتبه محمد بن أبي الرضا انتهى ، ثم انه كان على ظهر النسخة أيضاً هكذا :

قرأ عليّ السيد الأجل الأوحد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمد الطبري أصلح الله أعماله وبلغه آماله كل هذا الكتاب من أوله الى آخره ، فكمل له الكتاب كله وشرحت له مشكله،

وأبرزت له كثيراً من معانيه ، وأذنت له في روايته عني عن السيد الفقيه العالم المقرىء المتكلم مجد الدين ابى حامد محمد بن علي بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلي رضي الله عنه ، عن الشيخ فقيـــه الدين أبي جعفر محمد بن شهراشوب المازندراني ، عن السيد ابي الصمصام ذي الفقار بن معد الحسيني المروزي ، عن أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني عن السيد الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي ، وعنه الفقيه عز الدين أبي الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني البغدادي عن قطب الدين ابي الحسين الراوندي عن السيدين المجتبى والمرتضى ابني الداعى الحسين الحلبي عن أبي جعفر الدوريستي عن السيد الرضي فليروه متى شاء (بياض الاصل) سنة سبع وسبعين وستمائة .

وعلى النسخة صورة للمقابلة بنسخة صحيحة بالحضرة الغروية في شهر رمضان سنة (٧٢٦) ا هـ .

هكذا كان العلماء يروون (نهج البلاغة) ويأخذونه خلفاً عن سلف ولا يكتفي احدهم بروايته من طريق واحـد كما ترى فمن اين جاءت هذه الزيادة يا منصفون ؟

وهذه النسخة موجودة بمكتبة الامام السيد الحكيم وقد رأيتها بعيني وبمستطاع كل أحد أن يطلع عليها .

٩ ــ نسخة من (النهج) مخطوطة محفوظة بمكتبة طلعت باشـــا بدار الكتب المصرية برقم (٤٨٤٠) ادب ، كتبت بقلم النسخ الجميل ، مضبوطة بالشكل الكامل ومحلاة بالذهب واللازورد ، وبصفحة العنوان دائرة مذهبة برسم خزانة (غياث الدين والحق) يليها صفحتان متقابلتان منقوشتان بنقوش هندسية بالذهب والألوان ، وبداخلها عنوان (كتاب نهج البلاغة من كلام علي عليه السلام والصلاة على محمد وآله الطاهرين) وبعض عناوين النسخة مكتوبة

بالذهب ، وفواصل الفقرات محلاة بالذهب ايضاً ، وبآخرها خاتمة النسخة داخل حلية مذهبة جاء بها (تم الكتاب بالحضرة الشريفة المقدسة النجفية بمشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أخي الرسول ، وزوج البتول ، ووالد أولاد الرسول صلوات الله عليهم ، وكتبه وذهبه الحسين بن محمد الحسيني في شهور سنة اثنين وثمانين وستمائة) والنسخة مجلدة بجلد أثري بالضغط والتذهيب والمرجح أنه من عصر الكتابة وتقع في (٤٢١) صفحة ومسطرتها (١٣) سطراً .

وعلى هذه النسخة ضبط الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الأصل من شرح ابن أبي الحديد في طبعته الأخيرة ، وقد أخذ صورتين فتوغرافيتين واحدة من فاتحتها والثانية من خاتمتها [١] .

١٠ ـ نسخة بخط ياقوت المستعصمي الشهير بجودة الخط موجودة في الخزانة الرضوية وتاريخها (٧٠١) .

١١ ـ نسخة اخرى بخط ياقوت أيضاً في خزانة المدرسة الحسينية في الموصل ، وقد اعتني بهذه النسخة فحليت ونقش أولها بلون لازوردي ، وجلدت بجلد أسود منقوش محلى ، وجاء في صدر الكتاب :

« كتبه الفقير إلى رحمة ربه ياقوت بن عبد الله النوري » .

وكتب في الصفحة المقابلة لهذه الكتابة بخط جيد ما نصه : « قد صح النقل عن بعض الثقاة أن قدوة الكتاب ياقوت المنسوب إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين لم ينسب نفسه إليه حذراً واحتياطاً بل كتب بدل المستعصمي النوري لنسبة ارادته وارتباطه إلى ابي الحسن النوري الذي هو من خلفاء الجنيد البغدادي »[٢] .

---

(١) انظر مقدمة شرح نهج البلاغة ص : ٢١ بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم.

(٢) انظر مخطوطات الموصل ص : ١٢٨ لداود الجلبي الموصلي .

١٢ – نسخة تاريخها (٧٩٢) رآها الشيخ هادي كاشف الغطاء رحمه الله في احدى مكتبات النجف الاشرف كما ذكر ذلك في « مدارك نهج البلاغة » ص : ٤٢ .

١٣ – نسخة في خزانة مكتبة المتحف العراقي ببغداد تاريخها عاشر شهر رمضان المبارك سنة أربع وسبعمائة بخط بندار بن محمد بن بندار الوارميني الرمال تعريفاً وفق الله درايته بحق محمد وصحبه الأخيـار الأبرار وسلم تسليما كثيراً ، كذا في آخر سطر منها بالحرف الواحد .

١٤ – نسخة اخرى في مكتبة المتحف ايضاً تاريخها أواخر محرم الحرام سنة سبع وستين وسبعمائة .

١٥ – نسخة اخرى في مكتبة المتحف العراقي وفي آخرها : كتبه العبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه ، وعفو مولاه صالح بن أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن صالح الانصاري يوم الخميس السادس والعشرين من شهرمحرم الحرام في سنة خمس وسبعين وثمانمائة حامداً ومصلياً على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

١٦ – نسخة في مكتبة المتحف أيضاً تاريخها آخر شهر ذي الحجة سنة (١١٠٣) بخط أحمد بن سيد إبراهيم الطباطبائي وعليها تعليقات لبعض العلماء واكثرها مقتبس من شروح نهج البلاغة .

١٧ – نسخة من « نهج البلاغة » في خزانة المتحف العراقي ايضاً ناقصة الآخر بخط جميل واضح ، ولكنها تنم عن القدم وفي أولها ابيات من شعر ابي يوسف يعقوب بن احمد، وقد مر ذكرها .

١٨ – نسخة من « النهج » كتبت بخط جلي تاريخها سنة ١٠٩٠ هـ توجد في مخطوطات مكتبة الكونكرس في واشنطن في جلد مذهب مطلي بالميناء.

١٩ – نسخة منه أيضاً في المكتبة الظاهرية بدمشق كتبت سنة (٩١٨)هـ برقم (٧٧٥) مخطوطات .

٢٠ – نسخة اخرى بالظاهرية أيضاً مخرومة من أولها تاريخ كتابتها (١٠٧٧ هـ) .

٢١ – نسخة تاريخها (١٠١٣ هـ) توجد في مكتبة التقوى بخط السيد محمد باقر بن السيد محمد شاهي تلميذ السيد الجزائري ذكرها شيخنا الرازي في (الذريعة) وسيأتي ذكرها تحت عنوان شروح (نهج البلاغة) .

٢٢ – نسخة في مكتبة الدكتور الباحث حسين علي محفوظ حفظه الله وتاريخها (١٠٥٩) هـ .

ذلك ما احطت به خبراً من نسخ (النهج) المخطوطة ولعل ما خفي علي أكثر .

(الثالث) : إنّ عادة العلماء في تلك الأزمان يرون الكتب بالاجازة وينقلونها بالسماع ، ويضبطونها بالمقابلة ، كما رأيت من كلام صاحب (الرياض) حول نسخة السيد نجم الدين الطبري ، ولا تزال بقية من هذه العادة بين العلماء اليوم ، فيجيزون لتلاميذهم رواية ماروره عن مشايخهم ... واليك بعض اجازات العلماء برواية (نهج البلاغة) :

١ – إجازة الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن بندار للشيخ الفقيه أبي عبد الله الحسين برواية « نهج البلاغة » في جمادي الآخرة سنة (٤٩٩) هـ

٢ – إجازة السيد علي بن فضل الحسيني لعلي بن محمد بن الحسين المتطبب براوية الكتاب في رجب سنة (٥٨٩) .

٣ – إجازة الشيخ نجيب الدين احمد بن يحى الحلي للسيد عز الدين الحسن ابن علي المعروف بابن الأبرز برواية الكتاب في شعبان سنة (٦٥٥) .

٤ – إجازة العلامة الحلي لابن زهرة في سنة (٧٢٣) .

٥ – إجازة السيد محمد بن الحسن بن أبي الرضا العلوي لجمال الدين بن أبي المعالي سنة (٧٣٠) .

٦ — إجازة فخر الدين محمد بن العلامة الحلي لإبن مظاهر في سنة (٧٤١).

٧ — إجازة الشيخ علي بن محمد بن يونس البياضي صاحب (الصراط المستقيم) للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي سنة (٨٥٢).

٨ — إجازة الشيخ علي المحقق الكركي للمولى حسين الاسترابادي سنة (٩٠٧).

٩ — إجازة المحقق الكركي للشيخ ابراهيم سنة (٩٣٤).

١٠ — » » » للقاضي صفي الدين عيسى سنة (٩٣٧).

١١ — » الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي في سنة (٩٤١).

١٢ — إجازة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني الكبيرة.

١٣ — » الشيخ أحمد بن نعمة الله بن خاتون للمولى عبد الله التستري في سنة (٩٨٨).

١٤ — إجازة الشيخ محمد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون للسيد ظهير الدين الهمداني في سنة (١٠٠٨).

١٥ — إجازة العلامة المجلسي الأول لتلميذه آقا حسين الخونساري سنة (١٦٠٢).

١٦ — إجازة العلامة المجلسي الأول الكبيرة لولده العلامة المجلسي المؤرخة سنة (١٠٦٨).

١٧ — إجازة الشيخ صالح بن عبد الكريم للمولى محمد هادي بن محمد تقي الشولستاني سنة (١٠٨٠).

١٨ — إجازة المجلسي الثاني للسيد ميرزا إبراهيم النيسابوري سنة (١٠٨٨).

١٩ - إجازة العلامة المجلسي للسيد نعمة الله الجزائري سنة (١٠٩٦) وغيرها من الاجازات [١].

٢٠ - إجازة المجلسي الثاني لمحمد مؤمن الرازي سنة ١٠٩٢ كما رأيتها بخطه المبارك على نسخة من نهج البلاغة تاريخها سنة ٨١٨ في مكتبة مسجد كوهرشاد بخراسان.

فمن أين تسربت هذه الاضافات والزيادات ؟!

ولماذا لا يعثر احد ولو على نسخة واحدة من نسخ (النهج) غير الخالية من التحريف المزعوم؟!

ولماذا لم يقل بهذا المتقدمون حتى من ذهبوا إلى أن في (النهج) دخيلا؟!

ولماذا كل هذه الحملات على هذا الكتاب بالخصوص ؟!

وما هذا الشيء الذي اضطمت عليه دفتاه مما يخالف الكتاب العزيز ، أو يناهض السنة المطهرة ، أو يعارض الآثار الثابتة ، أو ينافي العقل؟

وكيف تواطأ نساخ (نهج البلاغة) وشراحه ، ورواته . مع اختلاف أزمانهم وبلدانهم ، بل وتباين مذاهبهم على الإضافة والتغيير ؟! .

وهناك شيء آخر ينبغي التنبيه عليه ، وهو الإختلاف في ترتيب نسخ (نهج البلاغة) بتقديم بعض الخطب على بعض ، والسبب في ذلك أن بعض النساخ سها فكتب الخطبة اللاحقة قبل السابقة ثم تنبه لذلك فكتب السابقة بعد اللاحقة من دون تنبيه ، وجاء من بعده فأخذها كما وجدها، وهذا لايقلل من أهمية الكتاب . ولا يقدح في نسبته ، بعد الإتفاق على أن كل واحدة من هذه النسخ اشتملت على ما اشتملت عليه الاخرى من الكلام المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، اللهم إلا ما أوجبه السهو من زيادة حرف ، أو نقصان

---

(١) الغدير ٤ / ١٩٣ .

كلمة ، او سقوط جملة ، وهــذا ما لا يخلو منه كتــاب ، ولذا ترى المعلقين والمصححين يكثرون في حواشي الــكتب التي يشرفون على تصحيحها ، من كلمة : هذه الــكلمة ساقطة من نسخة (آ) : وقولهم في الأصل (كذا) وأثبتنــا ما في (كذا) وقولهم : هذا البيت زيادة في نسخة (ح) مثلاً وهكذا ونظرة واحدة في المطبوعات الحديثة تعرف فيها مصداق ما نقول ، انظر المطبوعات التي أشرف عليها الأساتذة أمثال : الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، والاستــاذ عبد السلام محمد هارون ، والسيد أحمــد صقر وغير هؤلاء ممن لا نرى في تعدادهم عظيم فائدة .

وانما نبهنا على ذلك كي لا يتورط أحد فيما تورط فيه الشيخ محي الدين الخياط فعلق على النسخة التي عليها شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبــده المطبوعة في بيروت على نفقة (محمد كمال بكداش) قال في ص ٣٨٨ من الجزء الأول : لم يذكر ابن أبي الحديد هذه الخطبة (يعني الخطبة ١٧٣) التي أولها: « الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد » وما بعدها إلى الخطبة التي أولها : روى إن صاحباً لأمــير المؤمنين ، ولذلك لا ترى بعد الآن كلاماً لابن أبي الحديد إلى أن تمر هذه الخطب إنتهى كلامه .

مع أن هذه الخطبة وما بعدها كلها مذكورة في نسخة ابن ابي الحديد ، غير انها تختلف في ترتيب الخطب عن النسخة التي اشرف الخيــاط على تصحيحها ، وحسبك أن تقارن بين نسخة الخياط من ص ٣٨٨ الى ص ٤٣٣ من الجزء الاول وبين الشرح لابن أبي الحديد من ص ١٩٤ الى ص ٢٤٥ من المجلد الثالث لترى كيف فتق الخياط هذا الرتق وكيف وقع في هذا الوهم وأوقع فيه غيره ؟ !

مكتبة « نهج البلاغة »

« وهناك خدمة ثانية أداها كتاب (نهج البلاغة) للغة العربية فقد كان فرصة ثمينة لحركة الافهام والعقول » .

فان ذكرتم أن « نهج البلاغة » شرح نحو اربعين مرة، وأنّ فيـه فصـولا ترجمت الى بعض اللغـات الغربيـة والشرقية .

و ... انه فتح امام النقد ابواباً ومذاهب .

و ... انه أشهر مجموعة ، واكبرمجموعـة حفظت منسوبة الى عصر الخلفاء .

و ... انه شرق وغرب ولم تخل منه مكتبة عربيـة او اعجمية من المكتبات التي تستوفي اصول المراجع .

ان ذكرتم كل هذه الخصائص ، عرفتم ان الشريف خدم الادب واللغة والاخلاق ، بجمع اصول ذلك الكتاب .

(الدكتور زكي مبارك)

لقد صار الشريف الرضي رحمه الله بجمعه (نهج البلاغة) سبباً لشحذ القرائح ، وتحريك الاقلام ، وتجاول الآراء : إذ ليس في المكتبة الإسلامية على تباعد أطرافها ، واتساع نطاقها ، كتاب نال من العناية ما ناله هذا الكتاب فقد كثر الطالبون له في حياة مؤلفه ، وشرحوه في أيامه ، وتناوله العلماء

والادباء حفظاً ودرساً ، ثم تتابعت الشروح، والمؤلفات له وعليه، حتى قيل: ان شروحه بلغت المائتين .

قال العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء قد وقفنا حتى اليوم (يعني سنة ١٣٦٠) على ستة وستين شرحاً ما عدا الشروح الخاصة بخطب مخصوصة وهي لا تقل عن تسعين شرحاً، ويروي بعض العلماء بالتأليف والآداب ان شروح النهج قد بلغت المائتين [١] .

ولو قدر لأحد أن يحظى بكل ما أُلِّف حول « النهج » قديماً وحديثاً لاجتمع له مكتبة برأسها تستحق أن يطلق عليها (مكتبة نهج البلاغة) يجد فيها المطالع امنيته ، والمراجع بغيته في مختلف الأبحاث والعلوم .

وتنقسم هذه المكتبة إلى قسمين :

الأول : شروح « نهج البلاغة » .

الثاني : المؤلفات حول « النهج والمستدركات عليه » .

كما ستقرؤه على الصفحات التالية بعون الله تعالى .

---

(١) الشريف الرضي : ص ١٢ .

شروح

نهج البلاغة

لقد ذكر هذه الشروح كل من المحدث النوري أعلى الله مقامه في (خاتمة مستدرك الوسائل) ج ٣ : ٥١٣ ، والسيد الأمين قدس سره في (أعيان الشيعة) ج ٤١ : ٢٦٧ ، والشيخ الأميني دامت بركاته في (الغدير) ونثر الشيخ الرازي طائفة منها في تضاعيف (الذريعة) وقد تصرفت في نقولهم ، وادمجت بعضها ببعض ، وزدت عليها ما عثرت عليه في أماكن اخرى ، واضفت الى ذلك ما لا يخلو من فائدة .

وستعرف أن ابن أبي الحديد واهم بقوله: « ولم يشرح هذا الكتاب يعني (نهج البلاغة)- قبلي فيما أعلمه إلا واحد هو سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي، وهو من فقهاء الإمامية... الخ »[١].

خصوصاً اذا جعلت نصب عينيك أن ابن ابي الحديد اكمل شرح نهج البلاغة سنة (٦٤٤) هـ

وقد وقع في هذا الوهم أيضاً صاحب « رياض العلماء » ـ كما نقل عنه ـ قال

---

(١) الشرح م : ١ / ٤ ط الحلبي .

رحمه الله : (إن القطب الراوندي وهو أول من شرح نهج البلاغة ... الخ).

كما وقع في مثل ذلك أيضاً شيخنا النوري رحمه الله حيث ذكر (أن أول من شرحه أبو الحسن البيهقي) [1] وتبعه على هـذا شيخنـا القمي في (الكنى والالقاب) ج ٣ ص ٢٣ وستعرف أن البيهقي مسبوق بشرح (نهج البلاغة)، كما وهم البيهقي كذلك بقوله في أول شرحه : (قرأت كتاب «نهج البلاغة» على الامام الزاهد الحسن بن يعقوب بن أحمد القارى، وهو وأبوه في فلك الأدب قمران، وفي حدائق الورع ثمران في شهور سنة ست عشرة وخمسمائة، وخطه شاهد لى بذلك) إلى أن قال : (ولم يشرح قبلي من كان من الفضلاء السابقين هذا الكتاب ... الخ) [2].

وإليك بعض شروح (نهج البلاغة).

١ – اعلام نهج البلاغة

للسيد العلامة علي بن ناصر المعاصر للسيد الرضي وهو أقدم الشروح، واوثقها واتقنها اوله : (الحمد لله الذي نجانا من مهاوي الغي وظلماته، وهدانا سبيل الحق ببيّنات آياته ...) الخ [3].

واطلعت على نسخة من هـذا الشرح في مكتبة الامام الفقيد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء برقم : (٨٤٨) مخطوطات، وفي آخرها : بلغ مقابلة على نسخة ذكرأنها قوبلت على نسخة مسموعة، وذلك في شهر المحرم أول شهور سنة سبعمائة.

ثم جاء بعد ذلك هذه العبارة : تمّ الكتاب بعون الله وحسن تيسيره في

---

(١) مستدرك الوسائل ٣ / ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق ٣ / ٣٢٦.

(٣) أعيان الشيعة : ج ٤١ ص ٢٦٧.

شهر رمضان المعظم من إحدى وتسعمائة في المشهد المقدّس المنصور على ساكنه السلام .

٢ – المعارج في شرح نهج البلاغة:

للسيد على بن ناصر أيضاً كما ذكرذلك السيدفي «الاعيان» ج٤١ ص ٢٦٧ .

٣ – شرح نهج البلاغة:

لمحمد بن احمد الوبري من اعلام القرن الخامس .

٤ – التعليق على نهج البلاغة:

للسيد ضياء الدين ابي الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني الراوندي من تلامذة الشيخ ابي علي بن الشيخ الطوسي، ومن أسانيد ابن شهر اشوب .

وعن السمعاني انه قال في كتاب « الانساب » : « قصدت زيارة السيد ابي الرضا ضياء الدين فلما انتهيت الى داره وقفت على الباب هنيئة انتظر خروجه فرأيت مكتوباً على طرار الباب [1] هذه الآية المشعرة بطهارته وتقواه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً . الأحزاب : ٣٣) فلما اجتمعت به رأيت منه فوق ماكنت أسمع عنه، وسمعت منه جملة من الأحاديث، وكتبت مقاطيع من شعره، ومن أشعاره التي كتبها لي بخطه الشريف هذه الأبيات :

هل لك يامغرور من زاجر أو حاجز من جهلك الغامر ؟
أمس تقضى وغداً لم يجىء واليوم يمضي لمحة الباصر
فذلك العمر كذا ينقضي ما أشبه الماضي بالغابر [2]

---

(١) طرار الباب بكسر الطاء المهملة جبهته وحواشيه .

(٢) الكنى والالقاب ٢ / ٣٩٥ ط صيدا ، والغابر من الاضداد يطلق على الماضي والحاضر.

والسيد ضياء الدين غير « التعليق » مؤلفات منها : « ضوء الشهاب » و « كتاب الاربعين من الأحاديث » و « أدعيـــة السر » و « شرح الرسالة الذهبية » وتاريخ التعليق المذكور سنة (٥١١) هـ .

٥ – معارج نهج البلاغة

لأبي الحسن علي بن أبي القاسم زيد (من ذرية خزيمـــة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ) [١] البيهقي المتكلم الجليل الشهير بفريد خراسان، من مشايخ ابن شهراشوب، وقد أخذ من أستاذه هذا كتاب «حلية الاشراف » [٢] تأليف والده كما ذكر ذلك في مقدمة كتاب « مناقب آل ابي طالب » .

---

(١) خزيمة (مصغراً) بن ثابت الانصاري ، شهد بدراً ، وما بعدها من المشاهد ، ويقال له ذو الشهادتين لان رسول الله (ص) جعـل شهادته كشهادة رجلين لقصة مشهورة وشهد مع علي صفين كما ذكر ذلك ابو عمر في « الاستيعاب » وقتل بعد عمار . وتأوه عليه أمير المؤمنين في خطبته المذكورة في « نهج البلاغة » برواية نوف البكالي .

قال ابن ابي الحديد : « ومن غريب ما وقعت عليه من العصبية ان أبا حيان التوحيدي قال في كتاب « البصائر » ان خزيمـة بن ثابت المقتول مع علي عليه السلام بصفين ليس خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين بل آخر من الانصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت ، وهذا خطأ لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأن لم يكن في الصحابة من الانصار خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين وانما الهوى لادواء له على أن الطبري صاحب التأريخ قد سبق ابا حيان بهذا القول ومن كتابه نقل ابو حيان والكتب الموضوعة لاسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكراه ، ثم اى حاجة لناصري امير المؤمنين بخزيمة وابي الهيثم وعمار وغيرهم لو انصف الناس هذا الرجل ، ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا انه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم اجمعون لكان على الحق وكانوا على الباطل » (الشرح م : ٢ : ٥٣٩) .

(٢) موضوع هذا الكتاب : ان اولاد الحسين عليه السلام اولاد النبي صلي الله عليه وآله انظر « معالم العلماء » ص ٥١ .

وذكر في هذا الشرح طرقه الى السيد الرضي رحمه الله فقال : (قرأت في كتاب «نهج البلاغة» على الامام الزاهد الحسن بن يعقوب بن احمد القارى – الى ان قال – في شهور سنة ست عشرة وخمسمائة وخطه شــاهد لي بذلك، والكتاب سماع له عن الشيخ جعفر الدوريستي الفقيه [1] ، والكتاب سماع لي عن والدي الامام أبي القـاسم زيد بن محمد البيهقي [2] ، وله اجازة عن الشيخ جعفر الدوريستي ، وخط الشيخ جعفر شاهد عدل بذلك ، وبعض الكتاب سمــاع لي عن رجال لي رحمة الله عليهم ، والرواية الصحيحة في هذا الكتاب رواية ابي الأغر محمد بن همام البغدادي تلميذ الرضي ، وكان عالماً بأخبار أمير المؤمنين عليه السلام [3] .

وبهذا تعرف عناية العلماء في رواية (نهج البلاغة) وضبطه .

وقال في أول شرحه على (النهج) : التمس مني الإمام السعيد جمال المحققين أبو القاسم علي بن الحسن الخونقى النيسابوري [4] أن أشرح (نهج البلاغة) – ذلك الإمام الزاهد الورع من لجة بحر الحيــاة .

ثم أهدى شرحه هذا إلى ملك النقباء على بن محمد بن هبة الله النيسابوري.

---

(١) ابو عبد الله جعفر بن محمد بن احمد بن العباس الدوريستي (نسبة الى دوريست قرية على فرسخين من الري) عالم جليل من أهل بيت عرفوا بالفقاهة والفضل آباء وأبناء ، وكان مشهوراً في جميع الفنون ، مصنفاً كثير الرواية، يروى عن جماعة من العلماء منهم الشيخ المفيد والسيدين المرتضى والرضي ، وشيخ الطائفة الطوسي .

(٢) أبو القاسم زيد بن محمد بن الحسن البيهقي فقيه صالح توفي آخر جمادى الثانية سنة (٥١٧) وهو صاحب كتاب (حلية الاشراف) الذي مر ذكره في الهامش قبل قليل .

(٣) « خاتمة المستدرك » ص ٣٨١ عن الشرح المذكور .

(٤) أنظر ترجمته في (ثقات العيون في سادس القرون) لآغابزرك ص ١٨٤ .

والسيد علي بن محمد هذا وصفه البيهقي في أول شرحه على (نهج البلاغة) بقوله : وخدمت بهذا الكتاب خزانة السيد الأجل العالم عماد الدولة والدين، جلال الاسلام والمسلمين ، ملك النقباء في العالمين ... الخ .

وألف البيهقي أيضاً بالتماسه (لباب الأنساب) فرغ منه في شهر رمضان سنة ٥٥٨ [١] .

وللبيهقي غير الشرح المذكور من الكتب (أسئلة القرآن مع الأجوبة) و (إعجاز القرآن) و (قرائن القرآن) ، و (مشارب التجارب) و (تلخيص مسائل من الذريعة) للسيد المرتضى ، و (الإفادة للشهاة) و (جواب يوسف اليهودي) وغيرها .

والبيهقي هذا من ذرية خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ المقتول مع علي عليه السلام بصفين وسيأتي في الخطبة (١٨٠) تأوه أمير المؤمنين عليه .

٦ – المعراج في شرح نهج البلاغة :

مجهول المؤلف ، ذكره الشيخ النوري نور الله ضريحه عند كلامه على شرح القطب الكيدري كما سيجيء .

٧ – منهاج البراعة :

للامــــام أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن المعروف بقطب الدين الراوندي الفقيه الحجة في كل فنون العلم ، المصنف في كلّها من أعاظم علماء الامامية ومحدثيهم ، وهو أحــد مشايخ ابن شهر اشوب ، ويروي عن جماعة

---

(١) انظر معجم الأدباء : ج ٤ ص ٢٢٥ .

من المشايخ كأمين الاسلام الطبرسي، والمرتضى الرازي ، والعماد الطبري وابن الشجري والآمدي وغيرهم .

ومن مؤلفاته (خلاصة التفاسير) في عشر مجلدات وهـــذا التفسير أجمع الجوامع لعلوم القرآن و (فقه القرآن) و (الخرائج والجرائح) و (قصص القرآن) و (شرح خطبة نهج البلاغة) أي مقدمة الرضي للنهج ، كما سيأتي إن شاء الله .

ويروي الشيخ قطب الدين الراوندي (نهج البلاغة) عن الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة ، عن الفاضلة الجليلة السيدة النقية بنت السيد المرتضى علم الهدى عن عمّها الشريف الرضي رحمهم الله تعالى .

وله طريق آخر في روايته للنهج عن السيدين المرتضى والمجتبى ابني الداعي الحسين الحلبي عن أبي جعفر الدوريستي عن السيد الرضي .

وقد أكثر ابن أبي الحديد في شرحه نقد شرح القطب الراوندي، والايراد عليه ، وأخفى كلّ محاسن هذا الكتاب وحسنات مؤلفه ، وقد رأى القذاة في عين الراوندي ولم ير الجذع في عينه .

هذا وقد حدثني العلامة المحقق الشيخ محمد السماوي سنة ١٣٥٩ أن في مكتبته نسخة خطية من شرح القطب الراوندي ، وقال إنـــه على استعداد لاعطائها من يريد طبعها بــلا عوض ولا ندري أين مثواها الآن ، لأن مكتبة الشيخ محمد السماوي رحمه الله تبددت بعد موتــه ، وكان من حرصه عليها لو تمكن أن لا يراها النسيم لفعل .

وحـــدثني الاستاذ المتتبع السيد عبد العزيز الطباطبائي بحضرة الشيخ صاحب (الذريعة) قـــدس سرّه أن نسخة خطية من (شرح نهج البلاغة) هذا بمجلس الشورى في طهران برقم (٧٥٦٥) وقال : إنــه عازم على تصوير

نسخة منه لمكتبة الامام أمير المؤمنين في النجف الاشرف، كما سبق أن صوّر لها عدداً من المخطوطات .

توفي القطب الراوندي رحمه الله في شوال سنة (٥٧٣) وقبره بقم بجوار الحضرة الفاطمية مزار مشهور .

٨ — حدائق الحقائق :

لأبي الحسين محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري الكيدري نسبة الى كيدر، قرية من قرى بيهق ، او الكندري ـ بالنون بعد الكاف ـ نسبة الى قرية من قرى نيسابور ، من علماء الامامية صاحب كتاب (الاصباح) في الفقه ، و (أنوار العقول) في الأشعار المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام .

وسيأتي لنا بحث شامل في هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام عند الكلام في مصادر الكلمة رقم (١٩٠) في باب الكلمات القصار وهي قوله عليه السلام : « واعجبًا أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة!» كما سيأتي ذكر لـ (أنوار العقول) هناك .

والكيدري من معاصري القطب الراوندي ، وقد فرغ من شرحه على « النهج » سنة (٥٧٦) وقال في أوّله بعد كلام طويل : فعنّ لي أن أشرع في شرح هذا الكتاب مستمداً ـ بعد توفيق الله ـ من كتابي (المعراج) و(المنهاج) غائصاً على دررهما كافلاً بإيراد فوائد على ما فيهما ، وزوائد لا كزيادة الاديم، بل كما زيد في العقد من الدر اليتيم ، ومتمماً ما تضمناه .. الخ و (المنهاج) و (المعراج) من شروح (نهج البلاغة) قال شيخنا النوري نور الله ضريحه: أما (المنهاج) فهو شرح الراوندي وأما (المعراج) فلا أعرف مؤلفه . اهـ.

وقد ذكرنا (المعراج) فيما تقدم .

٩ — مناهج نهج البلاغة :

للامام قطب الدين الكيدري أيضاً ذكره السيد ابو محمد الحسن الصدر في

(تأسيس الشيعة ص٤١٧) وقد لخصه ابوعلي الحسن بن محمد السبزواري في كتاب سماه (بهجة المناهج) كما سيأتي إن شاء الله .

١٠ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ أفضل الدين الحسن بن علي بن أحمد الماه آبادي أحد مشايخ صاحب (الفهرست) الشيخ منتجب الدين المتوفى بعد سنة (٥٨٥).

قال في (أمـل الآمل) ٢ : ٦٩ : الشيخ الامام أفضل الدين الحسن بن علي بن أحمد الماه آبادي علم في الأدب، فقيه صالح ، ثقة متبحر، له تصانيف منها: (شرح النهج) ، (شرح الشهاب)،(شرح اللمع)،كتاب (رد التنجيم) كتاب في الاعراب ، (ديوان شعره)،(ديوان نثره) .

١١ – شرح النهج :

للقاضي عبد الجبار المردد بين جمع مقارنين بعصر شيخ الطائفة الطوسي .

وهم الفقهاء الأفذاذ :

١ ـ القاضي ركن الدين عبد الجبار بن علي الطوسي .

٢ ـ القاضي عبد الجبار بن فضل .

٣ ـ عبد الجبار بن منصور .

٤ – عبد الجبار بن أحمد المتوفى بالري عام ٤١٥ صاحب كتاب (المغني) الذي نقضه المرتضى بـ(الشافي).

٥ ـ عبد الجبار بن عبدالله المقري الرازي .

٦ ـ عبد الجبار بن محمد الطوسي .

٧ – أبو علي عبد الجبار بن الحسين. وسيأتي ذكر لهذا الشرح برقم ٢٦ .

١٢ – شرح نهج البلاغة :

للفخر الرازي أبي عبدالله محمد بن عمر المفسر المشهور المتوفى عام (٦٠٦)

لم يتم كما صرح به القفطي في (تاريخ الحكماء) والصفدي في (الوافي بالوفيات) وكما أن الرازي لم يتم شرحه على (نهج البلاغة) كذلك لم يتم تفسيره للقرآن الكريم فأتم التفسير ابو العباس أحمد بن محمد بن مكي القرشي القمولي صاحب كتاب (المحيط في شرح الوسيط) وغيرها المتوفى في رجب سنة ٧٢٧ .

١٣ — شرح نهج البلاغة :

لأبي الفضل يحيى بن أبي طي حميد بن ظافر البخاري من تلامذة ابن شهراشوب .

قال ابن حجر في (لسان الميزان) ج ٦ ص ٢٦٣ : ولد في حلب سنة (٥٧٥) وقرأ القرآن ، ثم جرّد رواية أبي عمر ، وأكثر رواية نافع ، وتعاطى صنعة التجارة مع والده ، وكان مقدماً فيها ، ثم نظم الشعر ، ومدح الظاهر بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، واستقرّ في شعرائه وأخذ الفقه عن أبي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني ، وكان بارعاً في الفقه على مذهب الامامية ، وله مشاركة في الاصول ، والقراءات ، وأخذ عن غيره ، اه .

له من المؤلفات (معادن الذهب في تاريخ حلب) و (فضائل الائمة) و (خلاصة الخلاص في آداب الخواص) و (الحاوي في رجال الامامية) و (سلك النظام في أخبار الشام) وغيرها ، توفي سنة ٦٣٠ .

١٤ — شرح نهج البلاغة :

ألفه علامة المعتزلة الفاضل عز الدين عبد الحميد بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي المدائني لخزانة الوزير أبي طالب محمد بن أحمد بن علي العلقمي المتوفى عام (٦٥٦) وزير المستعصم آخر خلفاء بني العباس ، صنفه في مدة أربع سنين وثمانية أشهر — كما في آخر الكتاب — ولما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق الدين كما عن كتاب « معجز الآداب في معجم الالقاب »

لأحمد بن محمد الشيباني ـ قال : فبعث له بمائـــة دينار وخلعة سنية وفرس فكتب الى الوزير :

أيا رب العبـــاد رفعت ضبعي وطلت بمنكبي وبللت ريقـــي
وزيغ الأشعري كشفت عني ولم أسلك ثنيات الطريق
أحب الاعـتزال وناصريه نعم وفريقهم أبـــداً فريقي
و « شرح النهج » لم أدركه إلا بعونك بعـــد مجهدة وضيق
تمثل إذ بـدأت بـه لعيني هناك كذروة الطود السحيق [1]
فـتمّ بحسن عونك وهو أنـأى من العيّوق او بيض الأنوق [2]
بـــآل العلقمي ورت زنادي وقامت بين أهل الفضل سوقي[3]
فـــكم ثوب أنيق نلت منهم ونلت بهم ، وكم طرف عتيق [4]
أدام الله دولتهم وأنحـــى على أعـــدائهم بالخنفقيق [5]

وذكر ابن سنجر في « تجارب السلف » ما هذا معرب بعضه : قال (لما حمل الشرح الى مجلس الوزير أخرج الفاً (يعني من الدراهم) وعشرة تخوت [6]

(١) الطود الجبل العظيم ، والسحيق – في الاصل – البعيد والمراد بها هنا الشاهق .

(٢) العيوق: نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها. والأنوق كصبور: العقاب او الرخمة ، او طائر اسود له كالعرف أو اسود أصلع الرأس اصفر المنقار وهو اعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به لأن اوكارها في القلل الصعبة .

(٣) وري الزناد وريا : اتقد وتقول لمن أعانك وأنجدك : بك ورت زنادي ، وقامت السوق راجت ومراده : انه اصبح بفضلهم ذا سوق رائجة بين أهل الفضل ومنزلة عندهم .

(٤) الطرف بكسر الطاء المهملة بعدها راء ساكنة ثم فاء : الفرس ، وعتيق : سابق .

(٥) الخنفقيق: حكاية جري الخيل وهو مشي باضطراب ولعل المراد دعاء عليهم، بالاختلاج: وفسره بعضهم بالداهية .

(٦) التخت : وعاء تصان به الثياب .

ثياب للرجال والنساء ، ووهب له جارية تركية وأعطاه غلامين حبشيين ، وفرشاً وأواني ثمينة ، فقال ابن أبي الحديد : مـا كنت أحسب أني أبلغ كل هذا عندك ، او أستحق ذلك فقال ابن العلقمي : خل هـذا عنك ، وأين يقع هذا مما يجب لك ؟ وسأرعى حقك ما دمت حياً .

فلما أراد ابن أبي الحديد النهوض أخرج معه حاشيته وأركبوه وساروا حوله حتى أوصلوه الى داره .

قال : ولما وقعت حادثة المغول أخذوا ابن أبي الحديد وأخاه موفق الدين وأرادوا قتلهما ، فسعى ابن العلقمي في خلاصهما ، وتشفع إليهم بنصير الدين الطوسي فخلوا عنهما ، فأقبل ابن أبي الحديد يشكر ابن العلقمي على حسن فعله فقال ابن العلقمي : والله لو افتديتكما بنفسي لكان ذلك قليلاً ، لأنك خلدت اسمي في كتابك) اه ملخصاً [١] .

وشرح ابن ابي الحديد من اشهر الشروح ، واكثرها انتشاراً ، واغزرها مادة ، واكثرها فائدة ، وقد حدثني استاذي المرحوم السيد كاظم الخطيب ، قال : لقد قرأت شرح ابن أبي الحديد عدة مرات من فاتحته الى خاتمته ومع ذلك كلما اعدت مراجعته أجد فيه ما كأني لم أقرأه ، ولم أعرج عليه .

وللدكتور صفاء خلوصي كلمة ضافية حول شرح ابن أبي الحديد نشرتها مجلة (المعلم الجديد) بعنوان (الكنوز الدفينة في شرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة) نقتطف منها ما يلي :

« كتاب ولا كالكتب ، بـل بوسعي أن أقول : إنه من الكتب القليلة

---

(١) هذه الرواية تؤيد مـا نقل عن ابن الفوطي في « مجمع الالقاب » من ان ابن ابي الحديد ادرك سقوط بغداد بيد التتار وانه كان ممن خلص من القتل في دار الوزير ابن العلقمي مع اخيه موفق الدين خلافاً لمن ذكر انه توفي قبل دخول التتار .

النادرة التي تجمع بين المتعة والفائدة الى أقصى حدودهما ، مع نصاعة في الديباجة ، وحلاوة في اللغة ، وسلامة في التعبير ، وسلاسة في البيان، فأنت حين تقرأ الكتاب تشعر كأنك تطالع دائرة معارف تزودك بمعلومات لغوية، وأدبية ، وتاريخية ، وفلسفية ، على صعيد واحد ضمن إطار (نهج البلاغة) للامام علي .

وليس هذا فحسب بل إن كثيراً من الكتب التي أصبحت فيعداد التراث العربي المفقود لا تزال عناوينها ومقتبسات منها محفوظة فيه .

وبوسع القارىء المطالع له أن يقتبس شيئاً جديداً منكل فصل من فصوله، إن لم أقل من كل صفحة من صفحاته، فهو الكتاب القديم الجديد دائماً وابداً.

وتجد التاريخ الإسلامي من عهد الرسالة الى سنة ٦٢٣ هـ أي قبل سقوط بغداد علىيد التتر بثلاثة عشرعاماً موزعاً فيثنايا الكتاب بأجزائه الاربعة[١].

وأمتع فصل في الكتاب هو الفصل الخاص بالزحف التتري بقيادة جنكيزخان على البلاد الاسلامية ، والامور التي يرويها هي مما عاصره فشهده بنفسه ، او سمع به في حياته .

ولا يقل فصل حرب صاحب الزنج عن فصل هجمات التتار على البلاد الاسلامية متعة وفائدة .

ولقد ذكرنا في بداية بحثنا هذا : ان شرح ابن أبي الحديد يضم أجزاء من كتب لم يبق لها أثر، وهو من هذه الناحية أشبه بمتحف المخطوطات ممزقة قديمة ، فمن تلك مثلاً : (كتاب صفين) لنصربن مزاحم المنقري، وكتاب (التاج) لابن الراوندي ، وكتاب (العباسية) للجاحظ، و (الموفقيات)

---

(١) يقصد مجلداته الاربعة وإلا فاجزاء الكتاب عشرون حسب تجزئة المؤلف ، وقد طبع اخيراً كذلك .

للزبير بن بكار ، وكتاب (السقيفة) لأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وكتاب (وقعة الجمل) لأبي مخنف ، وكتاب (الغارات) لابن هلال الثقفي، وكتاب (الجمع بين الغريبين) للهروي ، و (الجراح) لقدامة بن جعفر ، ويلوح ان ما تبقى من كتاب (الغارات) [1] في مضامير شرح ابن أبي الحديد اكثر من غيره من المصادر البائدة ، ولكثرة المصادر المتوفرة ايام ابن أبي الحديد قبل كارثة التتار نجد في كتابه معلومات لا تتهيأ لنا في كتب اخرى .

ويروى استناداً الى المصادر الصحيحة التي كانت بحوزته أنه ﷺ مكث قبل الرسالة سنين عشرة يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه أحـد ، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام ، فحكم تلك السنين العشرة حكم ايام رسالته ، ومعنى ذلك تقليص ايام الجاهلية عشر سنوات اخرى ، وإدخال يوم ولادة الامام علي في العهد الاسلامي لا الجاهلي الوثني .

والكتاب من أفضل المراجع لدراسة موضوع «الخوارج» ولا يكاد يوازيه في الأفضلية غير « الكامل » للمبرد الذي هو من بعض مصادره .

وينهج ابن ابي الحديد نهجاً روائياً تصويرياً في كتاباته مما يجعلها ممتعة غاية الامتاع .

وتنتشر في ثنايا « الشرح » نقاط لغوية ممتعة بينها ما يهم الباحثين في علم اللغات .

ويبدو ان ابن أبي الحديد تعمد في أن يجعل كتابه مرجعاً للملاحم الدامية

---

(١) قـد وهم الدكتور صفاء بقوله لم يبق لها أثر فكتاب (صفين) لنصر بن مزاحم طبع مراراً في مصر وبيروت وايران ، ولكن المطبوع ناقص، وكتاب (الموفقيات) طبع أيضاً ببغداد ولكن بعد نشر هـذا المقال ، و (الجمع بين الغريبين) رأيته في المكتبة الظاهرية بدمشق و(الغارات) توجد منه مخطوطة بمكتبة الامام البروجردي بقم. وقد طبع الغارات أخيراً بطهران.

في تاريخ الاسلام فمن معركة الجمل الى صفين وغارات الخوارج الى ثورة الزنج، وغزوات التتار المفجعة المؤلمة ، ولقــد تفصل بصورة خاصة في ثورة الزنج (ج ٢ ص ٤٨٨ - ٥٤٠) ولا اعتقد ان هناك مرجعاً أوفى وأدق من كتاب ابن أبي الحديد في هذا الموضوع .

وهكذا نجد بوجه عام ان ابن أبي الحديد قد جعل (شرح نهج البلاغة) اطاراً جميلاً بصورة رائعة تزدحم فيها الوقـائع التاريخية ، والبحوث الأدبية والمناقشات الفلسفية ، فهو بحق منجم لكنوز دفينة لا تقوم بثمن»[١] .

توجد في مكتبات النجف الأشرف الخاصة والعامة عـدة نسخ من شرح ابن أبي الحديد كتبت بأزمان مختلفة أهمها نسخة مكتبة المشهد العلوي ولعلها من أقـدم النسخ الخطية ، كما توجد نسخة كاملة بعشرين جزء بخطوط مختلفة بمكتبة المتحف البريطاني برقم (١٣٦) ونسخة اخرى بمكتبة الفاتيكان بروما برقم (٩٨٦) ، وحدثني العلامة المرحوم الشيخ محمد السماوي في سنة (١٣٥٩)هـ قال: عرضت عليّ النسخة التي هي بخط ابن أبي الحديد ناقصة بعض الأجزاء منذ سنين فعجزت عن شرائها يومذاك واشتراها الاستاذ خليل عزمي بمائـة وخمسين روبية اهـ .

ورأيت مجـلداً يحتوي على النصف الاول من الشرح المذكور عند العلامة الاستاذ الشيخ اسد حيدر ، مخطوط بخط واضح غاية في الجودة، ومن لطيف الصدف أن الشيخ اسد دخـل الصحن الحسيني الشريف فوجد هــذا المجلد معروضاً للبيع فاشتراه وتصفحه وإذا بـه يجد عليه ملكية والده بخطه ، كما وجد بعض الحواشي والتصحيحات بخط والده أيضاً وقد أكل التصحيف منها جانباً ، وسأل بعد ذلك الشيخ محمد السماوي عن النصف الثاني من هذه النسخة فأخبره بوجوده في مكتبة بعض الاعلام في النجف .

---

(١) المعلم الجديد ج ٣ و٤ من المجلد الرابع والعشرين تموز ١٩٦١ .

هـذا ويعد ابن أبي الحديد ، من خصوم الشيعة ، وأشدّ مناوئيهم رغم ما يظهر من حبّه لعلي عليه السلام ، وإظهار تفضيله .

ورأيت بخط الامام المرحوم كاشف الغطاء على ظهر المجلد الاول من الشرح من الطبعة ذات المجلدين المطبوعة على الحجر في ايران الموجودة في مكتبته العامة الشهيرة في النجف الأشرف ما معناه : (نعم المؤلف لولا عناد المؤلف) فتأمل هذه العبارة من هـذا المطلع المتتبع لتعرف أن هؤلاء الذين نسبوا ابن أبي الحديد الى التشيع على جانب من الخطأ عظيم .

وسمعت المرحوم الثقة السيد كاظم الحسيني الخطيب [1] ينقل عن الامـام الشيخ محمد طه نجف قدس سره أنـه قال : « لو أوقف خصوم أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الله ما استطاعوا ان يعتذروا عن أنفسهم كما اعتذر عنهم ابن أبي الحديد » .

لذلك كثر الرد عليه من اعلام الامامية ، واليك أسماء بعض الـكتب المفردة في الردّ عليه مضافاً إلى من تعرضوا لرده حسب ما تقتضيه المقامات من أبواب كتبهم :

---

(١) هو استاذي وابن عم والدي، ولد في سنة ١٣٠٦ في ضاحية من ضواحي الناصرية حيث كان ابوه مزارعاً هناك ، ونشأ نشأة تلوح منها علائم النبوغ ، وامارات العبقرية ، وتفرس فيه ذلك صهره العلامة الشيخ محمد حيدر رحمه الله ذلـك فحثه على طلب العلم ، فهاجر الى النجف الاشرف سنة ١٣٢٠ وجد في الطلب ، وثابر على التحصيل ، وامتهن الخطابة ، وبرع فيها حتى صار موضع اعجاب المستمعين على اختلاف اذواقهم لغزارة علمـه ، ووفرة إطلاعه ، ومعرفته بحرمة المنبر ، وتحسسه بأدواء المجتمع ، ومشاكل الناس ، ومهارتـه في وصف الأدوية الناجعة ووضع الحلول النافعة بالاضافة الى عذوبة منطقه ، وجهورية صوته ورخامته ، ووقاره المتناهي ، واتزانه المنقطع النظير حتى قال في حقه الامام الفقيد كاشف الغطاء ، وكانت بينهما مودة اكيدة « قلما رأيت مثله في صلابة إيمانه ، وتأثير موعظته » توفى رحمه الله في ١٥ شعبان سنة ١٣٧٠ وكان يومه مشهوداً ودفن في النجف الأشرف .

أ — الروح

في نقض ما أبرمه ابن أبي الحديد للسيد جمال الدين أبي الفضائل احمد بن موسى بن جعفر (شقيق السيد علي بن طاووس) وكان من فقهاء أهل البيت ، له أكثر من ثمانين مصنفاً منها (نقض الرسالة العثمانية) و(الملاذ في الفقــه) و (العدّة في أصول الفقه) و (شواهد القرآن) و (عين العبرة في غبن العترة) توفى في الحلة سنة ٦٨٣ — ٦٧٧ ومرقده الشريف في الحـلة ظاهر معروف .

ب — سلاسل الحديد وتقييد اهل التقليد :

لعلامة البحرين السيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي المتوفى (١١٠٧) انتخبه من شرح ابن ابي الحـديد ورد عليـه ، ذكر في (لؤلؤة البحرين) ص ٥٤ ، وفي (انوار البدرين) ص ١٣٨ ، وفي (الذريعة) ج ٢١ ص ٢١٠ وقد سمي هذا الـكتاب باسم رسالة للسيد ماجـد البحراني المتوفى ٢١ شهر رمضان (١٠٢٨) اسمها (سلاسل الحديد في تقييد اهل التقليد) والظاهر من اسم هذه الاخيرة ان موضوعها في الانتصار للاخباريين .

ج — سلاسل الحديد في الرد على ابن ابي الحديد

للشيخ يوسف الكوفي الأوالي ذكره ابو الثناء الآلوسي في « الفيض الوارد في مرثية خالد » ص ٣٠ ، واظن انه الآتي ولـكن الشيخ يوسف البحراني لا يعرف بالكوفي .

د — سلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد :

للشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) المتوفى سنة (١١٨٦)ه وصفه مؤلفه في آخر (لؤلؤة البحرين) بقوله : (ذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتاباً مستقلاً ، ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء وما يناسب ذلك ويدخل تحته ، وبينت ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لـكل طالب وقاصد ،

خرج منه مجلد ومن المجلد الثاني ما يقرب من الثلث وعاق الإشتغال بكتاب « الحدائق » عن اتمامه) ا هـ .

وقال الشيخ آغا بزرك : « رأيته في كتب السيد خليفة واشتراه الميرزا محمد الطهراني لمكتبته (مكتبة الطهراني بسامراء) وقد اوقفت بعد وفاته »[1] .

هـ — الرد على ابن ابي الحديد :

للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني المتوفى عام (١٣٤٠) هـ صاحب كتاب (انوار البدرين) ذكره في (الانوار) ص٣٧٢ قال (لناحواش كثيرة على شرح ابن ابي الحديد للنهج المرتضوي ورد عليه) .

وقد لخص شرح ابن ابي الحديد فخر الدين عبد الله المؤيد بالله وأسماه « العقد النضيد المستخرج من شرح ابن ابي الحديد » توجد منه نسخة مؤرخة بسنة (١٠٨٠) هـ ، كما اختصره السلطان محمود الطبسي — كما سيأتي — إن شاء الله ، وانتخب منه الشيخ محمد بن قنبر علي الكاظمي كتاباً سماه «التقاط الدرر المنتخب » فرغ منه سنة (١٢٨٣) هـ قال شيخنا الإمام الطهراني : والنسخة بخطه في خزانة كتب سيدنا الحسن صدر الدين الكاظمي ا هـ .

ونقله الى الفارسية المولى شمس بن محمد بن مراد سنة (١٠١٣) هـ كما ترجمه بالفارسية الحاج نصر الله بن فتح الله الدزفولي ، وزاد عليه كما سيأتي .

و — النقد السديد لشرح الخطبة الشقشقية لابن ابي الحديد :

للفاضل الورع الشيخ محسن كريم نزيل (الخضر) اليوم اقتصر فيه على رد بعض أقوال ابن ابي الحديد في شرح الشقشقية ، وقد طبع الجزء الأول منه

---

(١) الذريعة ١٢ / ٢١٠ .

في النجف في سنة (١٣٨٣) وهو عازم على اخراج الجزء الثاني — أرجو له من الله التوفيق .

ورأيت عند العلامة المرحوم الشيخ طالب حيدر كراريس قرأ علينا منها فصولاً جيدة يرد فيها على ابن ابي الحديد في اعتذاره عن خصوم أمير المؤمنين عليه السلام .

وقبل أعوام ظهر كتاب (تشريح شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد) لمحمود الملاح وهو كتاب مليء بالطعن على الامام علي وشيعته ، وجحود فضائله ومناقبه ، ونكران البديهيات من الامور ، والمسلمات من القضايا ، بل لم يسلم من تجريحه حتى علماء المسلمين من غير الشيعة امثال : الإمام أحمد ابن حنبل ، والنسائي ، وابن قتيبة ، والزمخشري ، وسبط ابن الجوزي ، وابن الصباغ المالكي ، والإمام الشيخ محمد عبده ، والاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد وأحمد زكي شيخ العروبة وغيرهم ، بل وحتى أحمد أمين والعقاد ومحمد سيد كيلاني مع مشاركتهم له في الرأي بالتشكيك بنسبة كل ما في (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام .

ولم يخف على أهل النظر من العراقيين — وقتئذ — السبب والغاية من تأليف هذا الكتاب ، ومن خدمهم فيه ؟ ولمصلحة من اخرجه ؟

وقد رد عليه الاستاذ رياض حمزة شبر علي بكراسة أسماها «الملاح التائه» بأسلوب تهكمي مدعوم بالحقائق الناصعة ، والحجج الرصينة ، وقد طبع هذا الرد مرتين .

كما ألف الأديب الشاعر عبد الحسين الشيخ موسى السماوي في رده (مبضع الجراح في تشريح الملاح) وقد طبع ونشر يومذاك .

وكما لعلماء الشيعة ردٌّ على ابن ابي الحديد كذلك لعلماء السنة ردٌّ عليه لما يذهب إليه من تفضيل علي عليه السلام ومن جملة الردود (سلاسل الحديد في رد :

ابن ابي الحديد) لمصطفى بن محمد أمين الواعظ من علماء بغداد توفي سنة ١٣٣١ هـ

توفي ابن ابي الحـــديد سنة (٦٥٦) على الأصح بعد وفاة ابن العلقمي بأيام قلائل ، فعن (الحوادث الجامعة) في وفيات سنة (٦٥٦) .

(توفي فيهـا الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي [1] في جمادي الآخرة ببغداد ... والقاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم بن ابي الحديد المدائني في جمادى الآخرة فرثاه اخوه عز الدين عبد الحميد بقوله :

أأبا المعالي هل سمعت تأوهي ؟ فلقد عهدتك في الحيـاة سميعـا
عيني بكتك ولو تطيق جوانحي وجوارحي أجرت عليك نجيعا
أنفا غضبت على الزمان فلم تطع حبـلا لاسبـــاب الوفاء قطوعا
ووقيت للمولى الوزير فلم تعش من بعـــده شهراً ولا اسبوعـا
وبقيت بعد كما فلو كان الرد ى بيدي لفارقنا الحياة جميعا

فعاش عز الدين بعد أخيه أربعة عشر يوماً) .

خلف ابن ابي الحـديد خمسة عشر مؤلفاً أشهرها ذكراً وأعلاها قدراً وأعمها نفعاً هو (شرح نهج البلاغة) .

---

(١) هو ابو طـالب محمد بن احمد الأسـدي ، وقيل لجـده العلقمي لانه حفـر النهر المسمى بالعلقمي اشتغل في صباه بالادب ففاق فيه أقرانه ، وكتب خطاً مليحاً ، وترسل ترسلاً فصيحاً وضبط ضبطاً صحيحاً ، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة حتى قيل : « اشتملت خزانة كتبه على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب ، وصنف الناس له الكتب، فمن صنف له الصغاني (بالغين المعجمة بعد الصاد المهملة المفتوحة) اللغوي صنف له (العباب) وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب، وصنف له عز الدين عبد الحميد بن ابي الحديد كتاب « شرح نهج البلاغة » فاثابها وأحسن جائزتها .

وكان امامي المذهب، صحيح الاعتقاد ، رفيع الهمة ، محباً للعلماء ، عفيفاً عن اموال الديوان واموال الرعية ، عاش الى احتلال هلاكو لبغداد ومكث شهوراً ثم مرض ومات رحمه الله في جمادى الاولى سنة ٦٥٦ .

١٥ – شرح نهج البلاغة :

للسيد السند رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر الطاووسي الحسني صاحب الكرامات المعروفة ، والفضـائل المشهورة ، كان أعبد أهل زمانه وازهدهم مع ما جمع الله له من خير الدنيا والآخرة ، وكان من المعظمين لشعائر الله بحيث ما ذكر الاسم المبارك (لفظ الجلالة) في واحد من مؤلفاته العديدة إلا وعقبه بقوله : جل جلاله .

وكان دأبه في غلاة ضياعه الكثيرة ، وأراضيه الواسعة ، أن يحتفظ بعشر لنفسه ويخرج تسعة اعشار في سبيل الله تعالى .

وليس غرضي ان اترجم له في كتابي هذا ، واستقصي تفاصيل احواله — فهو اشهر من ان يذكر — وانمـــا أردت — علـم الله — ان اتبرك بذكره ، واشرف كتابي بشيء من احواله .

له مؤلفات يطول المقام بتعدادها منها :

(شرح نهج البلاغة) الذي نحن بصدده ، ذكره صاحب (كشف الحجب)، ومما يؤسف له أن هذا الشرح لا يعرف منه إلا اسمه ككثير من شروح (نهج البلاغة) التي عاث بها الزمن، ولعبت بها الأيدي الأثيمة .

توفي رضوان الله عليه يوم الإثنين خامس ذي القعدة سنة (٦٦٤) .

١٦ – شرح نهج البلاغة :

لابي طالب تاج الدين علي بن انجب بن عثمان بن عبد الله البغـــدادي المشهور بابن الساعي ، خازن الكتب للمستنصر العباسي ، كان فقيهاً محدثاً ، مؤرخاً شاعراً أديبـاً ، له مؤلفـــات كثيرة في التفسير والحديث ، والفقه والتاريخ منها (شرح نهج البلاغة) وأشهرها (مختصر اخبار الخلفاء) المعروف بتاريخ ابن الساعي ، يبحث عن تاريخ الدولة العبـــاسية من تشكيلها إلى

انقراضها طبع بمصر سنة ١٣٠٩ هـ ومعه (غاية الاختصار) لابن زهرة الحسيني نقيب العلويين في حلب .

١٧ – شرح نهج البلاغة :

لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم [١] البحراني العالم المحقق ، والفيلسوف المتبحر ، والحكيم المتأله ، يروى عن علي بن سليمان البحراني ، ونصير الدين الطوسي .

قيل : إنّ كمال الدين ابن ميثم تلمذ على نصير الدين الطوسي في الحكمة ، وتلمذ نصير الدين على ابن ميثم في الفقه .

وروى عنه العلامة الحلي ، والسيد عبد الكريم بن طاوس .

وكتب الشيخ سليمان البحراني في احواله رسالة سماها « السلافة البهية في الترجمة الميثمية » قال فيها : « ومن اطلع على شرح نهج البلاغة الذي صنفه للصاحب عطاء الملك الجويني وهو عدة مجلدات شهد له بالتبرز في جميع الفنون الاسلامية والحكمية والأسرار العرفانية » [٢] ، وقد اطلعت أنا على رسالة الماحوزي في الشيخ ميثم في مجموعة عند الخطيب الشيخ محمد صادق آل عصفور في قرية الدراز في البحرين وفي آخرها كتب الترجمة الموسومة بالسلافة البهية سليمان بن عبد الله البحراني في الليلة السابعة والعشرين من شهر جمادى الاولى للسنة الرابعة والمائة والألف من الهجرة النبوية بعد ربع الليل تقريباً والحمد لله رب العالمين .

ولا عجب فهذا الشيخ معدود في الفلاسفة والحكماء ، والعلماء والفقهاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) حكى بعض العلماء قال : ان ميثم حيثما وجد فهو بكسر الميم إلا ميثم هذا فانه بفتح الميم .

(٢) لؤلؤة البحرين ص : ٢٢٦ .

١٨ - شرح نهج البلاغة المتوسط :

لابن ميثم أيضاً فان له ثلاثة شروح على (نهج البلاغة) (الأول) الكبير وهو كتاب ممتع مشحون بدقائق الحكمة ، دعاه الى تأليفه مارآه من تشوق علاء الدين الجويني إلى كشف حقائق (نهج البلاغة) وقد مر ذكره قبل هذا ، (الثاني) وهوهذا واسمه أو اسم الذي يأتي بعده (مصباح السالكين) (الثالث) وهو الذي يأتي :

١٩ - شرح نهج البلاغة الصغير :

لابن ميثم أيضاً ، وهو الشرح الكبير لخصه باشارة علاء الدين المذكور لولديه نظام الدين ابي منصور محمد ، ومظفر الدين أبي العباس علي فرغ من تلخيصه في آخر شوال سنة احدى وثمانين وستمائة .

وقال سيد (الأعيان) رحمه الله : كتبت النسخة التي وجدت منه سنة (٧٠١) وقوبلت سنة (٧٠٣) وكتب عليها السيد كاظم الرشتي : انه للامام يحيى العلوي صاحب (الطراز) والسيد يحيى هذا توفى سنة (٧٤٩) .

ويذهب بعضهم : إنّ لابن ميثم شرحين على (النهج) فقط ـ وهما الكبير وهو الذي ذكرناه أولا ، والصغير وهو الذي ذكرناه أخيراً ـ وانما اشتبه من اشتبه بنسبة الثالث اليه من شرحه للمائة كلمة المروية عن علي عليه السلام ، غير أن صاحب (لؤلؤة البحرين) نقل عن الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني انه قال: « وسمعت من بعض الثقاة ان له شرحاً ثالثاً على (نهج البلاغة)[١]» توجد نسخة من هذا الشرح في مدرسة الفاضل خانة ، ونسخة اخرى في مدرسة المروى بطهران ، وثالثة عند آقا مجد الدين الخواجة نصيري ذكر ذلك ابن يوسف ج ٢ / ٥١ .

---

(١) لؤلؤة البحرين ص : ٢٢٩ .

ولا يفوتني ههنا أن أتعرض لوصف شرح الشيخ ميثم رحمه الله المسمى (منهاج العارفين) الذي شرح فيه (المائة المختارة) التي جمعها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، والتي مرّ الكلام عليها في باب الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

وهذا الكتاب الجليل مرتب على ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) في المبادىء والمقدمات ، ويشتمل على ثلاثة فصول يندرج تحتها عدة مباحث ، في النفس الحيوانية وتحقيقها ، وبرهان وجودها، وماهية الادراك والحواس الباطنة والظاهرة ، والقوى المحركة بالارادة ، والارواح الحاملة لهذه القوى ، والنفس الانسانية والفلكية وماهيتها، والبرهان على وجودها ، والكلام في الكمالات العقلية الانسانية ، وتفصيل لاصول الفضائل الخلقية ثم الكلام على احوال النفس بعد المفارقة ، والبرهان على بقائها ، ومعنى السعادة والشقاوة، وإثبات اللذة العقلية للنفوس الانسانية ، والاشارة إلى أحوال السالكين ، ومعنى الزاهد والعابد والعارف ، وكيفية التمكن من الاخبار عن المغيبات ، والاتيان بخوارق العادات .

(القسم الثاني) في المقاصد وفيه فصول ثلاثة (الأول) في المباحث المتعلقة بالعقل والجهل والعلم والظن والنظر، وتكلم في تلك الامور في شرحه لاثنتين وعشرين كلمة من تلك (المائة) بدأها في شرح قوله صلوات الله عليه (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) وختمها في شرح قوله سلام الله عليه (من نظر اعتبر) و (الثاني) في المباحث المتعلقة في الاخلاق الرضية والرديّة ، وجعل ذلك في شرح اثنتين وثلاثين كلمة من الكلمات المذكورة بدأ فيها بشرح قوله عليه السلام (من عذب لسانه كثر إخوانه) وختمها في شرح قوله عليه السلام (لا صحة مع نهم) و (الثالث) في المباحث المتعلقة بالآداب والحكم المصلحية وجعل ذلك في شرح ست وأربعين كلمة من تلك الكلمات ، افتتحها بالكلام على قوله عليه السلام (أكرم النسب حسن الأدب) وختمها بشرح دعائه

عليه السلام (اللهم اغفر لنا رمزات الألحاظ ، وسقطات الألفاظ ، وهفوات اللسان ، وسهوات الجنان) .

أما (القسم الثالث) فيشتمل على فصلين (الاول) في بيان أن علياً عليه السلام كان مستجمعاً لجميع الفضائل (الثاني) في بيان اطلاعه عليه السلام على المغيبات ، وتمكنه من خوارق العادات .

والكتاب قيم بكل معنى الكلمة وكل بحوثه مبنية على أُسس علمية وقواعد فلسفية ، واصول حكمية ، وذلك ما دعاني لاستعراض محتوياته .

اطلعت على نسخة منه عند العالم الزاهد الشيخ حسين البلادي صاحب المؤلفات الكثيرة ، والعلم الغزير . ثم انتقلت إليّ بالشراء ، أسأله تعالى أن يوفقني لنشرها . كما رأيت نسخة منها بمكتبة الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء . وقد طبعت أخيراً بطهران بتحقيق السيد جلال الأرومي رحمه الله .

٢٠ – شرح نهج البلاغة :

لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني العمري الحنفي اللغوي المحدث صاحب (مجمع البحرين) في اللغة ، و (شرح صحيح البخاري) و (العباب) وقد مر أنه ألف (العباب) للوزير ابن العلقمي .

يوجد من تصانيفه في الخزانة الرضوية على مشرفها السلام كتاب (الشمس المنيرة) ويظهر من كتابه هذا وجوب الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام. توفي سنة (٦٥٠) (١) .

٢١ – شرح النهج :

لابن العتقا ذكره صاحب « وقائع الأيام » ص ٣٥٧ وقال انه رأى في باب الكاف من كتاب « رياض العلماء » ما نقله مؤلف الرياض عن فهرس كتاب

(١) الذريعة : ٤ / ١٥٨ .

« تحفـــة الابرار » [1] تأليف السيد حسين بن مساعد بن الحسن الحسيني ، وأوردها في آخر كتابه ، وكلها من مؤلفات علماء السنة والجماعة المعتمد عليهم ، وعد من تلك الكتب (شرح نهج البلاغة) لابن العنقـا ، وقال انه جمعه من أربعة شروح ... الخ .

قال الشيخ الامام صاحب « الذريعـــة » : ولم يذكر ابن العنقا فيما بين ايدينا من الكتب [2] .

٢٢ – شرح نهج البلاغة :

ذكره صاحب كتاب « وقائع الايام » أيضـاً عن « الرياض » عن « تحفة الابرار » لابن مساعد المذكور .

٢٣ – شرح نهج البلاغة :

للعلامة الحلي جمال الدين أبي منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي ابن المطهر المتوفى عام (٧٢٦) ويظهر من (الخلاصة) أنّ هذا الشرح مختصر من بعض الشروح ولم يسمّه ، فانـّه قدس سرّه ذكر من مؤلفاته (مختصر شرح نهج البلاغة) لكن الشيخ آغا بزرك ذكر في (الذريعة) من القسم غير المخطوط أنه مختصر شرح الشيخ ميـــثم البحراني ، وقال : إن هذا المختصر موجود عند الميرزا محمد باقر الخونساري [3] .

٢٤ – شرح نهج البلاغة :

للسيد يحيى بن حمزة العلوي اليماني من أئمة الزيدية المتوفى سنة (٧٤٩) صاحب كتاب (الطراز) وقد أشار الى شرحه هذا في مواضع من كتابه هذا نذكر منها في الجزء الأول ص : ١١٨ و ١٦٦ وفي الجزء الثاني : ص : ٢٥٢ وغيرها .

---

(١) تحفة الابرار الف بين سنة (٨٩٣ و ٩١٧) كما في الذريعة ٣ : ٥٠٤ .

(٢) الذريعة ٤ : ١٥٧ .

(٣) الذريعة : حرف الميم من القسم المخطوط .

٢٥ – النفائس في شرح نهج البلاغة :

لبعض علماء السنة موجود في الخزانة الرضوية على مشرفها السلام تاريخ كتابته سنة (٧٥٩) .

٢٦ – شرح نهج البلاغة :

لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي العالم المحقق ، الفقيه المتبحر ، من علماء المائة الثامنة ومن معاصري الشهيد الأول له مؤلفات كثيرة في جملة من العلوم يوجد جملة منها في الخزانة العلوية في النجف الأشرف وبعضها بخطه ، ومنها (شرح نهج البلاغة) في أربعة مجلدات ، جمعه من أربعة شروح ، (شرح القاضي عبد الجبار) و (شرح ابن أبي الحديد) و (شرح كمال الدين البحراني) و (شرح الكيدري) وكان تاريخ فراغه من المجلد الثالث من الشرح المذكور شعبان سنة (٧٨٠) .

ومن جملة ما كان في الخزانة العلوية من مؤلفات العتائقي (شرح ديوان المتنبي) بخطه في جزئين ، و (شرح زبدة الإدراك في علم الأفلاك) لنصير الدين الطوسي واسمه (الشهدة في شرح الزبدة) و (شرح التلويح) في الطب ، فرغ منه في سرار شعبان سنة (٧٧٤) و (شرح صفوة المعارف) و (المنتخب في لباب الأدب) في علم البلاغة ، ولا يدري كيف هي اليوم إذ دون الوصول إليها خرط القتاد .

٢٧ – شرح نهج البلاغة :

لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الهروي الشافعي المتوفى عام (٧٩٢) في سمرقند ، وكان حجة في البلاغة والمنطق ، وله يد في الفقه وعلم الكلام له كتب منها (المطول) و (الإرشاد) و (تهذيب المنطق) و (المقاصد) و (المفتاح)، وتفتازان قرية كبيرة من نواحي نسا من أعمال خراسان .

٢٨ — حواشي نهج البلاغة :

للشيخ أحمد بن الحسن الناوندي من أعلام القرن السابع، ومن تلامذة الشيخ جمال الدين الوارميني، والحواشي المذكورة من تقريرات استاذه المذكور .

٢٩ — التعليقات على (نهج البلاغة) :

توجد منه نسخة في مكتبة المتحف (مكتبة الآثار العامة ببغداد) بخط السيد أحمد بن السيد ابراهيم الطباطبائي تاريخها (١١٠٣) هـ والتعليقات المذكورة لبعض العلماء المجهولين وقد تقدمت منا الإشارة الى هذه الكتاب عند استعراضنا للنسخ المخطوطة من نهج البلاغة تحت عنوان (مشكلة الإضافات) (١) .

٣٠ — التحفة العلية في شرح البلاغة الحيدرية :

للسيد أفصح الدين محمد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني كبير جداً ، فرغ منه في صفر سنة (٨٨٤) كتبه لبعض الملوك ، ومنه نسخة موجودة في مكتبة السيد الجليل السيد علي الهمداني في النجف الاشرف ، ويسمى هذا الشرح أيضاً بالمواهب الالهية .

٣١ — روضة الابرار في شرح نهج البلاغة :

لأبي الحسن علي بن الحسن الزواري الأصبهاني من علماء الامامية من تلامذة المحقق الكركي ، له تآليف منها تفسير كبير بالفارسية يعرف بتفسير الزواري ، وترجم إلى الفارسية كتاب (كشف الغمّة) للاربلي ، و (عدّة الداعي) لابن فهد الحلي ، و (مكارم الأخلاق) للطبرسي ، و (الاعتقاد)

---

(١) انظر هذا الجزء ص ١٩٥ .

للصدوق ، وغيرها .

والزواري ـ بكسر الزاي ـ نسبة إلى زوارة قصبة من أعمال اصبهان تعرف بقرية السادات لكثرة العلويين فيها .

٣٢ – شرح نهج البلاغة :

لقوام الدين يوسف بن الحسن الشهير بقاضي بغداد المتوفى في حدود سنة ٩٢٢ ذكره صاحب (كشف الظنون) .

٣٣ – منهج الفصاحة في شرح نهج البلاغة :

وهو بالفارسية تأليف جـلال الدين الحسين بن شرف الدين عبد الحق المعروف بالالهي المتوفى سنة (٩٥٠) هـ العالم الفاضل المتبحر صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها الشرح المذكور ألفه باسم السلطان الشاه إسماعيل الصفوي توجد منـه مخطوطة بمكتبـة مجلس الشورى بطهران برقم (٥٧٨٣) . كما اخبرني بذلك الاستاذ السيد عبد العزيز الطباطبائي .

٣٤ – تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين :

شرح لنهج البلاغة بالفارسية مطبوع ألفه العلامة الجليل المولى فتح الله ابن شكر الله القاشاني المتوفى (٩٨٨) هـ .

٣٥ – شرح نهج البلاغة :

بالفارسية أيضـاً تأليف عز الدين علي بن جعفـر شمس الدين الآملي عالم فاضل فقيه محقق مدقق ، جامع للعـلوم العقلية والنقلية ، وكان من شركاء الدرس مع الشيخ علي الكركي ، والشيخ إبراهيم القطيفي عند الشيخ علي بن هلال الجزائري له كتب منها الشرح المزبور .

٣٦ – شرح نهج البلاغة :

بنحو الحـاشية للمولى عمـاد الدين علي القـاريء الاسترابادي أحد أعلام القرن العاشر .

٣٧ – شرح نهج البلاغة :

مجهول المؤلف ، قال عنه المحدث النوري رحمه الله : رأيته بمشهد الرضا عليه السلام وقد سقط من أوله أوراق ، وهو مختصر لم أعرف مؤلفه إلا أن النسخة كانت عتيقة جداً انتهى .

٣٨ – منهاج الولاية :

شرح لنهج البلاغة بالفارسية للعلامة جمال السالكين عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي ، المعروف بحسن الخط في خط النسخ والثلث كان فاضلاً عالماً محققاً ، يسلك مسلك الصوفية ، وكان في عصر الشاه عباس الأول الصفوي له مؤلفات منها الشرح المذكور .

٣٩ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ علي المعروف بالحكيم الصوفي بالفارسية فرغ منه سنة (١٠١٦)هـ قال السيد الأمين رحمه الله : رأينا نسخة منه بهمدان .

٤٠ – أنوار الفصاحة في شرح نهج البلاغة :

للمولى نظام الدين علي بن الحسن الجيلاني ثلاث مجلدات فرغ من الأول منها في (٤ ربيع الأول سنة ١٠٥٣ هـ) .

٤١ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ نور محمد بن القاضي عبد العزيز بن القاضي طاهر محمد المحلي شرحه باللغة الفارسية سنة (١٠٢٨) هـ ينقل فيه أحياناً بعض كلمات الفلاسفة والعرفاء ذكره ابن يوسف في كتابه (نهج البلاغة چيست ؟) ص ١٨ وقال إنّ نسخة منه في مكتبة مدرسة سپهسالار بطهران.

٤٢ – شرح نهج البلاغة :

تعليقات للشيخ الرئيس أبو الحسن محمد الملقب بـ (صديق الملك) علقها

بخطه الجيد على نسخة من (النهج) بأمر نظام الملك كاظم خان النوري ، (لم يتم) .

٤٣ - شرح نهج البلاغة :

للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي علم الأئمة الاعلام ، وشيخ علماء الإسلام ، ولد في بعلبك يوم الاربعاء ١٧ من ذى الحجة سنة ٩٥٣ ، وانتقل به والده وهو صغير إلى بلاد فارس ، فنشأ في حجره وأخذ عنه وعن غيره ، وبرع حتى بذ أقرانه ، وعلا سعده ، وتلألأ نجمه ، واختير لمشيخة الاسلام ، فنهض باعبائهـا مدة ثم رغب في السيـاحة ، فترك ذلك المنصب وقصد حج بيت الله الحرام ، ثم أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة اجتمع في أثنائها بكثير من أهل الفضل وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، ثم عاد إلى إيران فقلد مشيخة الاسلام ، وفوضت إليه امور الشريعة ، وكان ينوي العودة إلى السياحة غير أن الأجل وافاه في ١٢ شوال سنة (١٠٣١) وهو مقيم يومئذ بإصبهان فحمل إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام ودفن في داره قريباً من الحرم الرضوي ، وقبره مزار مشهور ، وقد زرته في سنة (١٣٧٤)هـ ورأيت مؤلفاته بأجمعها قد وضعت في خزانة خاصة عند مرقده الشريف.

له مؤلفات مشهورة ، وأكثرها مطبوع ، منهـا (الكشكول) و (المخلاة) و (العروة الوثقى) و (مفتاح الفلاح) و (الجامع العباسي) و (خلاصة الحساب) أما شرحه على « النهج » فانه لم يتم .

٤٤ - العقد النضيد المستخرج من شرح ابن ابي الحديد :

لفخر الدين عبد الله بن المؤيد بالله وقد مر ذكره عند الكلام على شرح ابن أبي الحديد ، توجد منه نسخة في مكتبة المجلس النيـابي بطهران كما في (الذريعة) : ج ١٤ ص ١٣٤ .

٤٥ – شرح نهج البلاغة :

للعالم الحكيم الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين العاملي الكركي المتوفى في ١١ صفر سنة ١٠٧٦، ترجمه في « السلافة » واثنى عليه كثيراً، وذكر قدومه إلى والده في بلاد الهند سنة ١٠٧٤ ووفاته هناك في التاريخ المتقدم عن ٦٤ عاماً، له كتب منها الشرح المذكور وهو من الشروح المبسوطة، و « عقود الدرر » و « الاسعاف » و « مختصر الاغاني » [١]، وكان عالماً أديباً شاعراً فصيح اللسان، حاضر الجواب له شعر جليل، أكثره في مدح أهل البيت عليهم السلام، سكن اصفهان مدة ثم حيدر آباد وتوفى بها في ١١ صفر سنة ١٠٧٦ ومن شعره :

جودي بوصل أو ببين فاليأس إحدى الراحتين
أيحلّ في شرع الهوى ان تذهبي بدم (الحسين)

٤٦ – شرح نهج البلاغة :

بالفارسية للشيخ محمد مهدي بن أبي تراب الهندي فرغ منه في شهر رمضان سنة (١٠٩٧) .

٤٧ – المستطرفات في شرح نهج الهداة :

للشيخ الامام فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الطريحي النجفي المنتهي نسبه الكريم الى الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه .

ولد يوم الجمعة آخر شوال سنة (٩١٩) هـ، في النجف الاشرف وتولى المرحوم والده تربيته، واشرف على دراسته، ثم حضر على جملة من الاعلام كالشيخ محمود بن حسام الدين الحلي، والشيخ محمد بن جابر العاملي، والشيخ شرف الدين بن علي الشولستاني النجفي : وعمه الشيخ محمد الطريحي .

---

(١) الروضة النضرة للامام آغا بزرك الطهراني مخطوط .

ولشيخنا الطريحي أعلى الله مقامه جملة من المؤلفات في مختلف الفنون تبلغ الاربعين وأكثرها لم يطبع ، أما المطبوع منها :

(١) مجمع البحرين في اللغة ، جمع بين تفسير الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة وقد طبع على الحجر عدة مرات ، كما طبع هذه الأيام على الحروف طبعة متقنة .

(٢) غريب القرآن .

(٣) جامع المقال في تميز المشتركات من الرجال .

(٤) المنتخب في المراثي والخطب ، ويدعى هذا الكتاب بالفخري .

(٥) ضبط أسماء الرجال .

والطريحي أول من روى حديث الكساء بصورته المعروفة التي يقرؤها الناس للتبرك والتيمن .

أما مصنفاته المخطوطة فهي مشتتة في المكتبات العلمية في النجف وخارجها ، وبعضها موجود في مكتبة آل طريح في النجف في دار أحد أحفاده ومنها شرح نهج البلاغة المسمى (مستطرفات نهج البلاغة) كما في (الذريعة) حرف الميم من القسم المخطوط أو «المستطرفات في نهج الهداة».

وروى عن الطريحي جماعة من العلماء منهم العلامة المجلسي صاحب(البحار) والحر العاملي صاحب (الوسائل) ونجله الشيخ صفى الدين صاحب (مطارح النظر في شرح الباب الحادي عشر) والسيد هاشم البحراني صاحب (البرهان) وابن أخيه الشيخ جمال الدين صاحب كتاب (فروق اللغات) وغيرهم .

وكانت له مدرسة وجامع في الرماحية ، وجامع في محلة البراق من محال النجف يعرف باسمه .

توفى رحمه الله سنة ١٠٨٥ هـ ورثاه جملة من الشعراء منهم تلميذه الشيخ محمد أمين الكاظمي صاحب (المشتركات) بقوله :

خطب أصاب حشا الهدى والدين   مذ فخـــره أودى بسهم منــون
عـــلم له علم العلوم ، وفضـــله   منشور أعـــلام ليـــوم الدين
سل (مجمع البحرين) والدرر التي   نظمت به عن علمه المخزون
وانظر لتأليفـــاته وبيـــانه الشـــافي بعـــين بصـــيرة ويقين
تجـــد التقى في هديه والفضـــل في أقواله بالحـــكم والتبيين
لافخر حيث تضيف أصحاب الكسا   ارخ (وطيداً بعـد فخر الدين)
١٠٨٥ هـ [١]

٤٨ - بهجة الحدائق :

للسيد محمد بن أبي تراب الحسني الأصبهاني المعروف بعلاء الدين گلستانه المتوفى سنة (١١٠٠) هـ ، وكان عالماً زاهداً ، له مؤلفات منها هذا الشرح والشرح الذي يأتي بعده ، و (منهج اليقين) وهو شرح لرسالة الإمام الصادق عليه السلام التي كتبها لأصحابه ، وأمرهم بمدارستها ، والنظر فيها ، والعمل بها ، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم ، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها .

والرسالة المذكورة رواها الكليني في « الكافي » و « الروضـــة » [٢] واختصرها ابن شعبة في « تحف العقول » ص ٣١٣ .

ومن مؤلفاته ايضاً « شرح الخطبة الشقشقية » وسنوافيك به في محله من الكتاب إن شاء تعالى .

توجد نسخة من « بهجة الحدائق » في مكتبة مدرسة الإمام البروجردي في « النجف الأشرف » .

---

(١) اقتبسنا هذه الترجمة من الكنى والالقاب ٢/٤٠٧ والذريعة حرف الميم غير المطبوع ، ومما كتبه لنا الاستاذ الباحث الشيخ عبد المولى الطريحي سلمه الله .

(٢) سفينة البحار مادة : رسل .

٤٩ ـ حدائق الحقائق « في شرح كلمات كتاب الله الناطق » :

للسيد المتقدم ، هو شرح كبير وصفه الشيخ النوري بقوله : « إنه يقرب من ثلاثين ألف بيت إلا أنّه ما جاوز الخطبة الشقشقية إلا نزراً يسيراً » .

وقال الإمام الرازي : « ان الموجود منه ثلاثة مجلدات تنتهي إلى خطبة (كنتم جند المرأة ، واتباع البهيمة) ولا يعلم بقية مجلداته » ، فتصور في كم من المجلدات يكون هذا الكتاب .

٥٠ – شرح نهج البلاغة :

للسيد الإمام الحسن بن المطهر بن محمد بن الحسين الجرموزي اليمني المتوفى سنة (١١١٠) من اسرة كلهم علماء ادباء شعراء تعرف بآل المطهر ، ترجمه في (نسمة السحر) ناقلاً تفاصيل أحواله من كتاب ولده السيد احمد بن الحسن الجرموزى المسمى (قلائد الجوهر في ابنـاء آل المطهر) أورد فيـه أحوال والده وتصانيفه ومنها (شرح النهج) قال : لكنه لم يتم [1] .

٥١ – شرح نهج البلاغة :

للمولى محمد صالح بن محمد باقر القزويني الروغني من أعلام القرن الحادي عشر وهو بالفارسية قال فيه الإمام صاحب (الذريعة) ١٤ : ١٢٨ « من أنفع شروح النهج ، شرح حامل المتن على سبيل المزج ، يكتب المتن بالحمـرة ، والشرح بالسواد ـ قال ـ رأيت مجلده الأول المنتهي إلى آخر الخطبة القاصعة في مكتبة السادة آل الخرسان في النجف الأشرف ، أوله (الحمد لله على ما أولانا من نعمه) تاريخ كتابته (١٢٣٧) ورأيت النسخة التامة في مكتبة المولى محمد علي الخونسارى ونسخة منه في مكتبة سپهسالار بطهران تاريخ كتابتها (١٠٨٨) – قال – : وقد طبع بإيران طبعاً جيداً بالحروف في سنة (١٣٢١) مع مقدمة لمبـاشر الطبع الميرزا علي (أديب خلوت)

---

(١) انظر الذريعة ١٤ / ١٢٤ .

ابن الميرزا إسماعيل (عماد لشكر الاشتياني) قال : والحق في آخره خمس قصائد من إنشائه في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، وميز فيه المتن عن الشرح بقوسين في طرفي المتن فزاد في الشرح حسناً ، لكنه اشتبه عليه اسم الشارح فنسبه إلى المولى صالح بن محمد البرغاني (١٢٨٣) ... »

٥٢ - الحواشي الضافية والموازين الوافية :

للعلامة المحدث السيد نعمة الله الجزائري وهو حواشي وتعليقات على (نهج البلاغة) يقع في ثلاثة مجلدات ، نظير تفسيره المعروف بـ (العقود والمرجان في حواشي القرآن) وقد نقل مقداراً من هذه الحواشي تلميذه السيد محمد باقر بن السيد محمد شاهي على نسخة (النهج) التي كتبها بخطه في سنة (١١٠٣) وجعل رمز تلك الحواشي (ع . ن) .

توجد هذه النسخة في مكتبة التقوى كما ذكرنا ذلك عند الكلام على نسخ (النهج) المخطوطة [١] .

والسيد الجزائري من العلماء المكثرين في التأليف، وله ولع بشرح الكتب المهمة ، فانه شرح كتب الحديث الأربعة المعروفة و (نهج البلاغة) و (الصحيفة السجادية) .

توفي السيد الجزائري رحمه الله سنة (١١١٢ أو ١١١٤) .

٥٣ - شرح نهج البلاغة :

لتاج الدين حسن المعروف بـ (ملا تاجا) المتوفى سنة ١١٣٨ والدالفاضل الهندي [٢] وهو باللغة الفارسية ، ويوجد في المكتبات الخاصة باصفهان .

---

(١) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء.

(٢) الفاضل الهندي هو الشيخ المحقق محمد بن الحسن بن محمد الاصبهاني بلغت مؤلفاته الثمانين اشهرها كتاب « كشف اللثام عن قواعد الاحكام » الذي اعتمده صاحب « الجواهر » أعلى الله مقامه حتى قيل : انه لو لم يحضره هذا الكتاب لما كتب شيئاً من « الجواهر » .

٥٤ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ المحدِّث عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي ، المتوفى سنة (١١٣٥) ، من أكابر علماء الإمامية المحدثين ، صاحب (الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية) التي سبق ذكرها في ص ٨١ من هذا الجزء .

والسماهيجي نسبة إلى قرية سماهيج (بفتح أوله وبالياء المثناة من بعدالهاء والجيم اخيراً) من جزيرة صغيرة بجنب جزيرة أوال من المشرق ، وجزيرة أوال من جزائر البحرين وإليها ينسب جماعة من أهل العلم .

٥٥ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ عبد الله بن نور الله أو نور الدين كما في (الفيض القدسي للنوري) البحراني صاحب كتـاب (العوالم) الذي هو في مثل (بحـــار الأنوار) في المقدار .

قال الشيخ آغا بزرك رحمه الله في الكواكب المنتشرة في (أعيان القرن الثاني بعد العشرة) مخطوط : (سمعت من بعض المطلعين انه في أربعين مجلداً موجودة كلها في إحدى مكتبات يزد) قال : « ورأيت الجزء الأول من المجلد الثالث عشر من العوالم » وهو في مطاعن بعض مناوئي أمير المؤمنين عليه السلام .

٥٦ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ أبي الرضا محمد علي بن بشارة من آل موحي الخاقاني النجفي المتوفى بعد سنة (١١٣٨) هـ والى هـذا الشرح أشار الشيخ أحمـد النحوي الحلي رحمه الله ، في قصيدة مدح بها المؤلف مطلعها :

برزت فيا شمس النهار تستري — خجلا ويازهر النجوم تكدري

إلى أن يقول :

من آل موح شبـه أفلاك العلى — وبدور هالات الندى والمفخر

لاسيما العلم الذي دانت له الاعلام ذو الفضل الذي لم ينكر
ولقد كسى (نهج البلاغة) فكره شرحاً فأظهر كلّ خاف مضمر

والشيخ محمد علي المذكور بطل من أبطال العلم وفحل من فحول القريض، وفذ من أفذاذ الفضيلة، وعلم من أعلام الأدب، له مؤلفات سوى (نهج البلاغة) منها (نشوة السلافة ومحل الاضافة) وهو تتميم لكتاب (سلافة العصر) للسيد علي خان المدني، ومنها (نتائج الأفكار) و (ريحانة النحو) ومن مدائحه لأمير المؤمنين عليه السلام قوله :

وإذا رقى للوعظ صهوة منبر يصغي لزاجر وعظه جبارها
(نهج البلاغة) من جواهر لفظه فيه العلوم تبينت أسرارها

ترجمه شيخنا الاميني في غديره الضافي ج ١١ ص ٣٧٣ — ٣٨٢ .

وقال الاستاذ علي الخاقاني في الجزء الأول (من شعراء الحلة) ص ٦٢ط ثانية عن هذا الشرح إنه موجود عند بعض الاعلام في النجف .

٥٧ — شرح نهج البلاغة :

للميرزا محمد علي بن أبي طالب الزاهدي الكيلاني الأصبهاني من أحفاد الشيخ ابراهيم الشهير بالزاهد الجيلاني مرشد السيد صفي الدين اسحق جد السلاطين الصفويين .

ولد باصبهان ٢٧ ربيع المولود سنة (١١٠٣) واشتغل على والده وجماعة من أعلام وقته كالشيخ خليل الطالقاني، والمولى محمد صادق الأمروستاني، والحاج محمد طاهر الاصبهاني وغيرهم، وحصلت له ملاقات جمع آخر من العلماء فأدرك في صغره العلامة المجلسي وكثيراً من معاصريه وتلامذته، وساح في بلاد فارس والعراق واليمن، ثم ورد بلاد الهند سنة ١٠٤٧ ومكث في دلهي ما يقرب من أربعة عشر عاماً ثم انتقل منها الى بنارس ١١٧١ وبقى هناك إلى أن توفى في ١١ جمادى الاولى سنة ١١٨١ .

له تصانيف كثيرة منها (التذكرة) و (شرح نهج البلاغة)[1] .

٥٨ – شرح نهج البلاغة :

للعلامة الجليل السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني المتوفى سنة (١٢٤٢) كان هذا السيد من العلماء الربانيين ، والفقهاء المتبحرين، وقد لقب في عصره بالمجلسي الثاني لكثرة ما ألف وما حقق ، فان له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم كالتفسير ، والحديث ، والاخبار ، والفقه والاصول، وذكر كل مؤلفاته لا يحتملها كتابنا هذا ، ومن أراد الاطلاع عليها فعليه بكتاب (دار السلام) للميرزا النوري، وما كتبه العلامة السيد محمد صادق الصدر في مقدمة (حق اليقين) ليرى العجب العجاب، وإنها لنفيسة مع كثرتها ولا يعوزها التحقيق مع وفرتها .

وقد ذكر أن ذلك ببركة الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليه وذلك أن السيد رحمه الله رآه في المنام وكأنه أعطاه قلماً وأمره أن يكتب به .

وسمعت من بعض الثقاة أن السيد قدس سره مات والقلم بيده وهذا من شدة حبه للعلم وولعه بالكتابة .

والشرح الذي نحن في ذكره في مجلد ضخم رأيته عند حفيده الحجةالسيد علي شبر بالكويت بخط جميل واضح، قال في مقدمته : « هذا تعليق لطيف وشرح مختصر شريف ، علقته على (نهج البلاغة) غير ذى إيجاز مخل ، ولا إطناب ممل ، يحل مشكلاته ، ويفتح مغلقاته ، وينبه على جملة من نكاته ، ويوضح غريب فقراته ، على طراز غريب ، ونمط عجيب ، تهش إليه النفوس السليمة ، وتقبله العقول المستقيمة ، وقد عولت فيه غالباً فيما يتعلق بالتواريخ والقصص على شرح المحقق الفريد ابن أبي الحديد ، وفيما يتعلق بالاعراب والنكات والدقائق على شرح العالم الرباني ابن ميثم البحراني قدس سره » .

---

(١) الكواكب المنتشرة مخطوط .

وفي آخره « وقد وقع الفراغ منه على يد مؤلفه المذنب الجاني ، والأسير الفـــاني ، عبد الله بن محمد رضا الشبري في ثاني عشر من جمادى الاولى عصرية يوم الخميس في السنة الحادية والأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها ألف صلاة وتحية حامداً مصلياً مستغفراً » .

وبعده هكذا « ثم وافق الفراغ من استنساخه على يد أقل الخليقة بل لاشيء في الحقيقة المذنب الآثم ، الغريق في بحار الجرائم درويش ابن المرحوم كاظم في ظهرية يوم الأربعاء الخامس والعشرون من شهر محرم الحرام من شهور سنة الثانية والاربعين والمائتين بعد الألف من الهجرة الخ ... » .

وقد اخبرني السـيد علي شبر سلمه الله انه اشتراه من بعض أحفـاد السـيد رحمه الله القاطنين في طهران، وللسيد عبد الله أيضاً شرح على (النهج)صغير .

٥٩ — إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين :

ليحيى بن إبراهيم الجحـا في المتوفى سنة (١١٠٣) والـكتاب في ٤٢٦ ورقة ، وتاريخ كتابته سنة ١٢٦٢ هـ ، ذكر هذا الاستاذ حميد مجيد هدو في مجلة المورد البغدادية العدد٢ من المجلد٣ لسنة ١٣٩٤هـ تحت عنوان مخطوطات من صنعاء .

٦٠ — شرح نهج البلاغة :

للشيخ شمس بن محمد بن مراد وهو ترجمـة لشرح النهج لابن أبي الحـديد بالفارسية لكنه لم يتم ، والموجود منه الأجزاء الستة الاولى وقليل من الجزء السابع ، وقال مؤرخاً له في آخر الجزء الأول ومعبراً عن نفسه (الفقير إلى رحمـة ربه الجـواد شمس بن محمد بن مراد يوم الأحـد من شهر ربيـع المولود سنة ١٠١٣) [١] .

---

(١) الذريعة ج ١٤/ ١٢٧ .

٦١ – شرح نهج البلاغة :

للمولى شمس الدين بن محمد بن مرط الخطيب وهو نقـل لشرح ابن أبي الحديد إلى الفارسية ، واحتمل ضياء الدين يوسف انه هو السابق بعينه (١) خلافاً لصاحب « رياض العلماء » .

٦٢ – شرح نهج البلاغة :

لبعض الفضلاء ، وهو عبـــارة عن ترجمة وشرح لنهج البلاغة بالفارسية والنسخة مذهبة مجدولة نفيسة تاريخ الفراغ من كتابتها : ٨ شعبان ٩٧٣ بخط المولى عبد الله بن الحسين ، ويظن الشيخ آغا بزرك أن الترجمة له أيضاً :

وهذه النسخة في المكتبة الرضوية وقفها الشاه عباس الكبير سنة ١٠١٧

٦٣ – شرح نهج البلاغة :

بعنوان قال ويذكر كلام الإمام عليه السلام ثم يعقبه بقوله : أقول ويشرحه مختصراً ، والنسخة في مكتبة مدرسة الإمام البروجردي قدس سره ، ويرجح الشيخ الرازي أنه لبعض علماء العامة .

٦٤ – مصباح الأنوار :

لنظام الدين أحمد الكيلاني ذكره الشيخ في « الذريعة » ١٤ : ١٥١ عن الفاضل المعاصر الشيخ محمد المهدي اللاهيجي النجفي .

٦٥ – شرح نهج البلاغة :

للميرزا محمد تقي بن كاظم بن عزيز الله بن المولى محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الاصبهاني المعروف بالشمس آبادي ، والملقب بالألماسي ، لأن والده الميرزا كاظم نصب الماساً في موضع الاصبعين من ضريح أمير المؤمنين عليه السلام كانت قيمته سبعة آلاف توماناً .

---

(١) نهج البلاغة جيست ؟ ص ١٨ .

وكان الميرزا المذكور ابن أخي العلامة المجلسي ، وصهره على ابنته ، فصاحب الترجمة سبط العلامة المجلسي وابن ابن أخيه كما صرح به تلميذه في كتابه (نور العين) .

وفي (تتمة امل الآمل) انه كان متعبداً زاهداً ناسكاً بكاء من خوف الله ، دائم الحزن من عذابه ينتفع الناس به في جمعته وجماعته ا هـ .

وترجمه حفيده الميرزا حيدر علي في إجازته الكبيرة ، وأثنى على علمه وفضله ، وحسن سجاياه ، وذكر أنه ولد سنة ١٠٨٩ وتوفى سنة ١١٥٩ عن تمام سبعين سنة ، ودفن في مقبرة جده المجلسي رحمه الله[١] .

٦٦ — شرح نهج البلاغة :

للمولى سلطان محمود بن غلام علي الطبسي القاضي من تلامذة العلامة المجلسي ، وقد سبق منا ذكر هذا الشرح عند الكلام على شرح ابن أبي الحديد : وذكرنا هناك أن هذا الشرح مختصره .

٦٧ — شرح نهج البلاغة :

للمولى محمد رفيع بن فرج الجيلاني المشهدي المعمّر ، كان علامة محققاً ، متكلماً فصيحاً متقناً ذكره صاحب (اللؤلؤة) وقال فيه : « ولم أر قوة فضله وإيمانه فيمن رأيت من فضلاء العرب والعجم ، كان متواضعاً منصفاً كريم الأخلاق ، حضرت درسه أوقات إقامتي في المشهد — إلى أن قال — له رسالة في وجوب الجمعة عيناً ، ورسالة في الإجتهاد والتقليد وغير ذلك» .

وقال تلميذه الآخر الشيخ حسين بن محمد البارباري السنبسي في إجازته الكبيرة للشيخ حسين بن عبد الله الأوالي : « إنه أفضل أهل زمانه وأكمل أهل أوانه ، وكان إماميا عدلا ثقة محققاً مدققاً مجتهدا ، أصولياً جامعاً لفنون

---

(١) الكواكب المنتشرة مخطوط .

العلم إماماً في الجمعة والجماعة» ثم عدد تصانيفه وذكر منها (شرح نهج البلاغة) ورسالة في الإستدلال على العصمة بآية (لا ينال عهدي الظالمين البقرة : ١٢٤) وآية (وسيجنبها الأتقى . الأعلى : ١١) ثم قال في تفسير قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . الذاريات ٥٩) ثم قال بعد ذلك « توفى في حدود الستين بعد المائة بالمشهد وعمره يقرب من المائة .

وترجمه السيد حسين بن إبراهيم القزويني من مشايخ السيد بحر العلوم قدس سره في « اللآلىء الثمينة » وأثنى عليه .

وترجمه الشيخ النوري ترجمة مفصلة في أواخـــر الفصل الرابع من « الفيض القدسي » [١] .

وشرحه على (النهـج) سلك فيـه طريقة جامـعة بين شرحي ابن أبي الحديد وابن ميثم .

٦٨ – شرح النهج :

للشيخ عبد النبي بن شرف الدين محمد الطسوجي الآذربيجاني العالم الفقيه الرياضي الاصولي الرجالي بكربلاء في سنة ١٢٠٣ صاحب كتاب « الرد على نواقض الروافض » و « تحفة السالـكين » . وشرح كتب البهـــائي الثلاثة (الخلاصة) و (الزبدة) والصمدية) .

توجد مخطوطة من كتابه الأخير في مدرسة الامام البروجردى في النجف الأشرف ، ويظهر من كلام سيد (الأعيـان) أن هذا الكتاب حاشيـة على (نهج البلاغة) من جملة حواشيه على الكتب كالكتب الأربعة وغيرها .

٦٩ – شرح نهج البلاغة :

لمحمد باقر بن محمد اللاهيجي الاصفهاني ، ألف هذا الشرح بالفارسية بأمر

---

(١) الكواكب المنتشرة في أعلام القرن الثاني بعد العشرة لآغا بزرك الطهراني مخطوط .

السلطان فتح علي شاه القاجاري في مجلدين ، فرغ من الأول سنة ١٢٢٥ ، ومن الثاني سنة ١٢٢٦ ، وطبعا في طهران سنة ١٣١٧ ، وله تفسير القرآن رتبه على أربعة معان في أربع مجلدات حسان أحدها في القصص والثانية في الذكرى والثالثة في الأحكام والرابعة في أحوال القيامة .

٧٠ – منهج المعرفة :

للسيد صدر الدين بن محمد باقر الموسوي الدزفولي المتوفى سنة ١٢٥٦ ، ذكر هذا الشرح في فهرس تصانيفه في أول كتابه (مصباح الذاكرين) المطبوع ، توجد نسخة من هذا الشرح عند الفاضل الشيخ مهدي بن محمد شرف الدين في تستر .

٧١ – شرح نهج البلاغة :

للسيد الجليل محمد مهدي بن السيد مرتضى الحسيني الخاتون آبادي حفيد الشيخ المجلسي وهذا الشرح بالفارسية يوجد مجلد منه في مكتبة مدرسة سپهسالار بطهران ، وخمسة مجلدات اخرى عند العلامة السيد محمد المشكاة حفظه الله في طهران .

والشارح المذكور من أعلام الإمامية ولد سنة ١١٨٥ وتوفى سنة ١٢٦٣ ودفن في مقبرة جده المجلسي الشهير بتخت فولاذ باصبهان ، وله من الكتب سوى الشرح المذكور (تكملة الحياة) في الإمامة .

٧٢ – شرح نهج البلاغة :

للعلامة العارف السيد محمد تقي بن السيد مؤمن بن السيد محمد تقي الحسيني القزويني المتوفى سنة (١٢٧٠) قال شيخنـا الرازي رحمه الله : « رأيت مجلده الأول عند سبطه العالم السيد جواد السيد مصطفى القزويني» ، وله أيضاً (منتخب نهج البلاغة) سماه « طرائف الحكمة » سنذكره في محله إن شاء الله .

٧٣ – شرح النج :

للسيد أبي القاسم بن السيد محمد حسن البختياراتي الاصفهاني المتوفى سنة ١٢٧٢ ، قال شيخنا في « الذريعة » ١٤ : ١١٤ : « هو مجلد بخط الشارح كما حدثني به حفيـــده السيد حسين بن علي بن الشارح – قال – : وتوفى الحفيد في طهران سنة ١٣٦٨ وفاتني السؤال منه عن سائر خصوصياته – قال – وهو صهر آية الله السيد أبي الحسن الاصفهاني » .

٧٤ – شرح النهج :

لا يدري مؤلفه – لنقصان أوله – رآه شيخنا الرازي عند العلامة المولى علي محمد النجف آبادي قبيل وفاته قال : « وهو شرح مزج مختصر اقتصر فيه على بيان اللغات ، وهو ناقص أولا وآخراً ، وأول الموجود منه خطبة استنفار الناس إلى أهل الشام » ثم ذكر رحمه الله نموذجاً من ذلك الشرح [١].

٧٥ – مظهر البينات :

للحاج نصر الله بن فتح الله الدزفولي ، وهذا الشرح عبـــارة عن ترجمة لشرح ابن أبي الحـــديد مع زيادة في التحقيقات ، وقد كتب بأمر السلطان ناصر الدين شاه القاجاري ، شرع فيه مؤلفه سنة ١٢٧٨ ، وفرغ منه سنة ١٢٩٥ ، والموجود منه الجزء الرابع والجزء العشرون وما بينهما أجزاء متفرقة ضمن خمسة مجلدات في مكتبة العلامة السيد محمد المشكاة ، كما يوجـــد مجلد واحد بالأهواز عند الشيخ مرتضى الشهير بسبط الشيخ .

والشارح المذكور من تلامذة المحقق الانصاري عطر الله مرقده .

٧٦ – التقاط الدرر النخب :

للشيخ محمد بن قنبر كور علي الكاظمي المتوفى في حـــدود سنة ١٣٠٠

---

(١) الذريعة ١٤/١١٧ .

وهو منتخب من شرح ابن أبي الحديد .

٧٧ – شرح نهج البلاغة :

لبعض الأفاضل ، يذكر فيه غالباً جملاً من (النهج) أو جملة واحدة ، ثم يتكلم في بيان معاني بعض فقراتها بعنوان : أقول ، قال الشيخ رحمه الله في « الذريعة » ١٤ : ١١٨ : « هذه النسخة في المشهد الرضوي رأيتها سنة ١٣٥٠ وهي من موقوفة المولى نوروز علي البسطامي المتوفى سنة ١٣٠٩ »[١].

٧٨ – تعليق على مشكلات نهج البلاغة :

للشيخ أحمـــد بن علي أكبر المراغي نزيل تبريز المتوفى في ٥ محرم سنة ١٣١٠ وهو شرح لمشكلات (نهج البلاغة) على نحو التعليق ، رآه العلامة الشيخ محمد علي الأردوبادي وذكره في مجموعته (زهر الربى)[٢] .

٧٩ – آداب الملوك :

من شروح « النهج » للسيد الأمير رفيع الدين نظام العلماء التبريزي طبع في تبريز سنة ١٣٢٠ .

٨٠ – شرح نهج البلاغة :

للإمام الشيخ محمد بن عبده مفتي الديار المصرية المتوفى سنة (١٣٢٣) وهو تعليقات لغوية وغيرهـا على جميع الكتـاب ادرجت في ذيل صفحـات (النهج) وطبع في حياته ، ثم طبع عدة مرات مع زيادات عليه من تلامذته وغيرهم نظراء :

١ – محي الدين الخياط زاد عليه منتخبات من شرح ابن أبي الحديد وطبعه في ثلاثة أجزاء ببيروت وانظر ص ١٩٩ من هذا الجزء .

---

(١) الذريعة ١٤ / ١١٥ .

(٢) نفس المصدر .

٢ ـ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد المدرس في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر الشريف ، قدم له مقدمة مهمة ، وزاد عليه زيادات هامة ، وطبع بمطبعة الإستقامة بالقاهرة .

٣ ـ الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل زاد عليه تعليقات مستخرجة من شرح ابن ميثم وطبعه في أربعة أجزاء .

والشيخ محمد عبده ممن يعتقد صحة نسبة جميع محتويات (النهج) إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام بجميع مفرداته حتى أنه جعل من الفاظه حجة على معاجم اللغة فقد علق على قوله عليه‌السلام : (ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم اني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في الساعة التي تنكص فيها الأبطال) بقوله : (المواساة بالشيء الإشراك فيه ، فقد أشرك النبي في نفسه ، ولا يكون بالمال إلا أن يكون كفافاً ، فان اعطيت عن فضل فليس بمواساة ، قالوا والفصيح في الفعل آسيته ولكن نطق الإمام حجة) [1] .

ورأيت للإمام الفقيد الشيخ محمد الحسين آل كاشف رحمه الله تعليقة على شرح الشيخ محمد عبده بقلمه الشريف على النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٧ هـ ونقلتها على نسخة عندي وقد أنقل عنها أحياناً في بعض تفاسير (النهج) في مواضعها من هذا الكتاب .

٨١ ـ بهجة المناهج :

هو تلخيص لكتاب (مناهج النهج) للكيدرى الذي مر الكلام عليه مع اضافة كثير مما لا يوجد فيه من الاخبار الصحاح ، ومؤلفه أبو علي الحسن بن محمد السبزواري البيهقي ، وكان ـ كما في (روضات الجنات) ـ

---

(١) نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ ، وأعاد معنى هذه الكلمة في ج ٣ ص ٧٢ .

عالماً عاملاً ، وإنساناً كاملاً ، من المتكلمين الفضلاء ، والمتدربين النبلاء ، عارفاً بقوانين الحكم والآداب ، واقفاً على طرائق الحكمة وفصل الخطاب » .. الخ .

له من الكتب عدا هذا الشرح (مصابيح القلوب) ضمنه ترجمة ثلاثة وخمسين حديثاً نبوياً في ثلاثة وخمسين فصلاً بالفارسية ، و (راحة الارواح ومؤنس الاشباح) في طرائف أحوال النبي وأهل بيته الاطهار عليهم السلام، وكتاب (غاية المرام في فضائل علي وآله الكرام) وترجم كتاب (كشف الغمة في معرفة الائمة) لعلي بن عيسى الاربلي [1] .

٨٢ – منهاج البراعة :

في شرح نهج البلاغة للعلامة السيد حبيب الله بن السيد محمد المعروف بأمين الرعايا ، الموسوي الخوئي المولود في حدود سنة نيف وستين ومأتين وألف ، والمتوفى في صفر سنة ١٣٢٤ ، وهذا الكتاب من شروح (النهج) الواسعة ، غير ان قلم الشارح رحمه الله جف في شرح قوله عليه السلام (وبادروا بالاعمال عمراً ناكساً) من الخطبة التي يقول عليه السلام في اولها (فإن تقوى الله مفتاح سداد) فبادر الى رضوان الله في التاريخ المتقدم ودفن في إحدى حجر الصحن الشريف لمشهد السيد عبد العظيم الحسني رضي الله عنه .

وكان فراغه من تأليف أول مجلداته يوم الغدير سنة ١٣٠٠ وكان رحمه الله قد حمل ما خرج من هذا الشرح الى طهران ليقدمه للطبع فوافاه الأجل فقام بطبعه ولده العالم الفاضل السيد ابو القاسم أمين الاسلام وأُعيد طبعه في هذه الأيام طبعة جيدة متقنة .

وحدثني سيدنا الامام السيد ابو القاسم الخوئي دامت بركاته في منزله بحي

---

(١) انظر تأسيس الشيعة ص ٤١٧ .

كندة بالكوفة ، في ١٨ ربيع المولود سنة ١٣٩٤ ، وأجازني في نقل ذلك عنه قال حفظه الله :«حدثني والدي رحمه الله ـ وكان قـد أدرك صاحب (منهاج البراعة) في أواخر أيامه قال : كان السبب في تأليف هـذا الشرح ان السيد محمد المعروف بأمين الرعايا كان من ذوي الجاه والثراء ، وكان يملك أراض واسعة فوقع نزاع بينه وبين رجل على أرض ، وطلب ذلك الرجل من أمـين الرعايا أن يكون الحكم بينهما ولده السيد حبيب صاحب الشرح المذكور ، وكان السيد حبيب يومئذ من أكابر العلماء وأفاضلهم ، وله منزلته ومكانته بين الناس فترافعا إليه فتنصل من الحكم بينهما باعتبار أن والده طرف بالقضية ، فأصرّا عليه فحكم للرجل على أبيه ، فغضب لذلك ، وجعل يقوم في مجالس الناس وحشودهم فيصف ولده بالعقوق ، وقلة التدين حتى أسقط من أعين الناس ، وقـلّ احترامهم له ، وأعرضوا عنه ، فقرر السيد أن يذهب الى ضيعة له وأن يعتزل الناس كلّياً ، فاعتزل هناك ، واشتغل بتأليف الشرح المذكور حتى وافاه الأجل قبل إتمامه» وإلى الله ترجع الامور

٨٣ — شرح الاحتشام على نهج بلاغة الامام :

للشيخ جواد الطارمي الزنجاني ألفـه باسم احتشام السلطنة وهو باللغة الفارسية .

٨٤ — الدرّة النجفية :

شرح على (نهج البلاغة) للحاج ميرزا إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي المولود سنة ١٢٤٧ والمستشهد في فتنة المشروطة سنة ١٣٢٥ ، ويعد من العلماء الاعلام ، والفقهاء العظام ، ثقـة عدل ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر أيام نفوذه ، وكان حسن السيرة محمود الصحبة .

هاجر الى النجف الاشرف ، وأقام بهـا سنين يحضر على العلماء المشهورين كالشيخ الانصاري والسيد حسين الترك له مؤلفـات منها (الدرة النجفية)

شرح على (نهج البلاغـــة) في جزئين فرغ من تأليف الجزء الاول منه سنة (١٢٧٣) وفرغ من الثاني سنة (١٢٩١) وطبع في تبريز سنة (١٢٩٣) وله من المؤلفات (شرح أربعين حديثاً) طبع سنة (١٢٩٩) و (تلخيص بحـــار الأنوار) مخطوط . و (ملخص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال) و (حاشية على رسائل الانصاري) [1] .

٨٥ – شرح النهج :

للشيخ العلامة المدرس محمد علي بن نصير الدين بن زين العابدين الچهاردهي الكيلاني المولود ليـلة الجمعة ٢٦ ربيع الاول سنة ١٢٥٢ والمتوفى في النجف الاشرف ليلة الاربعاء سلخ محرم الحرام سنة ١٣٣٤ من اساتذة الشيخ صاحب (الذريعة) ومشائخه في الرواية ، له مـــا ينيف على الثلاثين مصنفاً نثرها الشيخ الطهراني في مواضعها من ذريعته ، والشرح المذكور يقع في ثلاثـــة مجلدات ، وهو باللغة الفارسية مثل جملة من مؤلفاته الاخر .

٨٦ – شرح نهج البلاغة :

للحكيم الفيلسوف العارف الشيخ جهانگيرخان القشقائي نزيل إصفهان المتوفى بها سنة ١٣٢٨ .

٨٧ – الاشاعة في شرح نهج البلاغة :

هذا الكتاب ترجمة وشرح لنهج البلاغة باللغة الاردوية ألفـه السيد أولاد حسن بن محمد حسن الأمروهي المتوفى سنة ١٣٣٨ من أكابر علمـــاء المسلمين في الهند .

٨٨ – التعليق على نهج البلاغة :

تعليقات قيمة جليلة للعلامة الناثر الناظم الشيخ حيدر قـلي بن نور محمد

---

(١) معارف الرجال ص ٣٦ .

خان الوزير الكابلي المتوفى سنة ١٣٧٢ ، قـــال شيخنا الطهراني : « رأيت التعليقات على (النهج) عنده بخطه في عدة كراريس كتب على ظهرها أنــه شرع فيها يوم السبت الحادي عشر من شوال سنة ١٣٣٩ والمظنون من اعتنائه بهذا التصنيف أنه أتمه ـ قال ـ والأسف ان ابنه لم يكن أهلاً فحمل مكتبته النفيسة الى طهران وباعها بثمن بخس ولا أدري اين انتقلت تلـــك الجواهر العزيزة » ؟

٨٩ – شرح نهج البلاغة :

للسيد محمود الطالقاني في عدّة مجلدات طبع غير واحد منها .

٩٠ – شرح نهج البلاغة :

للسيد علي أظهر الكهجوي الهندي المتوفى سنة ١٣٥٢ وهو ترجمة وشرح لـ (نهج البلاغة) باللغة الاوردية ، كتب الترجمة بين السطور ، وكتب الشرح على الهامش ، والكتاب مطبوع بالهند .

٩١ – شرح النهج :

للمولوي الهندي غلام علي بن إسماعيل البهاونگري الهندي صاحب مجلة (راه نجاة) وله مؤلفات عديدة تقرب من مائة وعشرين مجلداً ، وقد طبع اكثرها منها : (أنوار البيان) و (أمهات المؤمنين) وهذا الشرح باللغـــة الكجراتية وقد طبع جزؤه الاول .

٩٢ – شرح نهج البلاغة :

للحاج علي العلياري التبريزي .

٩٣ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ ملا حبيب الله الكاشاني صاحب التآليف القيمة .

٩٤ – مصباح الأنوار :

للسيد عبد الحسين الحسيني آل كمونة البروجردي ، المتوفى سنة ١٣٣٦ من

العلماء الأفاضل ، وله من المؤلفات أيضاً (شرح الدرّة) للسيد بحر العلوم ومجموعة في القواعد الفقهية توجد مخطوطة منها بمكتبة الحسينية ، الشوشترية في النجف الاشرف ورسالة في أحكام المساجد والمشاهد، و (تفسير آية النور) و (نسب آل كمونة) ، وآل كمونة من أكابر الاسر العلوية في النجف وكمونة محرف كمكه لقب جدهم طراد بن شكر بن أبي جعفر النفيس المنتهي نسبه الى الحسين الاصغر بن الامام علي بن الحسين زين العابدين)[1] .

٩٥ - شرح نهج البلاغة :

للميرزا محمد علي قراجه داغي التبريزي .

٩٦ - شرح النهج :

شرح مع ترجمة (لنهج البلاغة) بالاردوية للسيد ظفر مهدي الكهنوي الهندي طبع بالهند في جزءين .

٩٧ - بلاغ المنهج في شرح النهج :

للعلامة المصلح السيد محمد علي بن الحسين الحسيني الشهير بالشهرستاني رحمه الله وهو مؤلف من عدة مؤلفات حول (النهج) منها (ما هو نهج البلاغة) ؟ وقد ترجم الى الفارسية ، و (مصادر النهج في مدارك النهج) وغير ذلك .

٩٨ - شرح نهج البلاغة :

للعلامة السيد حسن بن السيد محمد بن الحجة السيد ابراهيم اللواساني حفظه الله المولود في النجف الاشرف سنة ١٣٠٨ ونزيل طهران اليوم ، ومن أعيانها الاماجد ، وعلمائها الافاضل ، والظاهر مما ذكر الشيخ في « الذريعة » ج ١٢٣/١٤ ان الشرح لم يتم .

---

(١) أعيان الشيعة : ج ٤٣ ص ١١٧ وموارد الاتحاف: ٦٣/٢ ، والذريعة: ٦ ص ٣٧٧.

والسيد اللوساني كتاب (نقض المفوات) ألفه في تزييف خرافات الجبهان.

٩٩ – شرح نهج البلاغة :

للشيخ حسن علي الحمدي المولود سنة ١٣٤٥ من حفاظ القرآن الكريم في النجف الاشرف مشغول بتكملته وفقه الله لاتمامه .

١٠٠ – شرح نهج البلاغة :

للعلامـــة الشيخ خليل بن أبي طالب الكرئي طبع الجزء الاول منه في المطبعة العلمية بطهران سنة ١٣٦٦ .

١٠١ – شرح نهج البلاغة :

للعلامة الخطيب الاستاذ السيد محمد كاظم بن السيد محمد ابراهيم بن السيد هاشم بن العلامـــة السيد ابراهيم صاحب « الضوابط » الموسوي القزويني ، والشرح المذكور في عدة اجزاء طبع المجلد الاول منه سنة ١٣٧٨ ، والمجلد الثاني في بـيروت سنة ١٣٨٥ ، وطريقته في الشرح ان يذكر الخطبة كلا او بعضاً تحت عنوان (المتن) ثم يفسر مـــا يحتاج الى التفسير لغة تحت عنوان (اللغة) ثم يشرع في شرح الكلام تحت عنوان (المعنى) أعانه الله على إكماله.

تلك مائة شرح وشرح لنهج البلاغة وبذكرها نكتفي مما اردنا عرضه في هذا الباب (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) .

وهناك شروح اخرى لبعض خطب (النهج) ورسائـــله : كالتوحيد والشقشقية ، والقاصعة والوصية وغيرها لبعض الكلمات القصار سنشير إليها في مواضعها من هذا الكتاب والله ولي التوفيق .

القسم الثاني :

من مكتبة « نهج البلاغة »

والآن نوافيك بـ (القسم الثاني من مكتبة نهج البلاغة) فنستعرض المؤلفات حول (النهج) إما بترجمته ، او نظمه ، او في شيء يتعلق بـه كالبحث عن مصادره ، والاستدراك عليه ، او الدفاع عنه ، او التأليف على نسقه .

١ – المعارج :

هذا الكتاب في شرح خطبة (نهج البلاغة) أي مقدمة الشريف الرضي للنهج ، ولكونهـا تشتمل على مطالب مهمة ألف الامـام ابو الحسن سعيد بن هبة الله الشهير بالقطب الراوندي كتاباً في شرحها .

هذا وقد مرّ في ص ٢٠٧ من هذا الجزء ان الراوندي احد شراح (نهج البلاغة) أيضاً .

٢ – العبقة :

رسالة في شرح قول الرضى في مقدمة « النهج » : (إن كلامه عليه‌السلام عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي) للشيخ القاضي محمد بن الحسين بن محمد بن القريب القاساني، قال في «أمل الآمل» ج ٢ : ٢٦٩ فاضل

فقيه كان يكتب « نهج البلاغة » من حفظه [1] وله «الرسالة المبقة» .. الخ .

٣ ـ **تحفة العابدين :**

من مؤلفات العلامة السيد مهدي بن السيد صالح الحسني الطباطبائي الحكيم المتوفى عام ١٣١٢ والد الامام السيد محسن الحكيم نوّر الله ضريحه .

ذكره السيد الامين رحمه الله في (أعيان الشيعة) ج ٤٨ ص ١٤٧ ، قال : « جزء صغير في المواعظ مع اقتباسات من (نهج البلاغة) مطبوع » .

٤ ـ **منتخبات من نهج البلاغة :**

للعلامة الحجة السيد محمد علي بن السيد محمد بن هداية الله الحسيني الشاه عبد العظيمي نسبة الى بلدة السيد عبد العظيم الحسني لأنه بدأ دراسته هناك ثم هاجر الى النجف وكان عالماً عابداً زاهداً ، له اليد الطولى في معرفة أخبار

---

(١) اهتم جماعة من حملة العلم والحديث ورجال الفضل والادب بحفظ « نهج البلاغة » منذ صدوره الى اليوم (منهم) جمال الدين المذكور في المتن ، و (منهم) العلامة السيد حسين اليماني المكي الحائري المتوفى سنة ١٢٨٠ و (منهم) الشيخ محمد حسين مروة ، وقد حكى السيد الصدر ان هذا الأخير كان يحفظ تمام « القاموس » للفيروز آبادي وشرح ابن ابي الحديد ، وهذا الطراز من اقوياء الحافظة يوجد بكثرة قديماً وحديثاً ، فقد روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ٢ : ٣٥٧ في ترجمة ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب (انه املا من حفظه ثلاثين الف ورقة لغة ، وجميع كتبه التي في ايدي الناس املاها بغير تصنيف) وامثاله كثير .

ومن حفاظ (نهج البلاغة) المتأخرين الخطيب المرحوم السيد صالح الحلي كان يحفظ القرآن و (نهج البلاغة) كما حدث عنه الاستاذ جعفر الخليلي في (هكذا عرفتهم ص ١٠٨) و(منهم) الاستاذ معن العجلي كما حدثني هو سنة ١٣٥٩ هـ قال : احفظ (نهج البلاغة) ما عدا (القاصعة) و (الوصية) و (عهد مالك) ، ويخطر ببالي اني سمعت من بعضهم ان المرحوم الشيخ حسن جلو الخطيب المشهور كان يحفظ (نهج البلاغة) وفي خطباء المنابر الحسينية قديماً وحديثاً من يحفظ اكثر محتويات (النهج) وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

العامة والخاصة ، عمد الى النهج وانتخب منه جملة مشتملة على المواعظ وعلق عليها وطبعت في حياته في النجف الاشرف .

توفي رحمه الله في شهر رمضان سنة ١٣٣٤ بالهندية وحمل الى النجف الاشرف ودفن في الايوان الذهبي .

٥ — نظم نهج البلاغة :

لبعض الادباء بالفارسية ، ذكر ذلـك الشيخ في « الذريعة » ١٤ ، ١١٧ عن الشيخ احمد الواعظي انه رأى مخطوطة منه في إحدى المكتبات ببمبيء.

٦ — نظم نهج البلاغة :

للشيخ محمد علي بن محمد حسين الانصاري القمي في عشر مجلدات وطريقته أن يذكر الخطبة اولا ثم يترجمهـــا بالفارسية ثم ينظمها شعراً خرج مجلده الاول من الطبع سنة ١٣٦٧ .

٧ — نيرنك فصاحت :

نيرنك كلمة فارسية معناها — كما عرب لي — لون جديد وهـذا الكتاب ترجمة لـ (نهج البلاغة) باللغة الاوردية مع شرح له للسيد ذاكر حسين أختر الدهلوي ذكره الشيخ رحمه الله في موضعين من (الذريعة) (الاول) في الجزء الرابع عشر ص ١٢٦ و (الثاني) في حرف النون من القسم المخطوط .

٨ — مواعظ أهل الاسلام :

كتاب جمع فيه المرحوم السيد حسين الشهير بعرب باغي منتخبـات من خطب (نهج البلاغة) لتلقى في صلاة الجمعة ، وقد طبع في حياته بصورة مغلوطة ، ترجمهـــا العلامة السيد إبراهيم بن السيد محمد حسين البروجردي بالفارسية وشرحها ليعم نفعها بالتماس من الحاج مختار المعيني ، وطبعت الترجمة مع الخطب في سنة ١٣٦٠هـ .

٩ ـ كشف الستارة عن نهج البلاغة :

للشيخ أحمد الكاشاني، وهو في ترتيب ألفاظ (النهج) ، وتعيين مواضعها ليتوصل المطالع لما يريده فيه بأسرع ما يكون ، ذكر خصوصياته ابن يوسف في كتابه (نهج البلاغة چيست) ص ٣٦ وذكر أنه رأى نسخة خط المؤلف عنده في سنة ١٣٥٦ وقد وصل إلى حرف العين .

قال شيخنا في (الذريعة) ج ١٤ ص ١١٤ : ولا أدرى أنه وفق لاتمامه بعد التاريخ أم لا ؟ .

١٠ ـ سخنان علي :

للمرحوم الاستاذ جـــواد فاضل من ادباء إيران المعروفين ولد بآمل (مازندران) وتلمذ أول على الشيخ محمد الآشتياني ، ثم على جملة من الأساتذة له مؤلفات منتشرة منها هذا الكتاب (سخنان علي) ومعني ذلك (مقالات علي) ، وهو ترجمة لـ (نهج البلاغة) مع تفسير لبعض عبـاراته ، وطار صيته بايران بعد طبع هذا الكتاب وانتشاره ، وله أيضاً « فرمان مبارك » وهو شرح لعهد أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى مالك الاشتر رحمه الله وسنشير إليه في محله إن شاء الله .

١١ ـ ترجمة نهج البلاغة :

للسيد علي نقي الشهير بفيض الاسلام نقله الى الفارسية في ستة مجلدات ، طبعت في إيران بأجود خط ، وعلى أحسن ورق .

١٢ ـ منتخب نهج البلاغة :

للشيخ محمد بن محمد تقي المشهدي ، قال في (الذريعـــة) (في القسم المخطوط) : « ألفه سنة ١١٧٢ أوله : ما أعظم ما نرى اللهم من خلقك ، وأصغر عظيمه في جنب ما غاب عنا » .

١٣ – حل لغات نهج البلاغة :

للمولوي إعجاز حسين بن جعفر حسن البدايوني الهندي اقتصر فيه على تفسير ألفاظ (نهج البلاغة) .

١٤ – طرائف الحكمة :

وهو منتخب من « نهج البلاغة » للعلامة السيد محمد تقي الحسيني القزويني، أحد شراح (نهج البلاغة) كما مر في هذا الجزء .

١٥ – دراسات في نهج البلاغة :

للعلامة الاستاذ الشيخ محمد مهدي شمس الدين العاملي وهو دراسة لآراء الإمام عليه السلام في المجتمع وطبقاته وكيفية إصلاحه وقد طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٧٦ ، وعده الشيخ في (الذريعة) من شروح عهد مالك . والحقيقة إنه استعراض لجميع مضامين (النهج) وهو من الكتب المهمة التي يجب أن تقرأ .

١٦ – ماهو نهج البلاغة ؟

للسيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله ، وقد أشرنا اليه في مقدمة الكتاب مع الإعتراف بالتقصير عن توفيته حقه . وقد طبع غير مرة وترجم الى اللغة الفارسية كما سيأتي .

١٧ – مصادر نهج البلاغة في مدارك نهج البلاغة :

كتاب مخطوط للسيد الشهرستاني أيضاً ذكره في الجزء الخامس من « الدلائل والمسائل » .

١٨ – أدب الامام علي ونهج البلاغة :

للاستاذ الكبير حسين بستانة نوهنا عنه في مستهل الكتاب وقد رتبه على العناوين التالية :

ما الذي مكن لعلي أن يكون أديباً متفوقاً ؟

ما أثر عنه مما انتجته عبقريته .

قيمة أدب الإمام .

التعريف بنهج البلاغة .

الأوهام الحائمة حوله .

نشرته مجلة الإعتـدال النجفية في عددها الرابع من السنة الخامسة (ذو الحجة ٣٥٧ ـ شباط ٩٣٩) .

١٩ – استناد نهج البلاغة :

للاستاذ إمتياز علي عرشي وقد ألمنا بذكره في مطلع هذا الـكتاب . وهو كتاب كثير الفوائد على قلة أوراقه .

٢٠ – نهج البلاغة چيست :

چيست كلمة فارسية معناها ما هو ، وهذا الكتاب هو ترجمة لـكتاب السيد الشهرستاني (ما هو نهج البلاغة) مع إضافات مهمة ، والـكتاب لضياء الدين بن يوسف الشيرازي وقد طبع بإيران مرتين ، ذكره شيخنـا الطهراني في « الذريعة » قسم المخطوط ، كما تعرض لذكره الشيخ الاميني في الغدير انظر الجزء الرابع ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ ولم اتطلب هذا الـكتاب على انتشاره لأني لا أفهم الفارسية وليس في (القرية) من يترجم لي ذلك .

٢١ – ترجمة نهج البلاغة :

باللغة الكراچية للحاج غلام إسماعيل البهاونكري المعـاصر ، ذكره في الذريعة أيضاً في القسم المخطوط .

٢٢ ـ الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة :

وضعه العلامة السيد جواد المصطفوي الخراساني على غـرار الفهارس الموضوعة للكتاب المجيد ، يرشد القارىء إلى أي لفظ من ألفاظ (نهج البلاغة)

في أي متن أو أي شرح ، على إختلاف الطبعات، وتعدد الشروح ، وقدم له بمقدمة يستطيع المراجع ـ بعد الإلمام بها ـ أن يستخرج غرضه من (النهج) في عدة ثواني .

ولا يقدر ما بذل المؤلف من جهود ، وكم أمضى من أوقات في جمعه وترتيبه إلا المعنيون بوضع الفهارس ممن يجدون في مثل هذه الأتعاب راحة في الضمير يستقلون معها إرهاق الأعصاب ، وإجهاد البصر .

وكان لي هذا الكتاب خـــير معين في وضع كتابي هذا إذ لولاه لمـا كان بوسعي أن اخرج كتابي إلا باضعاف الزمن الذي أخرجته فيه .

٢٣ – مدارك نهج البلاغة :

للشيخ الإمام الهادي من آل كاشف الغطاء رحمه الله ، وكان من المعنيين في (نهج البلاغة) وهو أول من جرد قلمه للتأليف في الدفاع عن (نهج البلاغة) وفي هذا الكتاب فند المزاعم والأوهام التي حامت من حوله ببراهين قاطعة ، وحجج دامغة ، ثم حقق عن بعض مصادر (النهج) وقد مرت الإشارة اليه في مقدمة هذا الكتاب ، وطبع مرتين ملحقاً بكتاب (مستدرك نهج البلاغة) للهادي أيضاً كما سندرجه تحت عنوان (المستدركات على نهج البلاغة) .

٢٤ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده :

هو هذا الكتاب الذي بين يديك ، وأعوذ بالله من هفوات اللسان ، كما أعوذ به من سهوات الجنان ، وأستجير به من زلة القلم كما أستجير به من زلة القدم ، ولا قوة إلا بالله .

٢٥ ـ مائة كلمة من نهج البلاغة :

اختارها الأديب الكبير ، الصحافي الشهير الأستاذ أمين نخلة من أفاضل المسيحيين برجاء من الشيخ توفيق البلاغي ، واقتبس لها شرحاً من تعليقة الشيخ الامام محمد عبده على (النهج) وقد قال في مقدمتها « سألتني أن انتقي مائة

كلمة من كلام أبلغ العرب (أبي الحسن) تخرجها في كتاب ، وليس بين يدي الآن من كتب الأدب التي يرجع إليها في مثل هذا الغرض الا طائفة قليلة منها انجيل البلاغة (النهج) فرحت أسرح إصبعي فيه ، ووالله لا أعرف كيف اصطفي لك المائة من مئات ، بل الكلمة من كلمات إلا إذا سلخت الياقوتة عن اختها ، ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت ، وعيني تغوص في اللمعان ، فما حسبتني أخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ما تحيرت في التخير ، فخذ هذه المائة وتذكر أنها لمحات من نُور ، وزهرات من نَور ففي (نهج البلاغة) من نعم الله على العربية وأهلها أكثر بكثير من مائة كلمة .

قال لي مرة الاستاذ العظيم أمين الريحاني في حديث لنا عن ترجمة (أبي العلاء) إلى الانكليزية ، أما (الامام) فسيبهر الجماعة يريد (الانكليز) اذا ترجم لهم ، فقلت ولكنني أخاف الترجمة فستخلع عن معاني صاحبنا هذا الوشي العربي ولا ريب .

فإذا كان ذلك مما يقال في ترجمة الامام إلى لغات الأجنبين والريحاني هو المتصدي للترجمة - فكيف يقال في مائة كلمة تنزع عن اخواتها ، وتقلب عن مواضعها ، والكلام جماله في سياقه وفي موقعه ؟ .

فإذا شاء أحد أن يشفى صبابة نفسه من كلام الامام فليقبل عليه في (النهج) من الدفة الى الدفة ، وليتعلم المشي على ضوء البلاغة » [1] .

ولان أحسن ناشر تلك الكلمات صنعاً بنشرها ، فقد أساء الصنيع بنشره الصورة التي تخيلها الاستاذ جبران خليل جبران للامام عليه السلام ، فكما أن قلم أكبر كاتب يعجز - مهما كان بارعاً - أن يعطينا صورة صادقة عن شخصية الامام ، كذلك لا تستطيع ريشة أي فنان - مهما كان ماهراً - أن تعطينا صورة صحيحة للإمام .

---

(١) ص ٥ من المائة كلمة لأمين بك نخلة .

وإذا كان بين النـــاس من يجد بعض العذر للاستاذ جبران بتصويرها ، فليس فيهم من يعذرنا على نشرها ، إذ أن نظرة جبران الى الامام تختلف عن نظرتنا إليه .

٢٦ ـ الاراء الاجتماعية في نهج البلاغة :

للاستاذ عبد الوهاب حمود من كبار أساتذة الأدب العربي في مصر ، وهو مقال بديع جداً حول « نهج البلاغة » نشرته مجـلة (رسالة الاسلام) التي تصدر عن (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة) في العدد الثالث من السنة الثالثة من ص ٢٥٢ الى ٢٥٧ شرح فيه ما اجتمع لعلي عليه السلام من آيات الحكمة السامية ، وقواعـد السياسة المستقيمة ، وما وجد في خطبه ووصاياه من كل موعظة باهرة ، وحجة بالغة وآراء اجتماعية ، وأسس حربية وما استشعره منها من شجاعة من غير بغي ، وقوة من غير قسوة ، وصلابة في إقامة الحق ، وترفع عن المداجاة والمواربة ، وخبرة تامة بأحوال المجتمع.

والكلمة بمجموعها العام استعراض لحالات عديدة ، وجوانب متفرقة من حياة المجتمع الذي عاش الامام في وسطه ، ووصف رائع لسيرة الامام فيـه بالرأفة والرحمة ، والعدل والاحسان من غير أن تلين قناته في طلب الحق ، أو تأخذه فيه هوادة .

ثم لا ينسى الكاتب أن يكشف عن الاسس التي وضعها الإمام في (نهج البلاغة) التي يعتبرها العـــالم اليوم من مقومات العدل الاجتماعي ، وقواعد المدنية الحديثة .

٢٧ ـ مع الامام علي من خلال نهج البلاغة :

للاستاذ خليـــل هنداوي ، نشرته دار الآداب ـ بيروت ، حاول فيه المؤلف أن يكتب سيرة الإمام بانصاف وتجـرد ـ كما يقـول ـ ويظهر بعض الجوانب من شخصيته من غير أن يأخذ ذلك من أفواه الناس ، أو يرجع الى

كتب السير ، وماتهاداه رواة الاخبار ، بل رجع إلى ما ثبتت نسبته إليه من أقواله في مختلف المناسبات لأنه لم يجد «قولاً أصيلاً يدل على صاحبه ويرنو اليه كقول علي في خطبه ورسائله ، فهو ترجمة صادقة واعية لحياة هذا الإنسان الكبير ... في حياته ، الكبير في موته ، الكبير في عبقريته ، تغنيك عن كثير من التراجم ، وتعفيك من آفات الروايات .

وبحسبك من الانسان أثره الذي ينطق عنه » [1] .

وقد وفق في جوانب من كتابه كل التوفيق ، كما أخفق في مواطن كل الاخفاق ، وليس في هذا الموضع مجال لتوفية القول في هذا الكتاب .

٢٨ - شبهات حول نهج البلاغة :

سلسلة من المقالات نشرت في أعداد مجلة (النجف) الغراء استلها الاستاذ الخطيب الالمعي السيد عدنان البكاء من كتاب يعده للنشر حاول أن يثبت فيه أن (نهج البلاغة) تراث قيم من تراث الحضارة الانسانية، لا تستأثر به طائفة دون أخرى ، ولا يختص به أهل دين دون آخر ، ولا يختص به أهل مذهب دون غيرهم من أهل المذاهب ، ثم بيان مكانة هذا الكتاب من الناحية الأدبية وكيف ظلّ نبعاً لكتاب اللغة العربية قديماً وحديثاً ينتهلون من لغته ويقتبسون من معانيه ما يقوم لهم فنّهم وينمي من حصيلتهم في اللغة والأدب والفكر ، ثم الاشـــارة إلى أن كثيراً من القواعد التي بنيت عليها فيما بعد (الفلسفة الاسلامية) و (علم الأخلاق الإسلامي) وبعض القواعد التشريعية والأنظمة الاسلامية في الحكم والإدارة والقضاء مأخوذة منه ، ثم لم ينس أن يشير إلى أن (نهج البلاغة) ألقى ضوءاً على الأحداث والوقائع التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ وكيف وصفها وصفاً دقيقاً لم يبق معه غموض ولا إلتباس .

---

(١) انظر ص ١٠ من الكتاب المذكور .

ثم أورد بعد ذلك الشبهات التي حامت حوله وبددها بأسلوب واضح ورد مقنع لا يبقى معه للشك مقيل ، ولا للوهم أثر ، وفقه الله لاتمامه ونشره .

٢٩ — هكذا تحدث أبو تراب :

سلسلة من الأبحاث في ظلال (نهج البلاغة) ظهرت منها الحلقة الاولى للأخ محمد حسن عليوى (أخي لامي) حاول فيما كتب أن يأخذ ما تحدث به أبو تراب صلوات الله عليه فيسلط منه أنواراً كشّافة على واقعنا الذي نحيا فيه ليتضح ما أخذنا من منهاجه ، وما تركناه منه ، وتعرض للمنهاج التربوي في الإسلام ولمح لبعض الخرافات السائدة في المجتمع الاسلامي اليوم مما يظن أنها من العقيدة الاسلامية وهي دخيلة عليها ، كل ذلك على ضوء أحاديث أبي تراب في نهجه ، وقد حُذِفتْ بعض فصوله ، وهو جاد في إخراج بقية الحلقات من هذه السلسلة أدعو الله سبحانه بأن يحالفه التوفيق لبلوغ هذه الامنية .

٣٠ — الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة :

بحث قيم ممتع باشر في نشره هذه الايام السيد محمد جعفر الحكيم على صفحات مجلة النجف الغراء .

٣١ — الأمثال في نهج البلاغة :

موضوع قيم جداً للعلامة الاستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي ذكر فيه الامثال التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام نشره قطعاً في مجلة (رسالة الاسلام) التي تصدرها كلية اصول الدين ببغداد وليس بوسعي الآن أن اوفيه حقه لان الكتاب ماثل للطبع ، والمجلة لا تحضرني وعسى أن اوفق لعرض بعضه في مواضعه من الكتاب إن شاء الله .

٣٢ — التفسير في نهج البلاغة :

كلمة مهمة للاستاذ الكبير قاصد الزيدي نشرت في مجلة (رسالة الاسلام) التي تصدر عن كلية اصول الدين ببغداد العدد ٣ و ٤ من السنة الخامسة

أوضح فيها أنّ مصدراً من مصادر التفسير القرآني – وان لم يكن التفسير والتأويل ، ومعنى التأويل والتفسير في خطب الامام وكلماته وإنّ في (النهج) مسائل تخص التفسير وتهم المعنيين به ... الخ .

٣٣ – روائع (نهج البلاغة) :

اختارها ورتبها ، وقدم بدراسة واسعة لها الكاتب البليغ الاستاذ جورج جرداق صاحب كتاب (صوت العدالة الانسانية) وقال عنها : سوف نسوق في هذا الكتاب روائع ستبقى ما بقي الانسان الخير ، وإنها لطائفة تؤلف نهجاً في الأخلاق الكريمة ، والأحلام العظيمة ، والتهذيب الانساني الرفيع الذي اراده انبثاقاً عن ثورة الحياة ، وخير الوجود ... الخ .

المستدركات

على نهج البلاغـــة

واستدرك جماعة من العلماء على الرضي ما فاته ذكره في « نهج البلاغة » من كلام أمير المؤمنين عليه السلام والذي شجعهم على ذلك ، وشحذ من هممهم هو الرضي نفسه ، فانه قال في خطبة الكتاب : « ولا أدعي اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ منه شاذ ، ولا يند منه ناد ، بل لا أبعد أن يـكون القاصر عني فوق الواقع الي ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي »[1] لذلك سلكوا على نهجه ، ونسجوا على منواله ، وألفوا على غراره ، امثال :

١ ـ عبد الله بن اسماعيل بن أحمد الحلبي سماه « التذييل » ذكره ابن ابي الحديد[2].

٢ ـ أحمد بن يحى بن أحمد بن ناقة جمع في كتابه « ملحق نهج البلاغة » بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام التي لم تذكر في « نهج البلاغة » مثل خطبة

---

(١) نهج البلاغة ١ / ٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة المجلد الرابع ٢٨٦ ط الحلبي .

البيان المنسوبة لأمير البيـــان ، ومثل الخطبة الموسومة بالدرة اليتيمة وهي الخالية من الالف وألحقها في بعض نسخ « النهج » [1] .

وبالمناسبة نذكر أن الخطبة المجردة من الألف تسمى (المونقة) ويسميها بعضهم (الدر اليتيمة) وهي من مشاهير خطب أمير المؤمنين عليه‌السلام رواها جماعة من علماء الفريقين ، ولـكن مما يؤسف له أن الاستـاذ محمد أبو الفضل إبراهيم لما أشرف على طبع شرح ابن أبي الحديد وضع عنواناً لهذه الخطبة بهذا اللفظ (خطبة منسوبة للامام علي خالية من حرف الألف) ج ١٩ : ١٤٠ وهو وإن ذكر في مقدمة تلك الطبعة أنه وضع العناوين للفصل بين موضوعات الكتاب لتتضح معالمه وتسهل الاحاطة به ولكن العنوان بهذه الصورة يوجب الريب بالنسبة ، ويوهم أنها من وضع الشارح إذ ليس أكثر القراء يتصفحون المقدمات ، مع أن ما يظهر من رواية ابن أبي الحـديد لهـا أنه واثق بصحتها ولم يتصنع عليه‌السلام إنشاءها ولكنه قضية في واقعـة — على ما ذكره الرواة — وهو أن جماعة من الصحابة تذاكروا أي حروف الهجاء ادخل في الكلام ؟ فأجمعوا على الألف فارتجل عليه‌السلام تلك الخطبة ولا يستكثر على سيد الفصحاء، وإمام البلغاء أن يأتي بمثلها . فهذا واصل بن عطاء اسقط الراء من كلامه ، وأخرجها من حروف منطقه ، ولا يظهر على كلامه شيء من التكلف حتى قال فيه بشار بن برد :

تـكلف القول والأقوام قد هجروا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقـــام مرتجلاً تغلي بداهتــه ... كمرجل القين لمـــا حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحـــد ... قبل التصحف والاغراق في الطلب

---

(١) الذريعة : ٧ ص ١٩٩ وقال الشيخ : كتابتها سنة ٧٢٩ ، ثم قال : وأنا مع الفحص لم أظفر بترجمة لابن ناقه هذا .

ويروى أن الصاحب بن عباد قال قصيدة في مدح أهل البيت عليهم السلام في سبعين بيتاً معراة من الألف وأولها :

قد ظل يجرى بصدري   من ليس يعدوه ذكرى

فأعجب بها الناس ، وتداولتها الرواة فاستمر الصاحب على تلك الطريقة وعمل قصائد كل واحدة منها خالية من واحد من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون خالية من الواو فانبرى صهره أبو الحسين وقال قصيدة ليست بها واو مدح الصاحب بها ومطلعها :

برق ذكرت به الحبائب   لما بدا فالدمع ساكب

ونظم السيد أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا الحسني قصيدة في تسعة وأربعين بيتاً ليس فيها راء ولا كاف يمدح بها أبا الحسين محمد بن أحمد بن يحيى ابن أبي البغل ، ولم تظهر عليها الصنعة ، وليس فيها أى أثر للتكلف ، بل إن الانسان اذا قرأها من غير تنبيه لا يشعر بخلوها من الحرفين المذكورين واولها :

ياسيداً دانت له السادات   وتتابعت في فعله الحسنات
وتواصلت نعماؤه عندي فلي   منه هبات خلفهن هبات
نعم ثنت عني الزمان وغدره   من بعد ماهيبت له غدرات
فأدلت من زمن منيت بغشمه   أيام للأيام بي سطوات
فلبثت أيامي لدى حياته   ولحاسدي نعمى يديه ممات

ولمحمد بن محمد بن علي بن طالب بن أبي الغنائم الحنبلي المعروف بابن الباطوخ خطب على الحروف كلّ خطبة ناقصة عن حرف مختومة بخطبة ليس فيها نقطة ، ذكر ذلك الصفدي في (الوافي بالوفيات) : ج ١ ص ١٧١ .

وللسيد أبي القاسم الموسوي الخونساري العالم المعروف منظومة خالية من الألف مطبوعة ضمن (مباني الاصول) .

وللحر العاملي قصيدة خالية من الألف في ثمانين بيتاً مدح بها الائمة سلام الله عليهم، ذكر ذلك شيخنا الأميني رحمه الله في (الغدير) ج١١ ص٣٣٦ .

٣ ــ السيد خلف بن عبد المطلب المشعشعي الحويزي المتوفى عام (١٠٧٤) وكان كما في (أمل الآمل) ، و (روضات الجنات) ص ٢٦٥ عالماً فاضلاً ، ومتكلماً كاملاً ، وأديباً ماهراً ولبيباً عارفاً ، وشاعراً مجيداً ، ومحدثاً مفيداً محققاً جليل المنزلة والمقدار [١] له تآليف قيمة منها (النهج القويم) في كلام أمير المؤمنين جمع فيه ما لم يجمعه الرضي في (نهج البلاغة) [٢] .

٤ ــ الإمام الهادي من آل كاشف الغطاء قدس سره له كتاب « مستدرك نهج البلاغة) طبع غير مرة ، قال في مقدمته : « وقد كنت فيما سلف من غابر الايام عازماً على جمع ماتيسر لي مما لم يروه السيد في نهجه من المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أطمعني في ذلك وشجعني عليه قول السيد الشريف في خطبة النهج : ولا أدعي مع ذلك أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام ، وقول بعض العلماء ان كلامه عليه السلام كثير حوى كتاب (نهج البلاغة) نبذة شافية منه ولكنها بالنسبة إلى كلامه عليه السلام وخطبه اقل من سدس » ثم قال رحمه الله اخيراً : « ولا ادعي الاحاطة بجميع ما لم يذكره السيد الشريف من كلامه عليه السلام بل لعل الاقرب انّ ما فاتنا منه أضعاف ما وقفنا عليه فانّ مظانه ومصادره جمة كثيرة لا يمكن الاحاطة بها إلا بعد زمان طويل » [٣] وقد تقدم ان للشيخ الهادي رضوان الله عليه كتاب (مدارك نهج البلاغة) .

٥ ــ العلامة المتتبع الشيخ محمد باقر بن عبد الله المحمودي ــ نزيل كربلاء

---

(١) الغدير ١١ / ٣١٥ .

(٢) الذريعة قسم المخطوط حرف النون .

(٣) مقدمة مستدرك النهج .

اليوم ـ الف كتاب « نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة » وهو موسوعة ضخمة تبلغ ثماني مجلدات ، وهي في شكلها التأليفي على هذه الصورة :

المجلد الأول والثاني في خطبه عليه السلام وطوال كلماته مع ذكر مصادرها ، وغريب لغاتها .

المجلد الثالث في كتبه ورسائله .

المجلد الرابع والخامس في وصاياه مع شروح وافية على نقاطه الهامة ، وقد طبع المجلد الرابع في هذه الأيام .

المجلد السادس في ادعيته ومناجاته يشتمل على ١٠٥ من أدعيته عليه السلام ، وهو في طريقه الى الصدور .

المجلد السابع والثامن في حكمه وقصار كلامه وقد ذكر مايزيد على خمسة آلاف كلمة فريدة .

هذا ما اطلعنا عليه المؤلف سلمه الله .

وسبق أن رأينا ذكر هذا الكتاب في « ذريعة » الرازي في حرف النون (غير المطبوع) .

على غرار نهج البلاغة

وأود في ختام الحديث عن (مكتبة نهج البلاغة) أن استعرض طائفة من الكتاب والمؤلفين الذين اقتدوا بالشريف فترسموا خطاه واتبعوا طريقته أمثال :

١ ـ أمين الواعظين أسد الله بن ابي القاسم التستري الأنصاري فقد جمع

من مواعظ رسول الله ﷺ وخطبه وكتبه وحكمه سماه (نهج الفصاحة) .

٢ ـ كما ألف بعض المعاصرين في النجف الاشرف كتاباً سماه (نهج الفصاحة) ايضاً ، جمع فيه خطب النبي ﷺ وكتبه ، وجوامع كلمه ، وشرحه شرحاً وافياً ، ذكر هذا والذي قبله شيخنا الرازي رحمه الله في حرف النون من القسم المخطوط من (الذريعة) غير انه لم يسم المؤلف الأخير .

٣ ـ وللامام المحقق الشيخ راضي آل ياسين طاب ثراه كتاب سماه (أوج البلاغة) جمع فيه ما أثر عن الإمامين الحسنين عليهما السلام من خطب وكتب ، وكلمات قصار على طراز (نهج البلاغة) ذكره هو رحمه الله في كتابه الثمين (صلح الحسن) ص ١٩٧ ط اولى .

٤ ـ وألف الأستاذ الشيخ عبد الرضا الصافي كتاب (بلاغة الامام الحسن) على نسق (نهج البلاغة) وهو ماثل للطبع كما اخبرني الأخ الفاضل السيد راضي الحائري .

٥ ـ وجمع العلامة الجليل السيد مصطفى آل اعتماد كتاباً ضمنه خطب الحسين عليه السلام ورسائله وكلمه سماه (بلاغة الحسين) طبع عدة مرات ، وترجم إلى بعض اللغات .

٦ ـ وللاستاذ الفاضل الشيخ عباس الحائرى كتاب (بلاغة علي بن الحسين) جمع فيه خطب الامام زين العابدين عليه السلام وكلمه وكتبه وحكمه ، وجعله أبواباً كأبواب (نهج البلاغة) وقد طبع مرتين وقرضه الامام شرف الدين رحمه الله بكلمة منها .

(ولعمرى ان مؤلفكم هذا لنعمة أسد يتموها الى الامتين الاسلامية بجميع أجناسها ، والعربية من سائر أديانها فحق عليهما أن تنشرا رباط الحمد على ما أسديتم ، وتخلعا حلل الثناء على ما أوليتم) .

٧ ـ وألف الشيخ عبد الرسول الواعظي (نهج بلاغة الامام الصادق) وهو أثر قيم يحتوي على خطب الامام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه على نسق (نهج البلاغة) وقد قدم له الامام الشهرستاني مقدمة تنبيء على وجازتها عن قيمة المؤلف وفضل المؤلف .

وبعـد : أرأيت أيادي الشريف الرضي وفضله ، وما جرى من الخير بسببه ؟ (والدال على الخـير كفاعله) و (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .

الشريف الرضي

والآن وقد مر بنا ما فيه قناعة كافية، واطمئنان تام بصحة نسبة ماروى في (النهج) عن أمير المؤمنين عليه السلام وأنه من جمع الرضي لابد من تعطير الكتاب بموجز من ذكره الشريف .

فهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي أمير المؤمنين سلام الله عليهم اجمعين .

وأمه فاطمة بنت الحسين الناصر الاصم صاحب الديلم بن علي بن الحسين ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ولد الرضي في سنة (٣٥٩) واشتغل بالعلم والأدب ، ففاق اقرانه في الفقه والعلم ، وبذ أهل زمانه بالأدب والشعر ، وصنف في علوم القرآن فكشف في مؤلفاته بعض غوامضه ، وأظهر شيئاً من مزاياه وعجائبه بما لم يسبق إلى مثله ، ونظرة واحدة إلى ما أبقته يد الزمن من تفسيره الكبير (حقائق التأويل) تعطيك صورة واضحة من غزارة علمه ، ومعين فضله .

وصنف في الحديث كتاب (المجازات النبوية) وهو يشتمل على بيان وجوه المجاز والاستعارة والكشف عن مواقع النكت البلاغية ، والطرف

البيانية في (٣٦١) حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ (جلى فيها عرائسها واستخرج نفائسها) .

أما في الشعر فهو أشعر قريش[١] وقريش أشعر العرب[٢] فهو بهذا أشعر العرب قاطبة ، ولقد امتاز شعر الشريف في العفة اللفظية فلا ترى في شعره على كثرته ما تراه في غيره من شعرمعاصريه من اللفظ الفاحش،والكلمة النابية والهجاء المقذع ، كما أنه لم يتزلف به الى الخلفاء ، ويتملق فيه عند الملوك ، فقد بلغ في التعفف النهاية ، لم يقبل من أحد صلة ولا جائرة حتى قيل انه رد صلات أبيه ، وحتى أن ملوك بني بويه جهدوا أن يقبل منهم صلة فلم يقبل . وشعره فوق ذلك مليء بالحكمة ، طافح بالأمثال .

يقول الدكتور زكي مبارك : إنّ الشريف الرضي لقى في دنيا الأدب أعنف ضروب العقوق ولو كان ديوان الشريف الرضي في لغة الفرنسيس أو الانجليز أو الألمان لصنعت في شعره مئات المؤلفات ، وأقيمت له عشرات التماثيل[٣] ، ومع هذا فقد وصف الرضي بأنه كان كاتباً بليغاً مترسلاً وقد جمع أبو اسحق الصابي[٤] كتاباً من رسائله[٥] .

لقد كانت البلاغة هي السمة التي غلبت على الشريف الرضي حين نثر وحين

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٦ .

(٢) تأسيس الشيعة ٢١٣ .

(٣) عبقرية الشريف الرضي ١ / ١٩ .

(٤) هو ابراهيم بن هلال الحراني الاديب المنشىء المعروف صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع (كان يعد في عداد ابن العميد ، تقلد ديوان الرسائل سنة (٣٤٩) وتوفي ببغداد سنة ٣٨٠ أو ٣٨٤ ورثاه الشريف الرضي بقصيدته المشهورة :

أرأيت من حملوا على الاعواد ؟   أرأيت كيف خبا ضياء النادي ... الخ

وعوتب الرضي في ذلك قال : انما رثيت فضله .

(٥) فهرست ابن النديم ص ٢٠٠ .

شعر والحق أنه وقف أمامه ثلاثة مصادر لتدفق البلاغة العربية ، فعكف عليها ، ونهل من مواردها ، واستخرج ما فيها من كنوز بلاغية ، فجلاها أمام أهل العربية في آنق أثوابها ، وأقشب ابرادها وأجمل معارضها .

وهذه المصادر الأصيلة للبيان العربي هي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وكلام الإمام علي .

وكانت مهمة الشريف في القرآن والحديث هي الكشف عما فيهما من وجوه البيان ، وضروب البلاغة ، وجهات الفصاحة ، حتى تحقق للقرآن الكريم الإعجاز مع أن ألفاظه لم تخرج عما كان العرب يستعملونه من ألفاظ ، ومايدور في لغتهم من كلمات ، وحتى تحقق للحديث النبوي ذلك المقـــام البلاغي ، والإعجاز البياني ، الذي لا يدانيه مقـام ، ولا يقاربه منزل ، لأن صاحبه ﷺ (اوتي الحكمة وجوامع الكلم) .

أما مهمة الشريف الرضي في كلام الامام علي كرم الله وجهه فكانت تأليف كتاب يحتوي على مختار أقواله (في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ، ومواعظ وآداب ...) ولقد انتج لنا اهتمام الرضي بهذه المصادر البلاغة ثلاثة كتب من خير ما صنف في البيان العربي [١] .

توفى الشريف الرضي رحمه الله يوم الأحد السادس من المحرم سنة (٤٠٦)[٢] ولما توفى حضر إلى داره الوزير فخر الملك وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاة ومشاة وصلى عليه فخر الملك ودفن بداره في محلة الكرخ بخط مسجد الانباريين ولم يشهد جنازته اخوه الشريف المرتضى ولم يصل عليه ، ومضى من جزعه عليه الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع أن

---

(١) مقدمة الاستاذ محمد عبد الغني حسن لكتاب (تلخيص البيان) ص ٩٤ .

(٢) الغدير ٤ / ٢١٠ .

ينظر الى تابوته ودفنه، ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف الكاظمي وألزمه بالعود إلى داره .

ورثاه غير واحد من الشعراء وفي مقدمتهم أخوه المرتضى بالأبيات المشهورة التي من جملتها :

يالرجال لفجعة جذمت يدي ... ووددت لو ذهبت عليَّ براسي
مازلت أحذر وردها حتى أتت ... فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت ... لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر ... ولربَّ عمر طال بالارجاس[1]

ورثاه تلميذه مهيار الديلمي [2] بقصيدة منها :

من جب غارب هاشم وسنامها ... ولوى لوياً فاستزل مقامها ؟
وغــــزا قريشاً بالبطاح فلفها ... بيــــد وقوَّض عزها وخيامها

● ● ●

كلح الصباح بموته عن ليـلة ... نفضت على وجه الصباح ظلامها
بالفارس العلوي شق غبـارها ... والناطق العربي شق كلامها
سلب العشيرة يومه مصباحها ... مصلاحهـا عمـــالها علامهـا
برهــان حجتهـا التي بهرت به ... اعداءهـا وتقدمت اعمامهـــا

● ● ●

ابكيك للدنيـا التي طلقتهـا ... وقد اصطفتك شبابها وغرامها
ورميت غاربها بفضلة معرض ... زهــداً وقد القت اليك زمامها

---

(١) مقدمة الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة .

(٢) مهيار الديلمي من أصحاب الشريف الرضي وتلامذته كان شاعراً جزل القول مقدماً على أهل وقته ، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم ، وكان من شعراء أهل البيت المهاجرين، له ديوان شعر كبير طبع الجزء الأول منه ببغداد ثم طبع بأجمعه بمصر، توفي ليلة الأحد ٥ جمادى الآخر سنة (٤٢٨) .

قال السيد علي خان رحمه الله في (أنوار الربيع) وشقّت هذه المرثية على جماعة ممن كان يحسد الرضي رضى الله عنه على الفضل في حياته ان يرثى بمثلها بعد وفاته فرثاه بقصيدة اخرى مطلعها في براعة الاستهلال كالاولى وهو :

أقريش لا لفم أراك ولا يـــدِ   فتواكلي غاض الندى وخلا الندي

قال : وما زلت معجباً بقوله منها :

بكر النعي فقال :أوديَ خيرها   إن كان يصدق فالرضي هو الردي[1]

وقد ألف غير واحد من العلماء كتباً خاصة في الشريف الرضي نذكر منهم :

١ ـ العلامة الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء سماه (الشريف الرضي) طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٦٠ هـ على نفقة دار التأليف والنشر في النجف الاشرف .

٢ ـ الدكتور زكي مبارك سماه « عبقرية الشريف الرضي » طبع ثلاث مرات في جزئين ، الاولى ببغداد سنة ١٩٣٨ م ، والثانية بمصر وفيها زيادات كثيرة على ما في طبعة بغداد ، والثالثة في بيروت .

٣ ـ الدكتور حسين علي محفوظ كتب في ترجمة الشريف ما يقارب ٢٥٠ صفحة سماها « الشريف الرضي » طبعت ببيروت .

٤ ـ الشيخ محمد هادي الاميني له كتاب ترجمة الشريف الرضي ، ذكره والده في « الغدير ٤ : ١٨٣ » .

٥ ـ المرحوم الشيخ قاسم محي الدين له كتاب « من وحي الشريف الرضي » في تفضيل شعره على شعر سائر الشعراء ذكره صاحب « الذريعة »

---

(١) الكنى والألقاب ٢ / ٢٥٤ .

رحمه الله في حرف الميم من القسم المخطوط .

٦ ــ المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلي كتب مفصلاً عن حياة الشريف الرضي جعله كمقدمة للجزء الخامس من « حقائق التأويل » .

٧ ــ السيد علي البرقعي القمي افرد كتابا في ترجمة الشريف الرضي بالفارسية اسماه (كاخ دلاويز) .

٨ ــ الدكتور إحسان عباس له (الشريف الرضي) ركز فيه تأثرالشريف الرضي في أفكاره وصورة نفسيته طبع في بيروت سنة ١٩٥٩ .

٩ ــ الاستاذ طاهر الكيالي له (الشريف الرضي) طبع سنة ١٩٤١ .

١٠ ــ الاستاذ أديب التقى الكاتب والشاعر السوري أخرج كتاباً سماه (الشريف الرضي) عصره ، حياته ، منازعه أدبه بـ (٣٧٤) صفحة وهو قيم بتحليل جميل .

ونكتفي من الحديث عن الشريف الرضي بما نقلناه ، اذ ان الافاضة في ذكره والتوسع في ترجمته يحتاج إلى مايقابل كتابنا هذا سعة ويتجاوزه ضخامة وإنما الغاية تشريف هذا الكتاب بشيء من ذكره الشريف .

وقد خلف الرضي من آثاره التي تدل عليه بضعة عشر كتاباً احتلت الصدارة فيالمكتبة الاسلامية ومن أبرز تلك الآثار كتاب (نهج البلاغة) ذلك الكتاب الذي نحن في صددِ التحقيق عن مداركِهِ والتنقيب عن مصادره .

« باب »

المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره
ويدخل في ذلك المختار من كلامه
الجاري مجرى الخطب في المقامات
المحضورة، والمواقف المذكورة
والخطب الواردة ..

١ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

« يَذْكُرُ فِيهَا ٱبْتِدَاءَ خَلْقِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَخَلْقِ آدَمَ » .

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ ٱلْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ ٱلْعَادُّونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ ٱلْمُجْتَهِدُونَ ، ٱلَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ ١ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ ٱلْفِطَنِ ٢ ، ٱلَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ ، فَطَرَ ٱلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشَرَ ٱلرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَّدَ بِٱلصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ ٣ أَوَّلُ ٱلدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ ٱلتَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ ٱلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ ٱلْإِخْلَاصُ لَهُ . وَكَمَالُ ٱلْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ

---

(١) أي أن همم النظار وأصحاب الأفكار وإن علت وبعدت لا تدركه ، ولا تحيط علماً به .

(٢) الفطن جمع فطنة ، وغوصها استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط در الحقيقة .

(٣) الميدان : الحركة ، ووتد – بالتخفيف والتشديد – ثبت ، والمراد بالصخور : الجبال

ٱلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ ٱلْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلصِّفَةِ . فَمَنْ وَصَفَ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ . وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ١ .وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ . وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ . وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ٢ . وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ عَلاَمَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ ، كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ٣ مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ ؛ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَبِمُزَايَلَةٍ٤ ، فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى ٱلْحَرَكَاتِ وَٱلْآلَةِ ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ٥ ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ ، وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ .

---

(١) أي جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات ، وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني ، وهو يستلزم صحة الاشارة إليه جل وعلا .

(٢) أي أحصى وأحاط بذلك المحدود .

(٣) الحدث : الابداء أي انه سبحانه موجود لا عن إبداء ، وإيجاد موجد . والفقرة الثانية لازمة للأولى لأنه جل وعلا لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجودبالعدم .

(٤) المزايلة : المفارقة والمباينة .

(٥) أي بصير بخلقه قبل وجودهم .

أَنْشَأَ ٱلْخَلْقَ إِنْشَاءً . وَٱبْتَدَأَهُ ٱبْتِدَاءً ، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا(١) ، وَلاَ تَجْرِبَةٍ ٱسْتَفَادَهَا ، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا ، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ(٢) ٱضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ ٱلْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا(٣) ، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا(٤) ، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا ، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَٱنْتِهَائِهَا ، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا(٥) .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ ٱلْأَجْوَاءِ(٦) ، وَشَقَّ ٱلْأَرْجَاءِ ، وَسَكَائِكَ ٱلْهَوَاءِ(٧) ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاَطِماً تَيَّارُهُ(٨) ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفَةِ ، وَٱلزَّعْزَعِ ٱلْقَاصِفَةِ(٩) ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى

---

(١) الروية : الفكر ، وأجالها : أدارها .

(٢) همامة النفس – بفتح الهاء – اهتمامها بالأمر ، وقصدها إليه .

(٣) أحالها : حولها من العدم إلى الوجود لأوقاتها . ولئم : قرن . والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة ، وغرز االغرائز أودع فيها طبائعها .

(٤) الضمير في أشباحها : للغرائز ، أي الزم الغرائز أشباحها : أي أشخاصها .

(٥) الاحناء جمع حنو – بالكسر – : أي الجانب كناية عما خفي .

(٦) الأجواء جمع جو : وهو الفضاء بين الأرض والسماء .

(٧) السكائك جمع سكاكة – بالضم – وهو الهواء الملاقي عنان السماء .

(٨) التيار : الموج ، والزخار : الشديد الزخر أي الا متداد والارتفاع .

(٩) الريح العاصفة : الشديدة الهبوب ، وكذلك الزعزع كأنها تزعزع كل شيء ، والقاصفة : المحطمة .

شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ ، ٱلْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ١ ، وَٱلْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً ٱعْتَقَمَ مَهَبَّهَا ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا٢ ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا . وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ ٱلْمَاءِ ٱلزَّخَّارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ ٱلْبِحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ ٱلسِّقَاءِ٣ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَىٰ آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَىٰ مَائِرِهِ٤ ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ٥ . فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً٦ وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً . وَسَمْكاً

(١) أمرها برده : بمنعه من الهبوط ، وشده : وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها ، وقرنها إلى حده : أي جعل حد الماء المذكور وهو سطحه الأسفل مماسحاً لسطح الريح التي تحمله . الفتيق : المفتوق ، والدفيق : المدفوق .

(٢) الريح العقيم : التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً ، وكذلك كانت لأنها أنشئت لتحريك الماء لا غير . وأدام مربها أي ملازمتها ، والمرب — بكسر أوله — المكان والمحل .

(٣) تصفيقه : تحريكه وتقليبه ، ومخضته : حركته بشدة .

(٤) الساجي : الساكن ، والمائر : الذي يذهب ويجيء أو المتحرك مطلقاً .

(٥) عب عبابه : ارتفع أعلاه ، وركامه : ما تراكم منه بعضه على بعض ، والمنفهق : المفتوح الواسع .

(٦) المكفوف : الممنوع من السيلان .

مَرْفُوعاً . بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا[١] . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ ٱلثَّوَاقِبِ . وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً[٢] ، وَقَمَراً مُنِيراً ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ[٣] ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلاَ ، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ ، لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ ٱلْعَيْنِ ، وَلاَ سَهْوُ ٱلْعُقُولِ . وَلاَ فَتْرَةُ ٱلأَبْدَانِ ، وَلاَ غَفْلَةُ ٱلنِّسْيَانِ ، وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ، وَمِنْهُمُ ٱلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَٱلسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِهِ ، وَمِنْهُمُ ٱلثَّابِتَةُ فِي ٱلأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَىٰ أَقْدَامُهُمْ ، وَٱلْمَارِقَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَٱلْخَارِجَةُ مِنَ ٱلأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَٱلْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ ٱلْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ ،

---

(١) يدعمها : يسندها ، والدسار : واحد الدسر وهي البسامير أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة .

(٢) مستطيراً : منتشر الضياء وهو الشمس .

(٣) الرقيم : اسم من أسماء الفلك ، سمي بذلك لأنه مرقوم بالكواكب .

نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ[1] . مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ[2] ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ ٱلْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ ٱلْقُدْرَةِ ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ ٱلْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

(مِنْهَا) فِي صِفَةِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ ٱلْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[3] ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ[4] . فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ[5] وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ . أَجْمَدَهَا حَتَّى ٱسْتَمْسَكَتْ ،

---

(١) الضمير في دونه للعرش .

(٢) ملتفعون من تلفعت بالثوب إذا التحفت به ، والضمير في تحته للعرش .

(٣) الحزن : الغليظ الخشن ، والسهل ما يخالفه ، والسبخ : ما ملح من الأرض ، وأشار بذلك إلى أنه مركب من طباع مختلفة .

(٤) سن الماء : صبه ، أو سنها هنا بمعنى ملسها ، وخلصت : صارت طينة خالصة وفي بعض النسخ « خضلت » أي ابتلت ، ولاطها ؛ : خلطها ، والبلة — بالفتح — من البلل ، ولزب — ككرم — تداخل بعضه في بعض .

(٥) جبل : خلق ، واحناء جمع حنو — بالكسر والفتح — وهو كل ما فيه انحناء من البدن كالضلع واللحى .

وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ[1] . لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا[2] ، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا[3] ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ وَٱلْأَذْوَاقِ وَٱلْمَشَامِّ وَٱلْأَلْوَانِ وَٱلْأَجْنَاسِ ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ ٱلْأَلْوَانِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ، وَٱلْأَشْبَاهِ ٱلْمُؤْتَلِفَةِ ، وَٱلْأَضْدَادِ ٱلْمُتَعَادِيَةِ ، وَٱلْأَخْلَاطِ ٱلْمُتَبَايِنَةِ ، مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ ، وَٱلْبِلَّةِ وَٱلْجُمُودِ ، وَٱسْتَأْدَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ[4] ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي ٱلْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَٱلْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) ٱعْتَرَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ٱلشِّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ ٱلنَّارِ

---

(١) أصلدها : جعلها صلدة أي صلبة ، وصلصلت : يبست .

(٢) مثل : قام منتصباً ، الأذهان : القوى العقلية ، يجيلها يحركها في المعقولات .

(٣) يختدمها : يجعلها كالخدم يستخدمها في مآربه وأوطاره ، والأدوات جمع أداة وهي الآلة ، وتقليبها : تحريكها في العمل بها .

(٤) أي طلب منهم أداءها ، والوديعة هي عهده إليهم بقوله تعالى : (إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . ص : ٧٢) .

وَٱسْتَهْوَنَ خَلْقَ ٱلصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاهُ ٱللهُ ٱلنَّظِرَةَ[1] ٱسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ . وَٱسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ، فَقَالَ : (إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ) ، ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ ٱلْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ ٱلْأَبْرَارِ[2] . فَبَاعَ ٱلْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَٱلْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَٱسْتَبْدَلَ بِٱلْجَذَلِ وَجَلاً[3] . وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً . ثُمَّ بَسَطَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ ٱلْمَرَدَّ أَلَىٰ جَنَّتِهِ . وَأَهْبَطَهُ إِلَىٰ دَارِ ٱلْبَلِيَّةِ ، وَتَنَاسُلِ ٱلذُّرِّيَّةِ[4] ، وَٱصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى ٱلْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ،

---

(١) تعززه بخلقه : استكباره مقدار نفسه بسبب أنه خلق من نار وآدم خلق من صلصال والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل ، والنظرة – بفتح فكسر – : الانتظار به حياً إلى يوم الوقت المعلوم .

(٢) اغتره : انتهز منه غرة أي غفلة ، ونفاسة : حسداً .

(٣) الجذل – بالتحريك : الفرح ، والوجل : الخوف .

(٤) دار البلية : دار الامتحان والاختبار ، ومن جملتها الامتحان بالذرية في إعالتهم وتربيتهم ، والزامهم بما يجب عليهم ، ولعله عليه السلام إنما خص ذلك بالذكر لأنه من أشد الامتحانات وأثقلها .

وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ(١) . وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ(٢) ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ(٣) لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ(٤) . وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ . وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ . وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ(٥) وَيُرُوهُمُ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ(٦) ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ(٧) .

---

(١) الأنداد : الأمثال ، وأراد المعبودين دونه سبحانه .

(٢) اجتالتهم : أخذتهم يميناً وشمالا .

(٣) واتر أنبيائه : أرسلهم على فترات لا بمعنى مترادفين .

(٤) أي لما كانت معرفة الله سبحانه مركوزة في العقول أرسل أنبيائه ليؤكدوا ذلك المركوز ،

(٥) دفائن العقول : هي أنوار المعرفة التي تكشف للانسان أسرار الكائنات فتزيد إيماناً بالصانع جل وعلا ، وقد تحجب هذه الأنوار الأوهام فيثيرها الأنبياء .

(٦) الأوصاب : المتاعب .

(٧) المحجة : الجادة القويمة .

رُسُلٌ لاَ تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلاَ كَثْرَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ ، عَلَىٰ ذٰلِكَ نَسَلَتِ ٱلْقُرُونُ١ ، وَمَضَتِ ٱلدُّهُورُ ، وَسَلَفَتِ ٱلآبَاءُ ، وَخَلَفَتِ ٱلأَبْنَاءُ ، إِلَىٰ أَنْ بَعَثَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ٢ ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ ، مَأْخُوذاً عَلَى ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ٣ ، كَرِيماً مِيلاَدُهُ ، وَأَهْلُ ٱلأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي ٱسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ٤ ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ ٱلضَّلاَلَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱلْجَهَالَةِ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ

---

(١) الغابر : المتأخر ، ونسلت - بالبناء للمجهول - ولدت وبالبناء للفاعل : مضت متتابعــة .

(٢) الضمير في عدته لله تعالى لأن الله سبحانه وعد بارسال محمد صلى الله عليه وآله . على لسان أنبيائه السابقين ، وكذلك الضمير في نبوته لأنه تعالى أنبأ به .

(٣) سماته : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين .

ٱلدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ ٱلْبَلْوَى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً ، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلاَ عَلَمٍ قَائِمٍ : كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَه١ ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَه٢ ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَه٣ ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَه٤ ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّه٥ ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَه٦ ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَه٧ ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَه٨ ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ فِي عِلْمِهِ ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى ٱلْعِبَادِ فِي جَهْلِه٩ ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي ٱلْكِتَابِ فَرْضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي ٱلسُّنَّةِ

---

(١) حلاله كالبيع وحرامه كالربا .

(٢) فرائضه كالصلوات الخمس ، فضائله كقيام الليل .

(٣) ناسخه ومنسوخه : كثبات الواحد للاثنين فانها نسخت بثبات الواحد للعشرة .

(٤) رخصة كحلية الميتة للمضطر ، وعزائمه كحرمتها على غيره .

(٥) خاصة كالمرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعامة كالطلاق .

(٦) عبره كقصص عاد وثمود ، وأمثاله كالمثل الذي ضرب به في امرأة نوح وامرأة لوط .

(٧) مرسله كتحرير رقبة ، محدوده أي مقيده كتحرير رقبة مؤمنة .

(٨) محكمه ك (قل هو الله أحد) ومتشابهه مثل (على العرش استوى طه : ٥) .

(٩) ما لا يسع احداً جهله ك (اعلم أنه لا إله إلا الله) والموسع في جهله مثل (كهيعص ، مريم : ١) .

نَسْخُهُ ١ ، وَوَاجِبٍ فِي ٱلسُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي ٱلْكِتَابِ تَرْكُهُ٢ ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ٣ ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ٤ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ ٥ ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ ٦ .

(مِنْهَا) فِي ذِكْرِ ٱلْحَجِّ

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرَامِ ، ٱلَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ ٱلْأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ ٱلْحَمَامِ ٧ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ

---

(١) المثبت في الكتاب فرضه مثل (فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت : النساء ١٤) وأوجبت السنة عليهن الرجم .

(٢) ما رخص في الكتاب هو ما لم يكن منصوصاً على عينه مثل (فاقرأوا ما تيسر ، المزمل : ٢٠) ثم عينته السنة بسورة مخصوصة وهي الفاتحة .

(٣) الواجب في وقته كالحج واجب في أيامه ولا يجب في غيرها .

(٤) مباين بالرفع لا بالجر خبر لمبتدأ محذوف أي الكتاب خولف بين المحارم التي حظرها

(٥) الكبير كل ذنب توعد الله عليه في الكتاب العزيز ، والصغير هو ما يكون صغيراً بالاضافة إلى ما هو أكبر منه فالنظرة المريبة صغيرة بالنسبة إلى القبلة المحرمة وهي صغيرة بالنسبة إلى الزنا .

(٦) مقبول في أدناه موسع في أقصاه ككفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم ، وعتق الرقبة .

(٧) الوله : شدة الوجد .

وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ ٱلْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ ، يُحْرِزُونَ ٱلْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً ، وَٱلْعَائِذِينَ حَرَماً ، فَرَضَ حَجَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ)٢ .

روى هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام علي بن محمد بن شاكر الواسطي في كتاب (عيون المواعظ والحكم) إلى (إنك لمن المنظرين : الصّافات ٣٨) وقال الشيخ المجلسي عن هذا الكتاب استنسخناه من أصل قديم في المواعظ وذكر الموت (٢) ، وقد تقدم منا الكلام على هذا الكتاب أيضاً (٣) .

وروى الزمخشري في الجزء الأول من « ربيع الأبرار » في باب السماء والكواكب من هذه الخطبة من قوله عليه السلام : « ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء » إلى قوله : « ورقيم مائر » وروى في باب الملائكة من قوله صلوات الله

---

(١) آل عمران : ١٢١ .

(٢) البحار : ج ٧٧ ص ٣٠٠ وص ٤٢٣ .

(٣) انظر ص ٦٩ من هذا الجزء .

عليه : « فتق ما بين السموات العلى » إلى قوله سلام الله عليه : « ولا يشيرون إليه بالنظائر » .

والقطب الرّاوندي يروي هذه الخطبة في شرحه على (نهج البلاغة) باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام [1] ويظهر من كلام ابن شعبه في (تحف العقول) أن هذه الخطبة طويلة جداً ، لأنه نقل منها شيئاً كثيراً مع اختلاف عمّا في (النهج) وزيادات لم تذكر فيه وقال : هذا مختصر منها [2].

وقد ضمّن الامام موسى بن جعفر عليه السلام كتابه إلى الفتح بن عبد الله مولى بني هاشم — لما كتب إليه يسأله عن شيء من التوحيد — فقرات من هذه الخطبة [3] .

كما ضمّن الامام علي بن موسى الرّضا عليه السلام خطبته في مجلس المأمون كثيراً من هذه الخطبة ، ويظهر من ذلك أن أهل البيت عليهم السلام يتداولون حفظها خلفاً عن سلف .

وروى كل من أبي منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ١٥٠ ، وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) ومحمد بن سلمة المعروف بالقاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٥٣ فقرات من هذه الخطبة تختلف رواية كل واحد من هؤلاء عن رواية الآخر إما بزيادة أو نقصان أو تبديل كلمة بما يرادفها .

واقتطف الفخر الرازي صفة الملائكة في هذه الخطبة من قوله عليه السلام (ثم فتق ما بين السموات العلا فملأهن أطواراً من الملائكة) إلى قوله عليه السلام (ولا يشيرون إليه بالنظائر) ، وأرسل نسبتها لأمير المؤمنين عليه السلام إرسال المسلمات ، وقدم لها بقوله : (واعلم أنه ليس

---

(١) مدارك نهج البلاغة : ص ٦٩ .

(٢) تحف العقول : ٥٧ .

(٣) الكافي (الأصول) : ج ١ ص ١٤٠ .

بعد كلام الله وكلام رسوله كلام في وصف الملائكة أعلى وأجل من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قال في بعض خطبه .. الخ)[1] .

ومن المستحيل أن يتواطأ محمد بن الحسن الحراني المتوفى قبل الرضي والشريف الرضي المتوفى عام (٤٠٦) والقضاعي المتوفى في (٤٥٤) وابن شاكر المتوفى في (٤٥٧) والزمخشري المتوفى في (٥٣٨) والرازي المتوفى سنة (٦٠٦) وابن طلحة المتوفى في (٦٥٢) على وضع هذه الخطبة ونسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام مع اختلاف أزمانهم وبلدانهم ، وتباين مذاهبهم ومشاربهم ، بالإضافة إلى التغاير الموجود في رواياتهم .

وأخيراً إنّ كلّ من أنس بكلام أمير المؤمنين يقطع أن هذه الثمرة من تلك الشجرة ، وأن هذه القطرة من ذلك البحر ، وأن هذا المتن يغني عن السند وبالله التوفيق .

ومما هو جدير بالذكر أن لشيخ علماء الاصول المولى محمد كاظم الخراساني : صاحب (الكفاية) المتوفى سنة (١٣٢٧) هـ[2] شرحاً لهذه الخطبة أملاه فكتبه من تقريره تلميذه الشيخ عبد الرسول الأصفهاني المتوفى في حدود سنة ١٣٥٦ (توجد نسخة من هذا الشرح بمكتبة العلامة الشيخ محمد رضا فرج الله بخط السيد هادي بن السيد عباس الفشاركي المتوفى سنة (١٣٥٤) .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢ / ١٦٤ .

(٢) هو الشيخ محمد كاظم بن حسين الهروي الخراساني المعروف بالآخوند ولد في خراسان سنة ١٢٥٥ ونشأ فيها وأكمل المقدمات هناك ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٢٧٩ وجد في التحصيل وحضر على مشاهير العلماء ثم استقل في التدريس وتخصص بعلم الأصول وتخرج عليه أكابر العلماء ، له مؤلفات عديدة أشهرها « كفاية الأصول » توفي قدس سره فجأة في ٢٠ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩ وكان يومه مشهوداً ، ودفن في الصحن العلوي الشريف على يسار الداخل إليه من الباب الكبيرة ثم دفن إلى جنبه تلميذه الأمام السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره .

٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ ، وَٱسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ ، وَٱسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ١ ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَىٰ كِفَايَتِهِ ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ٢ ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ٣ ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا ، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا٤ ، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا ، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا٥ فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ ٱلْإِيمَانِ ، وَفَاتِحَةُ ٱلْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ ٱلرَّحْمٰنِ ، وَمَدْحَرَةُ ٱلشَّيْطَانِ٦ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

---

(١) من تعليقات ابن أبي الحديد على هذه الخطبة قال : قوله عليه السلام « استتماما واستسلاماً واستعصاماً» من لطيف الكناية وبديعها فسبحان من خصه بالفضائل التي لاتنتهي السنة الفصحاء إلى وصفها ، وجعله إمام كل ذي علم ، وقدوة كل صاحب خصيصة .

(٢) لا يئل أي لا ينجو .

(٣) الضمير فيه يعود للحمد المفهوم من قوله عليه السلام « أحمده » .

(٤) مصاص كل شيء خالصه .

(٥) أهاويل جمع أهوال جمع هول .

(٦) أي عقيدته المطلوبة لله من خلقه وما زاد عليها كمال لها .

أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ ٱلْمَشْهُورِ ، وَٱلْعَلَمِ ٱلْمَأْثُورِ١ ، وَٱلْكِتَابِ ٱلْمَسْطُورِ ، وَٱلنُّورِ ٱلسَّاطِعِ ، وَٱلضِّيَاءِ ٱللَّامِعِ ، وَٱلْأَمْرِ ٱلصَّادِعِ٢ ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ، وَٱحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ٣ وَٱلنَّاسُ فِي فِتَنٍ ٱنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ ٱلدِّينِ٤ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي ٱلْيَقِينِ٥ وَٱخْتَلَفَ ٱلنَّجْرُ ٦ وَتَشَتَّتَ ٱلْأَمْرُ ٧ . وَضَاقَ ٱلْمَخْرَجُ وَعَمِيَ ٱلْمَصْدَرُ فَالْهُدَىٰ خَامِلٌ ، وَٱلْعَمَىٰ شَامِلٌ : عُصِيَ ٱلرَّحْمٰنُ ، وَنُصِرَ ٱلشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ ٱلْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ٨ ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ٩ ، أَطَاعُوا ٱلشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا ، مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ

---

(١) مدحرة الشيطان : أي إنها تبعده وتطرده .

(٢) العلم — بالتحريك — ما يهتدى به ، والمأثور : المنقول عنه .

(٣) الصادع : الظاهر .

(٤) المثلات — بفتح الميم وضم الثاء — العقوبات .

(٥) انجذم : انقطع .

(٦) السواري جمع سارية وهي العمود والدعامة .

(٧) النجر — بفتح النون وسكون الجيم — : الأصل .

(٨) تنكرت معالمه : تغيرت آثاره .

(٩) الشرك جمع شراك ككتاب : الطريق .

لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا[1] . فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ[2] ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكَرَّمٌ .

(وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ ٱلنَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ)

مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حِكَمِهِ وَكُهُوفُ كُتُبِهِ[3] ، وَجِبَالُ دِينِهِ . بِهِمْ أَقَامَ ٱنْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ٱرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ .

(وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْماً آخَرِينَ)

زَرَعُوا ٱلْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ ٱلْغُرُورَ ، وَحَصَدُوا ٱلثُّبُورَ[4] .

لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً ،

---

(١) السنابك جمع سنبك كقنفذ : طرف الحافر .

(٢) يعني هم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر ، والكحل بالدمع . وملجم لأنه لا يستطيع الكلام تقية

(٣) العيبة بالفتح : الوعاء ، والموئل : المرجع .

(٤) يعني أنهم حفظة كتبه كما تحفظ الكهوف .

هُمْ أَسَاسُ ٱلدِّينِ ، وَعِمَادُ ٱلْيَقِينِ ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ ٱلْغَالِي ، وَبِهِمْ يُلْحَقُ ٱلتَّالِي١ ، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ ٱلْوِلَايَةِ ، وَفِيهِمُ ٱلْوَصِيَّةُ وَٱلْوِرَاثَةُ .

ٱلْآنَ إِذْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ .

* * *

قال ابن أبي الحديد : « اعلم أن هذه الكلمات وهي قوله عليه السلام « الآن إذ رجع الحق إلى أهله » إلى آخرها يبعد عندي أن تكون مقولة عقيب انصرافه عليه السلام من صفين ، لأنه انصرف وقتئذ مضطرب الأمر ، منتشر الحبل بواقعة التحكيم ، ومكيدة ابن العاص ، وما تم لمعاوية عليه من الاستظهار ، وما شاهد في عسكره من الخذلان ، وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال ، وأخلق بها أن تكون قيلت في أول بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة وإنّ الرضي رحمه الله نقل ما وجد ، وحكى ما سمع والغلط من غيره ، والوهم سابق له »(٢) .

ورد عليه شيخنا الهادي رحمه الله بقوله : « وهذا الاستنتاج من مثل هذا الشارح عجيب ، فان ما ذكره مسهباً فيه إنما يجري بالنسبة إلى غير أمير المؤمنين عليه السلام ممن يقعقع له بالشنان ، ويضطرب أمره من ما جريات الزمان ، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فهو ليس كغيره ممن يعتريه وهن أو ضعف ، أو فشل أو ذلة ، ولا ممن تزيده كثرة الناس إنساً وقوة وتفرقهم

---

(١) الغالي : المبالغ الذي يجاوز الحد في الافراط ، والتالي : المقصر .

(٢) شرح نهج البلاغة : م ١ ص ٢٠٩ .

ضعفاً ووحشة ، على أن المطلوب من الرجل العظيم — وإن كان دون أمير المؤمنين عليه السلام — أن يتجلد ويتظاهر بمظاهر الفتوة ، وعدم المبالات بالنوائب والحوادث »[1] .

أقول : إن الراوي لهذه الخطبة قبل الرضي لم يتوهم في النقل ، ولم يغلط في الرواية ، وإن هذه الخطبة التي اختار الرضي ما اختاره منها في هذا الموضع خطبهـا بعد انصرافه من صفين — كما ذكر الشريف — والاستفهام هنا انكاري ، كأنه يقول عليه السلام : الآن إذ رجع الحق إلى أهله من أهل بيت النبوة ، يجري ما يجري من الحوادث ويقع ما يقع من الاختلاف ؟

أما مصادر هذه الخطبة فقد رواها محمد بن طلحة الشافعي في الجزء الأول من (مطالب السؤول) : من أول الخطبة إلى قوله عليه السلام « وجاهلها مكرم » وابن طلحة وإن كان من المتأخرين عن الشريف الرضي إلاأن روايته لها بما يخالف رواية الشريف لدليل على أنه استقاها من مصدر آخر ، فقد روى « أهوال » بدل « أهاويل »و«واختلف» مكان« فاختلف» و « فانه » بديل « فانها » وأخيراً فانه رواها بأخصر من رواية الرضي .

ونثر الآمدي بعض هذه الخطبة في مواضعها من (غرر الحكم) بتفاوت مع رواية الشريف مما يجعلنا في يقين أن له مصدراً غير « نهج البلاغة » . وها أنا أنقل لك رواية الآمدي مع إلحاق كل فقرة برقم الصفحة المذكورة فيها ثم قارن بينها وبين ما في (نهج البلاغة) وإليك ذلك :

« هم موضع سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحماة أمره » ص ٣٣١ وفي (النهج) « هم موضع سره ، ولجأ أمره » وفي (الغرر) ص ٣٥٤ :

(١) مدارك نهج البلاغة ص ٧٠ .

ولا يقاس بآل محمد صلوات الله عليه وعليهم من هذه الأمة أحد ولا يستوي بهم » ورواية النهج « لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم » وفي « الغرر » « نصيحتهم » مكان « نعمتهم»

أما قوله عليه السلام « لهم خصائص حق الولاية والوراثة » فقد رواه الطبري في (المسترشد) : ص ٧٣ مع زيادة على رواية الرضي .

٣ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقْشَقِيَّةِ

أَمَ وَٱللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنْهَا مَحَلُّ ٱلْقُطْبِ مِنَ ٱلرَّحَى ، يَنْحَدِرُ عَنِّي ٱلسَّيْلُ١ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ ٱلطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً٢ ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً ، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ٣ ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ٤ ، يَهْرَمُ فِيهَا ٱلْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا ٱلصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ

---

(١) أي أنها ممتنعة على غيري ، لا يصلح أحد لها ولا يتمكن منها .

(٢) كناية عن إعراضه عنها ، والكشح : ما بين الجنب والخاصرة ، والكاشح : المعرض عنك حين يوليك كشحه أي جنبه .

(٣) طفقت : جعلت : أرتاي : أي أفكر ، وجذاء مقطوعة ، وأراد قلة الناصر .

(٤) الطخية : الظلمة الشديدة ، والغم والحزن أيضاً ، وهو ههنا يريدها كلها .

حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ(١) ، فَرَأَيْتُ أَنَّ ٱلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى(٢) ، فَصَبَرْتُ وَفِي ٱلْعَيْنِ قَذًى ، وَفِي ٱلْحَلْقِ شَجاً(٣) ، أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى ٱلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ٱبْنِ ٱلْخَطَّابِ بَعْدَهُ .

(ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلْأَعْشَى) :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا   وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ(٤)

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا(٥) فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا(٦) ، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا(٧) وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ،

---

(١) يكدح مؤمن : أي يدأب ويسعى ، ولا يعطى حقه .

(٢) أحجى : أولى، يقال : هذا أحجى من هذا : أي أولى ، وأحرى، وأوجب وكله في معنى متقارب .

(٣) القذى : ما يقع في العين من عود وتراب ونحوه ، والشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٤) الكور : الرحل والمراد فرق بين يوم بويعت فيه بالخلافة مع ما فيه من الاختلاف ويوم بويع فيه عمر إذا وجد الأمور أمامه ممهدة .

(٥) الاستقالة : طلب الاعفاء من الأمر .

(٦) لشد ما : أي شديداً جداً ، واللام للتأكيد وما والفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد وتشطرا : اقتسما ، والضمير في ضرعيها للخلافة .

(٧) الحوزة : الجهة ، والكلم – بفتح الكاف وسكون اللام – الجرح .

وَيَكْثُرُ ٱلْعِثَارُ فِيهَا ، وَٱلإِعْتِذَارُ مِنْهَا : فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ[١] ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ ٱلنَّاسُ لَعَمْرُ ٱللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[٢] ، وَتَلَوُّنٍ وَٱعْتِرَاضٍ ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ ٱلْمُدَّةِ وَشِدَّةِ ٱلْمِحْنَةِ ، حَتَّى إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَاللهِ وَلِلشُّورى ، مَتَى ٱعْتَرَضَ ٱلرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَىٰ هٰذِهِ ٱلنَّظَائِرِ[٣] . لٰكِنَّنِي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[٤] ، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا ، فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ ٱلآخَرُ لِصِهْرِهِ[٥] ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٦] ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ ،

---

(١) الصعبة من الابل التي لم تروض ، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها ، وإن أسلس زمامها تقحم في المهالك فألقته في مهواة ، .

(٢) الخبط : السير على غير جادة ، والشماس : – بالكسر – النفار ، والتلون : التبدل ، والاعتراض : السير على غير خط مستقيم .

(٣) النظائر : الذي يشبه بعضهم بعضاً دونه .

(٤) أسف الرجل إذا دخل في الأمر الدني من أسف الطائر إذا دنا من الأرض .

(٥) صغى : مال ، والضغن : الضغينة يريد سعد بن أبي وقاص ، لأن علياً عليه السلام قتل أخواله من بني أمية ، أو طلحة لأنه تيمي والذي مال إلى صهره عبد الرحمن بن عوف لأنه زوج أم كلثوم بنت أبي معيط أخت عثمان لأمه .

(٦) هن بوزن أخ كناية عما لا يريد التصريح به .

بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ[1] ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ ٱللهِ خَضْمَةَ ٱلْإِبِلِ نِبْتَةَ ٱلرَّبِيعِ[2] ، إِلَىٰ أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[3] ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَٱلنَّاسُ كَعُرْفِ ٱلضَّبُعِ إِلَيَّ[4] يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ ٱلْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ[5] مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ ٱلْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِٱلْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ وَقَسَطَ آخَرُونَ[6] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ ٱللهِ حَيْثُ يَقُولُ : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَىٰ وَٱللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا .

---

(١) الحضن : ما بين الابط والكشح يقال للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه ، والنثيل : الروث .

(٢) الخضم : الأكل بجميع الفم أو بكل الأصابع .

(٣) انتكث فتله : انتقض ، وأجهز عليه : أتم قتله ، والبطنة امتلاء البطن من الطعام .

(٤) عرف الضبع : شبه كثرتهم بكثرته ، والعرف الشعر النابت على عنق الفرس فاستعاره للضبع . وانثالوا : أي انصبوا .

(٥) العطف – بكسر العين – الجانب ، وتروى « عطافي » أي ردائي .

(٦) الناكثون : أصحاب الجمل لأنهم بايعوه فنكثوا بيعته ، والمارقون : الخوارج ، والقاسطون أهل الشام ، والقاسطون : الجائرون .

وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا١ .
أَمَا وَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ . وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ٢ لَوْلَا حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ ٱلنَّاصِرِ٣ ، وَمَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ ٤ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا٥ ،وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ .

(قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّوَادِ٦ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَاباً فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ . قَالَ لَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا : يَا أَمِيرَ

---

(١) راقهم زبرجها : أي أعجبهم حسنها ، وأصل الزبرج : النقش ، وهو ههنا زهرة الدنيا وزينتها .

(٢) فلق الحبة : شقها ، وبرأ النسمة : خلقها ، والنسمة – محركة – النفس وكان كثيراً ما يقسم بهذا القسم ، وهو من أقسامه الجميلة سلام الله عليه .

(٣) الحاضر من حضر لبيعته ، والناصر : الجيش الذي يستعين به .

(٤) الكظة : امتلاء البطن من الطعام ، يريد أنهم لا يقاروا الظالم على استئثاره وأكله الحرام والسغب : شدة الجوع ، والمراد منعه من حقه الواجب له .

(٥) الغارب : الكاهل ، والكلام تمثيل للترك والأرسال .

(٦) يريد سواد الكوفة : أي ضواحيها وسمي السواد سواداً لخضرته .

ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوِ ٱطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ ، فَقَالَ : « هَيْهَاتَ يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[1] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ » . قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : فَوَٱللهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ .

قال الشريف الرضي رحمه الله :

(قوله « كراكبِ ٱلْصعبةِ إن أَشنَقَ لها خَرَم وإن أَسلس لهـا تقحم » يريـد أَنه إذا شدَّد عليهـا في جذب الزمام وهي تنازعه راسها خرم أَنفها، وإن أَرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها . يقال: أَشنق الناقة إذا جذب رأْسها بالزمام فرفعه وشنقها أَيضاً ، ذكر ذٰلك ابن السكيت في (إصلاح ٱلمنطق) . وإنما قال : « أَشنق لها » ولم يقل : « أَشنقها لأَنه جعله في مقابلة قوله : «أَسلس لها » فكأَنه عليه السلام

(١) الشقشقة : شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج والهدير صوتها .

قَالَ : « إن رفع لها رأسها » بمعنى أمسكه عليها .

* * *

تسمى هذه الخطبة بـ (الشّقشقية) أو (الشّقشقية العلوية) كما يأتي في كلام صاحب القاموس ، وربما تعرف بـ (المقمّصة) أيضاً من حيث اشتمالها على لفظ التقمص في أولها نظير التعبير عن السورة بأشهر ألفاظها كالبقرة ، وآل عمران والرحمن والواقعة وغير ذلك ، وهي من خطب أمير المؤمنين المشهورات حتّى قال المفيد رحمه الله : هي أشهر من أن ندل عليها لشهرتها [1] وقد روتّها العامة والخاصّة ، وشرحوها ، وضبطوا ألفاظها من دون غمزٍ في متنها ولا طعن في أسانيدها .

وتكاد أن تكون هذه الخطبة هي الباعث الأول ، والسبب الأكبر لمحاولة تزييف (نهج البلاغة) باثارة الشبهات الواهية حوله ، وتوجيه الاتّهامات الباطلة لجامعه حتّى أدى ببعضهم الجهل أو التجاهل ، وإن شئت فقل العناد والمكابرة إلى اتّهامه بوضعها وما علموا أن هذه الخطبة بالخصوص مثبتة في مصنفات العلماء المشهورة ، وخطوطهم المعروفة قبل أن تلد الرضي أمه ، وإليك طائفة منها :

١ ـ من المتقدمين على الرضي برواية الخطبة الشقشقية أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قبة الرّازي من متكلمي الشيعة وحذاقهم [2] وكان قديماً من المعتزلة [3] ومن تلامذة أبي القاسم البلخي شيخ المعتزلة

---

(١) الجمل : ص ٦٢ .

(٢) فهرست ابن النديم : ٢٢٤ .

(٣) فهرست النجاشي : ٩٢ .

المعروف ، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية وجرد قلمه في الرد على خصومهم ، فألف كتاب (الرد على الزيدية) و (الرد على أبي علي الجبائي) [1] و (المسألة المفردة في الأمامة) و (الانصاف في الأمامة) وفي هذا الأخير روى الخطبة الشقشقية كما سيجيء .

ومن لطيف ما يروى ما نقله النجاشي قال : سمعت أبا الحسن بن المهلوس العلوي الموسوي رحمه الله يقول في مجلس الرضي أبو الحسن وهناك شيخنا أبو عبد الله محمد بن النعمان (المفيد) رحمهم الله أجمعين : سمعت أبا الحسن السوسنجردي [2] رحمه الله وكان من عيون أصحابنا وصالحيهم المتكلمين ، وله كتاب في الأمامة معروف ، وكان قد حجّ على قدميه خمسين حجّة يقول : مضيت إلى أبي القاسم البلخي إلى بلخ — بعد زيارة الرضا عليه السلام بطوس — فسلمت عليه وكان عارفاً بي ، ومعي كتاب جعفر بن قبّة في الأمامة المعروف بـ (الانصاف) فوقف عليه ونقضه بـ (المسترشد في الأمامة) فعدت إلى الري ، ودفعت الكتاب إلى ابن قبّة فنقضه بكتاب (المستثبت في الامامة) فحملته إلى أبي القاسم فنقضه بـ (نقض المستثبت) فعدت إلى الري فوجدت أبا جعفر قد مات رحمه الله[3] وبذلك تعرف تقدم كتاب (الانصاف) على (نهج البلاغة) وقد شهد لنا جماعة من العلماء على أنهم رأوا (الأنصاف) متضمناً للخطبة الشقشقية منهم شارحوا (النهج) الثلاثة قطب الدين الراوندي،وابن ابي الحديد المعتزلي ، والشيخ ميثم البحراني . كما سترى .

٢ — وسبق الرضي برواية الشقشقية أبو القاسم عبد الله بن محمد بن

---

(١) هو محمد بن بشر الحمدوني من غلمان أبي سهل النوبختي من متكلمي الأمامية له كتب في الأمامة منها (الأنقاذ) و (المقنع) والقصة في المتن تدل على جهاده في سبيل العقيدة .

(٢) فهرست النجاشي .

محمود البلخي الكعبي المتوفى سنة (٣١٧) . ، رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم : الكعبيّة ، وكان من متكلمي المعتزلة وله تصانيف تضمن بعضها كثيراً من الخطبة الشقشقية كما شهد لنا بذلك ابن أبي الحديد المعتزلي (١) .

٣ — أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ، نقل عنه الصّدوق شرح الخطبة في (معاني الأخبار) قال : سألت الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر ففسره لي .. الخ (٢) .

٤ — الصّدوق في كتابيه (معاني الأخبار) : ص ٣٤٣ و (علل الشرائع) في باب العلّة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام مجاهدة أهل الخلاف) . بطريقين ينتهيان إلى ابن عباس .

٥ — كانت هذه الخطبة مثبتة في (العقد الفريد) لابن عبد ربه المالكي المتوفى سنة (٣٢٨) كما نقل ذلك المجلسي في المجلد الثامن من (البحار) ص ١٦٠ ط الكمباني ، فقد عدد رواة الخطبة من الأمامية ونقل سندها المتصل بعبد الله بن العباس عن (شرح نهج البلاغة) للقطب الراوندي ثم عدّد رواتها من غيرهم فقال : رواها ابن الجوزي في مناقبه وابن عبد ربه في الجزء الرابع من (العقد الفريد) وأبو علي الجبائي في كتابه ، وابن الخشاب في درسه — على ما حكاه بعض الأصحاب — ، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري — على ما حكاه صاحب الطرائف .

أنظر أولا إلى احتياطه حينما ينقل بالواسطة بقوله :«على ما حكاه بعض الأصحاب » و«على ما حكاه صاحب الطرائف»ثم أنظر كيف ينصّ على أنّها في (العقد الفريد) .

(١) أنظر (شرح نهج البلاغة) م١ ص ٦٩ .
(٢) أنظر (معاني الأخبار) ص ٣٤٤ .

ويؤيد ما نقله المجلسي أن القطيفي في كتاب (الفرقة الناجية) نصَّ على أنها في الجزء الرابع من العقد الفريد) [1] .

ثم جاءت الأيدي الأمينة على ودائع العلم ! فحذفتها عند النسخ أو عند الطبع وكم لهم من أمثالها .

هؤلاء كلهم توفوا قبل صدور (نهج البلاغة) ، ثم جاء من بعدهم فنقلوا الخطبة عن غير (النهج) ومن غير طريق الرضي ، كما تدل عليه أسانيدهم المسلسلة ، وطرقهم المختلفة ، ورواياتهم المتفاوتة . واليك طائفة منهم :

٦ ــ أبو عبد الله المفيد المتوفي سنة (٤١٢) استاذ الشريف الرضي رواها في (الارشاد) ص ١٣٥ ، قال : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال : كنت عند امير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافة وتقديم من تقدم عليه فتنفس الصعداء ثم قال : أم والله لقد تقمصها .. الخ ، ولا يجوز اقتباس الشيخ المفيد هذه الخطبة من (نهج البلاغة) ونقلها إلى كتابه ، لأن الرضي لا يمهد للخطبة إسناداً بل يقول : ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية «أم والله لقد تقمصها ..» إلى آخر الخطبة في حين أن شيخه المفيد يمهد لها قصة وإسناداً ، زد على ذلك أن العادة تقتضي بنقل التلاميذ عن شيوخهم لا الشيوخ عن تلاميذهم ، ويدلك على أن الشقشقية عند المفيد غير منقولة عن (نهج البلاغة) الاختلاف بينهما في الجمل والألفاظ . والنتيجة : انفرد الشريف الرضي في نقله عن مصدر له ، وانفرد شيخه المفيد في نقله عن مصدر آخر [2] .

---

(١) أنظر (ما هو نهج البلاغة ؟) للسيد الشهرستاني : ص ٣٤ .
(٢) راجع في هذا « ما هو نهج البلاغة » للسيد الشهرستاني قدس سره .

٧ — القاضي عبد الجبار المعتزلي [١] المتوفى سنة (٤١٥) ذكر في كتابه (المغني) تأويل بعض جمل الخطبة ، ومنع دلالتها على الطّعن في خلافة من تقدم على أمير المؤمنين عليه السلام [٢] بقوله : المراد بذلك أنه — أي الامام — أهل لها ، وأصلح منه للقيام بها يبيّن ذلك القطب من الرحى لا يستقل بنفسه ، ولا بد في تمامه من الرحى فنبه بذلك أنه أحق ، وإن كان قد تقمصها .

وقال في تأويل قول أمير المؤمنين عليه السلام : « ابن ابي قحافة » وقد كانت العادة أن يسمى صاحبه أو يكنيه ، أو يضيفه إلى أبيه حتّى كانوا ربما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد فليس بذلك استخفاف [٣]

٨ — الوزير أبو سعيد الآبي المتوفي عام (٤٢٢) في كتابيه (نثر الدرر) و (نزهة الأديب) [٤] .

---

(١) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني شيخ المعتزلة استدعاه الصاحب بن عباد إلى الري من بغداد بعد سنة « ٣٦٠ » وبقي فيها مواظباً على التدريس إلى أن وافاه الأجل .

(٢) الغدير : ج ٧ / ٨٣ .

(٣) الشافي للمرتضى : ص ٢١٢ .

(٤) نثر الدرر للوزير أبي سعيد الآبي منصور بن الحسين الآبي — نسبة إلى آبة قرية من توابع قم — وزير مجد الدولة البويهي اختصره من كتابه (نزهة الأديب) وكتاب (نثر الدرر) كما يقول عنه السيد في (الأعيان) : ج ٨ / ١٠٧ : كتاب لم يجمع مثله مرتب على أربعة فصول والفصل الأول فيه خمسة أبواب ، ثم ذكر أن الباب الثالث منه في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وفيه الخطبة الشقشقية وغيرها ، قال : وكان المجلد الأول من (نثر الدرر) عند آل كاشف الغطاء أخذه منهم محمد بن الخانجي على أن يطبعه ثم لم يف والله يعلم أين مقره الآن ، ثم قال رحمه الله : والجزء الخامس منه — وهو المشتمل على كلام سادة بني هاشم — وهو آخر الأجزاء موجود في المكتبة المباركة الرضوية وفي آخره : تم الجزء الخامس وهو آخر كتاب (نثر الدرر) كتبه أحمد بن علي البغدادي في شهور سنة (٥٦٥) ، ثم قال رحمه الله : وهو كتاب بمنزلة الكشكول لكنه مرتب على أبواب ينقل عنه في (البحار) وينقل عنه في (الجواهر) في مسألة استحباب التحنك في الصلاة ، والواقع أنه لم يجمع مثله .. الخ .

٩ ـ الشريف المرتضى ذكر شيئاً منها في (الشافي) : ص ٢٠٣ و ٢٠٤ وله كتاب مستقل في شرحها سيأتي ذكره .

١٠ ـ الشيخ أبو علي محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠) رواها في (الأمالي) ١ ـ ٣٩٢ قال : أخبرنا الحفار (١) قال : حدثنا أبو القاسم الدعبلي . قال : حدثنا أبي قال : حدثنا أخي دعبل (الخزاعي) قال : حدثنا محمد بن سلامة الشامي ، عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن ابن عباس ، وعن محمد (يعني الباقر عليه السلام) عن أبيه عن جده قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين على ابن بي طالب عليه السلام فقال : والله لقد تقمصها .. إلى آخر الخطبة مع تفاوت قليل .

١١ ـ قطب الدين الراوندي المتوفي (٥٧٣) رواها في « شرح نهج البلاغة » من طريق الحافظين ابن مردويه والطبراني وقال : أقول : وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة ، (أحدهما) أنها مضمنة كتاب « الانصاف » لأبي جعفر بن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي ، أحد شيوخ المعتزلة ، وكانت وفاته قبل مولد الرضي . (الثاني) وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضى بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت قد كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة (٢) .

١٢ ـ ورواها أبو منصور الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٩٥ ،

---

(١) هو أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار عالم فاضل عظيم القدر والشان له كتاب « الأمالي » ينقل عنه ابن شهراشوب في (المناقب) وقد عده علماء الرجال من مشايخ شيخ الطائفة الطوسي وفي امالي الطوسي أحاديث كثيرة مروية بواسطته منها الخطبة الشقشقية .

(٢) الغدير : ٧ ص ٧٤ .

قال روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس .. الخ .

١٣ – قال ابن ابي الحديد : حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة ، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله ابن احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة فلما انتهيت إلى هذا الموضع (يعني قول ابن عباس : ما اسفت .. الخ) قال لي : لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد ؟ والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين،ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال مصدق : وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل ، قال : فقلت أتقول إنها منحولة ؟ فقال : لا والله وإني لأعلم انها كلامه كما أعلم انك مصدق ، فقلت له : إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرّضي رحمه الله تعالى ؟ فقال : أنىّ للرضي ولغير الرضي هذا النفس،وهذا الاسلوب ، فقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور ، وما يقع في هذا الكلام في خلٍّ ولا خمر ، ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي [1] .

١٤ – قال ابن ابي الحديد : معقباً على كلام ابن الخشاب المذكور قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر ، قبل أن يخلق

---

(١) شرح نهج البلاغة م : ١ ص ٦٩ .

الرَّضي بمدة طويلة [1] .

١٥ ـ وقال أيضاً : ووجدت كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلمي الأمامية ، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الأنصاف) وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرّضي رحمه الله موجوداً [2] .

١٦ ـ قال الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني بعد أن نقل كلام ابن الخشاب المتقدم بتفاوت بسيط جداً : أقول : وقد وجدتّها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرّضي بمدة وذكر نحواً مما ذكر القطب الراوندي ، بأنه رآها في (الانصاف) كما رآها بنسخة عليها خط المقتدر العباسي [3] .

١٧ ـ أبو المظفر يوسف بن قزغلي الحنفي الشهير بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة (٦٥٤) في (تذكرة الخواص) : ص ١٣٣ قال ما هذا نصّه بالحرف : « خطبة أخرى ، وتعرف بالشقشقية ذكر صاحب (نهج البلاغة) بعضها وأخل بالبعض وقد أتيت بها مستوفاة ، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الأنباري باسناده عن ابن عباس » ثم ذكر الخطبة .

ولا تخلو كتب الأدب ومعاجم اللغة من ذكر الخطبة الشقشقية :

آ ـ في (مجمع الأمثال) للميداني : ج ١ ص ٣٦٩ « شقشقة هدرت ثم قرّت » قال : الشقشقة شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فانما يشبه بالفحل ، ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبة تعرف بالشقشقية ، لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال له حين قطع

(١ و ٢) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٦٩ .

(٣) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن ميثم ج ١ ص ٢٥٢ .

كلامه : لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت ، فقال : « هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت » .

ب ـــ وفسر ابن الأثير في (النهاية) غريب هذه الخطبة في مواضع عديدة ، في مادة « جذذ » قال : ومنه حديث علي رضي الله عنه : « أصول بيد جذّاء » أي مقطوعة كنى عن قصور أصحابه،وتقاعدهم عن الغزو فانّ الجند للأمير كاليد وتروى بالحاء المهملة اه فانظر كيف حرّف الكلم عن مواضعه ، وفسّر فيمادة « حلا » « حليت الدّنيا في أعينهم » وفي مادة « خضم » « وقام بنو أميّة إليه يخضمون مال الله ...» الخ لاحظ التفاوت بين روايته ورواية الرضي فانه روى« إليه » مكان « معه » و « بنو أمية » مكان « بنو أبيه » لتعلم أن له مصدراً غير (نهج البلاغة) ، وفسّر غريبها في المواد التالية : « ربض » و « زبرج » و « شنق » و « عفط » .

وقال في مادة « شقشق » : ج ٢ — ٢٩٤ قال : ومنه حديث عليّ في خطبة له : « تلك شقشقة هدرت ثم قرّت » .

ج ـــ وقال ابن منظور في(لسان العرب) في مادة « شقشق » وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له « تلك شقشقة هدرت ثم قرّت » .

د ـــ وفي « القاموس » للفيروز آبادي ج ٣ — ٢٥١ قال : والخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس لما قال له : لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت « يا بن عباس هيهات تلك شقشقة هدرت ثم قرّت » .

والرجل السوادي الذي ناول أمير المؤمنين الكتاب هو أحد رجلين إما أن يكون منافقاً ماكراً أراد أن يقطع عليه كلامه في حيلة لم يستطع أن يدبر غيرها ، وأمّا أن يكون ، بليداً مغفلاً ، قليل المعرفة ، سيء الأدب حداه جهله على التّسرع في مناولة الكتاب ولم يمهل حتّى يبلغ الامام قصده .

أما الكتاب فيحتوي على مسائل غير مهمة بالنسبة للغرض الذي فوّته على أمير المؤمنين عليه السلام مما دعا ابن عباس أن يأسف لذلك أشدّ الأسف .

وعسيت بحاجة إلى الاطلاع على تلك المسائل فانك تجدها في (شرح نهج البلاغة) للشيخ ميثم البحراني رحمه الله ، ج ١ ص ٢٦٩ ، عند كلامه في شرح الخطبة الشقشقية .

وفي نهاية البحث عن مصادر الشقشقية ، وتحقيق نسبتها لأمير المؤمنين عليه السلام أرى من الجدير بالذكر أن أقول : إن المعركة حول « نهج البلاغة » منذ أن نشبت إلى يوم الناس هذا وإن اصطبغت بصبغة أدبية في ظاهرها ولكنها مذهبية في باطنها ، ونستطيع أن نقطع ان هذه الخطبة هي من أعظم الأسباب التي دعت لاثارة تلك الشكوك في (نهج البلاغة) — كما ذكرنا آنفاً — وبسبب اشتماله عليها وعلى مثيلاتها حمي وطيس تلك المعركة ، واستعر أوارها ، وعلا لهيبها ، فهل بالامكان أن نثبت ورود شيء عن الامام عليه السلام في معنى ما تضمنته هذه الخطبة بشرط أن يكون ذلك منقولا عن مصادر معتبرة عند أهل البحث وأرباب النظر ؟

فالامام في هذه الخطبة يرى نفسه أنه أحق بمقام رسول الله من منافسيه وأنهم يعلمون ذلك ، وأنه حين لم يجد من يناصره على المطالبة بحقه صبر على مضض ، واعرض عن غير رضى ، وان عمر (رض) إنما ساند صاحبه ليكون له نصيب في الأمر، إلى آخر ما جاء في الخطبة .

فنقول : أما أنه يرى أنه أحق بالأمر من غيره فهذا شيء مستفيض عنه فمن ذلك قوله لأبي بكر لما أرادوه على البيعة : (أنا أحق بهذا الأمر منكم ، وانتم أولى بالبيعة لي) [1] وقوله لأبي عبيدة لما طلب إليه أن يبايع لأبي بكر :

---

(١) الامامة والسياسة : ١ / ١١ .

(الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وعقر بيته — إلى أن يقول — ولا تدفعوا أهله عن مقامه فوالله لنحن أحق الناس به) [1] وقوله عليه السلام : (اللهم فاجز قريشاً عني الجوازي فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت علي ، ودفعتني عن حقي ، وسلبتني سلطان ابن امي ، وسلمت ذلك إلىٰ من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الاسلام إلّا أن يدعي مدع مالا أعرفه) [2] وقوله عليه السلام في جواب كتاب كتبه إلى معاوية : (وذكرت حسدي للخلفاء ، وابطائي عنهم ، والكراهية لأمرهم فلست اعتذر إلى الناس من ذلك — إلى أن يقول — بل عرفت أن حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم) [3] . إلى كثير من أمثال ذلك مما يطول المقام باستيعابه .

وهناك شق الأمة من أنصاره وشيعته بما فيهم اعدال القرآن من أهل بيته ، متفقون على ذلك ، مجمعون على صحته ، ويوافقهم عليه من الشق الثاني من لا يحصيهم عدد وفيهم من منافسيه . فعن ابن عباس قال : كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل ، وأنا على فرس فقال : أم والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر ، فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أقلته فقلت : انت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وانت وصاحبك وثبتما عليه ، وافترعتما الأمر منه دون الناس ؟ فقال : إليكم يا بني عبد المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب

---

(١) الامامة والسياسة ١١/١ .

(٢) جاء ذلك في كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل نقله الثقفي في كتاب « الغارات » على ما حكاه ابن ابي الحديد في الشرح : م١ / ١٥٠ وابو الفرج في « الأغاني » ١٥ — ٤٤ وابن قتيبة في « تاريخ الخلفاء » : ١ / ٥٣ .

(٣) انظر « جمهرة رسائل العرب » ج ١ .

فتأخرت عنه وتقدم هنيهة فقال : سر لاسرت وقال : أعد علي كلامك فقلت : إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ، ولو سكت سكتنا ، فقال : إنا والله ما فعلنا ما فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها ، قال : فأردت أن أقول كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه فينطح كبشها أفتستصغره أنت وصاحبك ؟ فقال : لا جرم فكيف ترى ؟ والله لانقطع أمراً دونه ، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه (١) .

وقال عمر لابن عباس أيضاً : يابن عباس ام والله إن كان صاحبك — يعني علياً عليه السلام — أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنا خفناه على اثنتين قال ابن عباس : فجاء بمنطق لم أجد بداً من مسألته عنه فقلت يا أمير المؤمنين ما هما ؟ قال : حداثة سنه ، وحبه بني عبد المطلب (٢) .

وفي بعض ما نقلناه كفاية .

أما ما ذكر في الشقشقية من كونه إنما سانده ليكون له من الأمر نصيب ، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى شيء كثير نكتفي بذكر واحد منه . فقد روى البلاذري قال : بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي رضي الله عنهم حين قعد عن بيعته وقال له : إئتني به بأعنف العنف فلما أتاه جرى بينهما كلام ، فقال : (احلب حلباً لك شطره والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً) (٣) .

---

(١) محاضرات الراغب ٢ / ٢١٣ .

(٢) نقله ابن ابي الحديد في الشرح : م ١ ص ١٣٤ عن كتاب « السقيفة » للجوهري

(٣) أنساب الاشراف : ١ / ٥٨٧ ورواه ابن قتيبة ايضاً في « تاريخ الخلفاء » ١ / ١٢ والجوهري في « السقيفة » على ما حكي عنه .

والواقع يؤيد هذا ويصدقه ، وكيفية ادلائه بالأمر إليه معلومة لدى الخاص والعام ، وفي أيامه كان هو المتنفذ فعلا فلا يقطع أمراً دونه ، ولا يعمل عملا إلا باذنه . روى ابن حجر العسقلاني في « الاصابة » ج٣ ص ٥٦ في ترجمة عيينة بن حصن عن « التاريخ الصغير » للبخاري باسناده عن عبيدة بن عمرو قال : جاء الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالا : يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فان رأيت أن تقطعناها فأجابهما وكتب لهما وأشهد القوم وعمر ليس فيهم ، فانطلقا إلى عمر ليشهداه ، فتناول الكتاب وتفل فيه ومحاه ، فتذمرا له ، وقالا له مقالة سيئة ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإنّ الله قد أعز الإسلام اذهبا فاجهدا على جهدكما ، لارعى الله عليكما إن رعيتما ، فاقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران ، فقالا : ما ندري والله أنت الخليفة أو عمر ؟ فقال لا بل هو لو شاء ، فجاء عمر وهو مغضب حتّى وقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذا الذي أقطعتهما ، الأرض هي لك خاصة أو للمسلمين عامة ؟ قال : بل للمسلمين عامة ، قال : فما حملك على أن تخص بها هذين ؟ قال : استشرت الذين حولي ، فأشاروا عليّ بذلك ، وقد قلت لك : إنك أقوى على هذا مني فغلبتني [١] .

أما بقية ما جاء في الخطبة من وصف الحوزة الخشناء والعثار والاعتذار ، وقضية الشورى ، وقيام ثالث القوم وما فعله بنو أبيه في أيامه ونهاية أمره ، وانثيال الناس على الامام ثم نكث بعضهم لبيعته ، ومروق الخوارج ، وخروج القاسطين فامور ثابتة لامحل للريب فيها .

---

(١) ونقل الحكاية أيضاً ابن ابي الحديد : م ٣ ص ١٠٨ .

وبعد هذا فالخطبة عربية صرفة ، فالقطب والرحى ، والكور والضرع ، والإبل والربيع ، والنثيل والمعتلف ، والحبل والغارب ، وعرف الضبع وعفطة العنز كلمات لا أثر للدخيل فيها ، ولا يمكن أن تقال إلا في ذلك الزمن .

وقد أخذ كل من ابن المعتز [١] وصفي الدين الحلي [٢] بعض معاني هذه الخطبة فنظمها الأول في قصيدته البائية التي افتخر بها على العلويين ، فقال :

كقطب الرحى وافقت أختها دعونـا لها فعملنـا بهـا
وأقسم أنكـم تعلمـون أنا لها خير أربابهـا

وقال الثاني راداً عليه :

فهلا تقمصهـا جـدكم إذا كـان إذ ذاك أحرى بهـا
وما أنت والفحص عن شأنها ومـا قمصوك بأثوابهـا
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف وجاءوا الخلافة من بابهـا
هم قطب ملة دين الاله ودور الرحاء بأقطابهـا

شروح الشقشقية :

ولأهمية الشقشقية اهتم بها العلماء والأدباء إهتماماً خاصاً وشرحوها بشروح مستقلة وإليك بعضها :

---

(١) هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي ، كان شاعراً ناثراً اديباً (على انحراف فيه عن علي عليه السلام) له شعر في غاية الرقة ، اشتهر بالتشبيهات البالغة حد الاتقان ، وولي الخلافة يوماً واحداً بعدما خلع المقتدر ، ولقب بالمرتضى بالله ثم لم يتم له لتغلب أنصار المقتدر على أنصاره ، فخلع وسلم إلى مؤنس الخادم فخنقه وسلمه إلى أهله ، فدفن في خربة إلى جنب داره سنة ٢٩٦ هـ .

(٢) هو عبد العزيز بن السرايا الحلي الشاعر الأديب المنشىء ، من تلامذة المحقق الحلي ، رحل إلى مصر سنة ٧٣٦ واجتمع بفضلائها فاعترفوا بفضله ثم عاد إلى ماردين ، وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠ هـ

١ ـ شرح الخطبة الشقشقية :

للسيد المرتضى علم الهدى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المتوفى عام (٤٣٦) [١] والظاهر أن هذا الشرح أوّل شروحها المستقلة ، ويحتمل أنه الف قبل صدور (نهج البلاغة) .

٢ ـ شرح الخطبة الشقشقية :

للسيد علاء الدين كلستانة محمد بن أبي تراب الحسيني الأصبهاني من شرّاح (نهج البلاغة) وصاحب كتاب (نهج اليقين) وهو شرح لرسالة الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام التي كتبها إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها ، والنظر فيها ، وتعاهدها ، والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فاذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها ، والرسالة مذكورة في (روضة الكافي) ونقل مختارها الحرّاني في (تحف العقول) : ص ٣١٣ وله (شرح خطبة همّام) التي وصف أمير المؤمنين عليه السلام بها المتقين [٢] .

توفي السيد علاء الدين في ١٣ شوال سنة ١١٠٠ رحمه الله [٣] .

٣ ـ شرح الخطبة الشقشقية :

للمولى إبراهيم الجيلاني من أعاظم العلماء ، يروى بالإجازة عن المجلسي ، وله (شرح نهج البلاغة) في ثمان مجلدات ، و (شرح الصحيفة السجادية) وحواش على الكتب الأربعة ، توجد هذه الكتب عند العلامة السيد شهاب الدين الحسيني النجفي نزيل قم بخط المؤلف ، وقبر المولى إبراهيم الجيلاني في مقبرة تخت فولاذ بأصفهان [٤] .

---

(١) أعيان الشيعة : ج ٤١ / ١٩٥ .
(٢) الكنى والألقاب : ج ١ ص ٤٧٧ .
(٣) الذريعة : ج ١٣ ص ٢٢٥ .
(٤) أعيان الشيعة : ج ٦ ص ١٩ و ج ٩ ص ٣٣٩ .

٤ – شرح الخطبة الشقشقية :

لأبي المعالي محمد إبراهيم الكلباسي المتوفى سنة ١٣١٥ وصفه المحدث القمّي : عالم ، فاضل ، متبحر ، دقيق ، حسن التحرير ، كثير التصنيف ، كثير الاحتياط ، شديد الورع ، له مصنفات في الفقه والاصول والرجال ، وله (رسالة في أصوات النساء) و (رسالة في حكم التداوي بالمسكر) و (رسالة في زيارة عاشوراء) وله (شرح الخطبة الشقشقية) وغير ذلك من الرسائل الكثيرة ، توفي في صفر سنة ١٣١٥ وقبره بأصبهان مزار مشهور[١] .

٥ – شرح الخطبة الشقشقية :

فارسي للسيد محمد عباس التستري اللكنهوي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ ألفه باستدعاء معتمد الدولة ، مختار الملك ، السيد محمد خان بهادر ضيغم جنك .

٦ – شرح الخطبة الشقشقية :

لتاج العلماء السيد علي بن دلدار علي اللكنهوي المتوفى سنة ١٣١٢ هـ .

٧ – شرح الخطبة الشقشقية :

للشيخ هادي الساقي صاحب كتاب (شرح الخطبة الزينبية)

٨ – شرح الخطبة الشقشقية :

مجهول المؤلف موجود عند الاستاذ علي الخاقاني صاحب (مجلة البيان) .

٩ – شرح الخطبة الشقشقية :

للسيد علي الهاشمي الخطيب المعروف ، والمؤلف المشهور . مخطوط .

١٠ – شرح الخطبة الشقشقية :

للشاعر الأديب السيد جعفر السيد صادق العابد ، نقل لي منه فصولاً جيدة .

١١ – شرح الشقشقية للعلاّمة السيد حسين الصدر .

---

(١) الكنى والألقاب : ج ١ ص ١٥٩ وج ٣ ص ١٠٩ .

٤ – ومن خطبة له عليه السلام

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ[١] ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ[٢] ، وَبِنَـا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ[٣] ، وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ[٤] ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ[٣] ، رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ[٥] ، مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ

---

(١) يريد بالظلام ظلام الشرك والضلال فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا ، ولعله يشير إلى الحديث الشريف « الأئمة من أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) رواه القاضي النعمان في الجزء الأول من (دعائم الإسلام) : ص ١٨٦ ، وروى يوسف بن اسماعيل في (الشرف المؤبد) : ص ٦ عن (نوادر الأصول) للحكيم الترمذي : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض » وقد حرف الحديث الأول فجعل « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم » ولا يصح معنى هذا الحديث بهذه الصورة ، كما لا يصح سنداً لأن الراوي له عبد الرحيم بن زيد الحواري ودونك كلمات علماء الرجال فيه : قال البخاري : تركوه وقال يحي : كذاب : وقال مرة ليس بشيء ، وقال الجوزجاني : غير ثقة،وقال أبو حاتم : ترك حديثه ، وقال أبو زرعة واه ، وقال أبو داود : ضعيف ، ذكر ذلك كله الذهبي في (ميزان الاعتدال) : ج ٢ ص ٦٠٥ .

(٢) تسنمتم العلياء : ركبتم سنامها ، والسرار – كسحاب – آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر . وانفجرتم : دخلتم في الفجر ، ويروى : « أفجرتم » وهو أفصح .

(٣) الواعية : الصرخة ، والمراد بها المواعظ المؤثرة ، ووقرت : صمت .

(٤) الصيحة : الصوت الشديد ، والنبأة : الصوت الخفي .

(٥) الجنان : القلب ، وربط : استمسك وثبت دعاء للقلب ، الذي لازمه الخفقان من خوف الله تعالى .

عَوَاقِبَ ٱلْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ١ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ ٱلدِّينِ٢ ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ ٱلنِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ ٱلْحَقِّ فِي جَوَادِّ ٱلْمَضَلَّةِ٣ ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلاَ دَلِيلَ ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلاَ تُمِيهُونَ٤ ، ٱلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ ٱلْعَجْمَاءَ ذَاتَ ٱلْبَيَانِ٥ ، غَرَبَ رَأْيُ ٱمْرِيءٍ تَخَلَّفَ عَنِّي٦ ، مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ٧ ، أَشْفَقَ

---

(١) ينتظر بهم الغدرة يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس له من الحق على مثل حاله ، والحلية هنا الصفة .

(٢) جلباب الدين : رسومه الظاهرة ، أي أن الذي عصمكم مني هو ما ظهرتم به من الدين وإن كان صدق نيتي قد بصرني ببواطن أحوالكم . وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها .

(٣) المضلة بكسر الضاد وفتحها : الأرض يضل سالكها ، والضلال طرق كثيرة لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل ، والحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ، لهذا قال أقمت لكم على سنن الحق وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون فلا فائدة في التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل .

(٤) تميهون : تجدون ماء .

(٥) أراد من العجماء رموزه واشاراته فانها كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة لهذا سماها ذات البيان مع أنها عجماء .

(٦) غرب : غاب ، أي لا رأي لمن تخلف عني ولم يطعني .

(٧) يتأسى بموسى عليه السلام أي أنه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من موسى عليه السلام قال الشيخ محمد عبده : وهذا أحسن تفسير لقوله تعالى : (فأوجس في نفسه خيفة موسى ، طه) / ٦٧ .

مِنْ غَلَبَةِ ٱلْجُهَّالِ وَدِوَلَ ٱلضُّلاَّلِ ، ٱلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ .

* * *

روي أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة والزبير وانهزام أصحاب الجمل كما روى ذلك الشيخ ميثم البحراني (١) وغيره .

وقال ابن ابي الحديد : هذه الكلمات والأمثال ملتقطة من خطبة طويلة (٢) . ثم قال بخصوص هذه الكلمات التي رواها الرضي في « النهج » بأنها كلامه عليه السلام الذي لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ، ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم ورسائلهم ، والرواية لها كثيرة الخ(٣).

وقد روى المفيد هذه الخطبة في « الارشاد » ص ١٤٧ باختلاف يسير عما رواه الرضي ، وزيادة هذه الجملة (كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم ، وباعوا أخاهم ، وبعد الاقرار كانت توبتهم وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم) .

وروى آخر هذه الخطبة الطبري في « المسترشد » ص ٩٥ .

فابن ميثم حدد لنا الزمان الذي القيت فيه هذه الخطبة ، وابن أبي الحديد اعترف بأنها طويلة والرواية لها كثيرة ، والمفيد رواها باختلاف وزيادة ،

---

(١) شرح ابن ميثم ١ — ٢٧٠ .
(٢) شرح ابن ابي الحديد : ١ — ٢٠٨ .
(٣) نفس المصدر .

والطبري روى جزءاً منها ، كل ذلك يدل دلالة لا ريب فيها على أن الرضي مسبوق بنقلها ، ولم ينفرد بروايتها .

٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَاطَبَهُ ٱلْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانِ بنِ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَايِعَا لَهُ بِالخِلافَةِ:

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ ٱلنَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ ٱلْمُنَافَرَةِ[١] وَضَعُوا عَنْ تِيجَانِ ٱلْمُفَاخَرَةِ ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ[٢] ، هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ[٣] ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا ، وَمُجْتَنِي ٱلثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ ، فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا

---

(١) عرج عن الطريق : مال عنه ، والمنافرة : المفاخرة بالحسب .

(٢) نهض بجناح ، قام بناصر ، واراح يعني أراح الناس من المنازعة بلا طائل .

(٣) الماء الآجن : الفاسد المتغير .

جَزَعَ مِنَ ٱلْمَوْتِ ، هَيْهَاتَ بَعْدَ ٱللَّتَيَا وَٱلَّتِي١ وَٱللهِ لَٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ ٱلطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ ٱنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَٱضْطَرَبْتُمُ ٱضْطِرَابَ ٱلْأَرْشِيَةِ فِي ٱلطَّوِيِّ ٱلْبَعِيدَةِ . ٢

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغل علي عليه السلام بغسله ودفنه وبويع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلي عليه السلام لإجالة الرأي ، وتكلموا بكـــلام يقتضي الاستنهاض والتهييج . فقال العباس (رضي الله عنه) قد سمعنا قولكم ، فلا لقلّة نستعين بكم ، ولا لظِنّة نترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فان يكن لنا من الاثم مخرج يصرّ بناوبهم الحق صرير الجدجـــد [3] ونبسط إلى المجد أكفـــاً لا نقبضها أو نبلغ المدى ، وإن تكن الأخرى فلا لقلة في العدد ، ولوهن في الأيد [4] والله لولا « أنّ الاسلام قيد الفتك » لتدكدكت جنادل صخر [5] يسمع اصطكاكها من المحل العليّ ، فحل علي

---

(١) هيهات : كلمة تبعيد ، والتاء مفتوحة ، ومنهم من يكسرها في جميع الأحوال ، ويجوز أن تضم ، كما يجوز أن تنون في جميع الأحوال ، واللتيا – بالفتح والتشديد – تصغير التي ، وهما اسمان من أسماء الدواهي ، ويكنى بهما عن الشدائد المتعاقبة، والأصل فيها أن رجلا تزوج بإمرأة قصيرة فآذته ، ثم طلقها وتزوج طويلة فقاسى منها ما هو أعظم فطلقها أيضاً ، فقيل له : ألا تتزوج ؟ قال : هيهات أبعد اللتيا والتي .

(٢) اندمجت : انطويت ، والأرشية جمع رشا وهو الحبل ، والطوى جمع طوية : البئر

(٣) الجدجد « بضم الجيمين » : دويبة على خلقة الدبا وتسمى : صرار الليل .

(٤ الأيد : القوة .

(٥) الجنادل : جمع جندلة وهي الصخرة العظيمة .

عليه السلام حبوته وقال : الصبر حلم ، والتقوى دين ، والحجة محمد ، والطريق الصراط أيها الناس شقوا أمواج الفتن .. الخطبة ، ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم [1] .

هكذا ذكر ابن ابي الحديد سبب هذه الخطبة ، ويظهر من تقديمه لها والزيادات التي ذكرها في أولها أنه اطلع عليها بمصدر غير « النهج » ولكنه لم يشر إليه .

وذكر سبط ابن الجوزي بسنده عن مجاهد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي عليه السلام فقالوا : مدّ يدك نبايعك وحرضوه فامتنع ، وقال له العباس (أنت والله بعد اليوم عبد العصا)[2] فخطب علي وقال : أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة[3] وذكر الخطبة بصورة تغاير ما في « النهج » قليلا .

وسبط ابن الجوزي وإن تأخر زمانه عن زمن الشريف ، ولكنه روى هذه الخطبة مسندة من غير طريق الرضي ، تختلف في بعض ألفاظها عن روايته ، ويظهر من قوله في اثباتها : (وفي رواية) أنه رواها من طريقين ، ومن قوله في آخر ما ذكره من قوله منها : (وذكر كلاماً كثيراً) أنه وجدها بصورة أطول .

هذا وقد ذكر السبط في الباب السادس من تذكرته أنه لا ينقل من كلام علي عليه السلام إلا ما اتصل إليه إسناده فتأمل .

كما رواها الطبرسي في الاحتجاج (ج ١ ص ١٢٧) باختلاف مع رواية الرضي في بعض الألفاظ ، ذكره باسم رسالة موجهة منه عليه السلام إلى أبي بكر لما بلغه منعه فاطمة عليها السلام فدكاً .

---

(١) شرح النهج المجلد الأول : ٢١٨ .

(٢) أنا استبعد ان يواجه العباس علياً عليه السلام بمثل هذه الكلمة لأنها جافة ، وإن كان الأمثال لا تعارض .

(٣) التذكرة : ١٣٧ .

٦ - ومن خطبة له عليه السلام

لما أُشير عليه أَن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتالُ ١ .

وَٱللهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ ٱللَّدْمِ ٢ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلُهَا رَاصِدُهَا٢ ، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ ٱلْمُطِيعِ ٱلْعَاصِيَ ٱلْمُرِيبَ أَبَداً ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَوَٱللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ ٱللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ ٱلنَّاسِ هٰذَا٣.

* * *

استفاض هذا الكلام عنه عليه السلام ورواه المؤرخون واستشهد به اللغويون قبل الرضي وبعده نذكر من أولئك : الطبري في (التاريخ) في حوادث سنة ٣٦ وأبو عبيد القاسم بن سلام في (غريب الحديث) مخطوط

---

(١) أرصد له بشر : هيأه له وأعده .
(٢) يختلها راصدها : يخدعها مترقبها ، وذلك أن الضبع يأتيها الصائد وهي في مغارها ، فيضرب على باب الغار ضرباً خفيفاً — وذلك هو اللدم المقصود هنا — ويقول بصوت واطىء : خامرى أم عامر ، أي الزمي وجارك ، فتنام على اللدم فيجعل الحبل في عرقوبها ويجرها فلا تتحرك وتنام فضربت العرب بحمقها المثل .
(٣) استأثر عليه : تغلب على أمره .

(الورقة ـ ١٧٤) وأشار إليه الجوهري المتوفى قبل صدور (النهج) بخمس سنوات في « الصحاح » ٥ ـ ٢٠٢٦ ، وأورده شيخ الطائفة في (الأمالي) بسنده عن طارق بن شهاب يقول : لما نزل علي عليه السلام بالربذة سألت عن قدومه ، فقيل : خالف عليه طلحة والزبير وعائشة فخرج يريدهم فصرت إليه فجلست حتّى صلى الظهر والعصر ، فلما فرغ من صلاته قام إليه إبنه الحسن بن علي عليه السلام فجلس بين يديه ثم بكى ، وقال : يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن أكاملك ، وبكى ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لا تبك يا بني وتكلّم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه ، أما ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس ، وتلحق بمكة حتّى تؤب العرب ، وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها ، فوالله لو كنت في جحر ضبٍّ لضربت إليك العرب آباط الابل حتّى تستخرجك منه ، ثم خالفك طلحة والزبير فسألتك أن لا تتبعهما ، وتدعهما فان اجتمعت الامة فذاك وإن اختلفت رضيت بما قضى الله ، وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق وأذكرك بالله أن لا تقتل بمضيعة . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما قولك إنّ عثمان حصر فما أنا وذاك وما عليّ منه ، وقد كنت بمعزل عن حصره ، وأما قولك ائت مكة فوالله ما كنت لأكون الرجل الذي تستحل به مكة ، وأما قولك : اعتزل العراق ودع طلحة والزبير فوالله ما كنت لأكون كالضبع . وذكر الكلام ثم قال : وكان طارق بن شهاب أي وقت حدث بهذا الحديث بكى . اهـ .

ولعل غاية الحسن صلوات الله عليه أن يظهر للناس غاية أبيه من اتباع طلحة والزبير وغير ذلك من الامور التي ذكرها فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام عنها ، والا فهو يعلم علم اليقين أن أباه سلام الله عليه لا يرد ولا يصدر إلا بأمر من الله سبحانه كما رسم له ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله .

٧ـ ومن خطبة له عليه السلام

اتَّخَذُوا ٱلشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً[١] ، وَٱتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ[٢] ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ[٣] ، فَرَكِبَ بِهِمُ ٱلزَّلَلَ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلْخَطَلَ[٤] ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ ٱلشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

* * *

هذا الفصل في ذم أقوام من المنابذين له ، والمخالفين عليه ، رواه الزمخشري في (ربيع الأبرار) ج١ الورقة ١٠٩ (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) .

وقال ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث) ج ٢ ص ٥٠ مادة « خطل » : في خطبة علي : « فركب بهم الزلل ، وزين لهم الخطل » الخطل : المنطق الفاسد ، وقد خطل في كلامه وأخطل .

---

(١) ملاك الشيء – بالفتح والكسر – قوامه الذي يملك به ، والاشراك جمع شريك أو شرك ، والمعنى يصح على الوجهين ، فهم إما شركاؤه أو شركه الذي يصطاد به .

(٢) باض وفرخ : كناية عن توطنه في صدورهم ، ودب ودرج : أي تربى ونشأ في حجورهم .

٨ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ . فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ١ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ . وَإِلا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

* * *

الذي يظهر من رواية المفيد رحمه الله في كتاب « الجمل » عن الواقدي ص ١٧٥ أن هذا الكلام قاله الحسن بأمر أبيه عليه السلام . وذلك أنّ عبد الله ابن الزبير خطب يوم الجمل فقال :

« أيها الناس إنّ الرعث الوعث (٢) قتل عثمان بالمدينة ، ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة ، وقد غصب الناس أنفسهم ، ألا تنصرون خليفتكم المظلوم ؟ ألا تمنعون حريمكم المباح؟ ألا تتقون الله في عطيتكم من أنفسكم ؟ أترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في بلادكم ؟ اغضبوا فقد غوضبتم ، وقاتلوا فقد قوتلتم ، إنّ علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم » .

---

(١) الوليجة : الدخيلة في الأمر .

(٢) الرعث هنا الرجل المتلون المفسد ؛ ولولا أن الشيخ المفيد عليه الرحمة سبق إلى نقلها لما استطاع القلم أن يجري بها على (أن ناقل الكفر ليس بكافر) .

وأكثر من نحو هذا القول .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لولده الحسن عليه السلام : قم يا بني فاخطب ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير ، وقد كان والله يتجنّى على عثمان الذنوب ، وقد ضيق عليه البلاد حتّى قتل ، وإنّ طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي ، وأما قوله : إن علياً ابتز الناس أمرهم فانّ أعظم حجة لأبيه ، زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أقرّ بالبيعة ، وادعى الوليجة فليأت على ما ادعاه ببرهان وأنى له ذلك .. » .

قال : فلما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه قام رجل يقال له : عمرو ابن محمود وأنشد شعراً يمدح الحسن .

ولم يذكر المفيد الشعر ، ولكن ذكره أبو مخنف في كتاب « الجمل » قال : وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام بعد خطبة عبد الله بن الزبير .

وقد ذكرنا الشعر في جملة ما نقلنا من الأشعار في الوصاية [1] .

والذي أكاد أقطع به أن علياً عليه السلام لما بلغه عن الزبير أنه كان يقول أنه بايع بيده ولم يبايع بقلبه ، فقال الكلام الذي اختار منه الرضي ما ذكره في هذا الموضع وسمعه الحسن عليه السلام فضمنه في خطابه كما أني أقطع أن السيد الشريف روى ما رأى من غير تحريف أو تحوير ولعلنا نعثر على عين المصدر الذي نقل عنه ، فاني في كل حين أعثر على شيء جديد من المأثورات عن أمير المؤمنين أثناء مراجعاتي والله الموفق

---

(١) انظر ص ١٣٨ من هذا الجزء .

٩ — ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هٰذَيْنِ ٱلْأَمْرَيْنِ ٱلْفَشَلُ . وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَى نوقِــعَ . وَلاَ نسِيلُ حَتى نُمْطِرَ .

* * *

الكلمات رواها الواقدي في خطبة له عليه السلام يوم الجمل والسبب فيها أن طلحة والزبير لما بلغهما خطبة الحسن عليه السلام (التي مرت قبل قليل) ومدح عمرو بن أحيحة له قام طلحة خطيباً في القوم ، وأرعد وأبرق ، ورد على خطابه رجل يقال له : خيران بن عبد الله من أهل الحجاز فهم القوم به ، وكثر لغط القوم ، ولما بلغ علياً عليه السلام لغطهم وإجماعهم على حربه ، قام خطيباً وذكر طلحة والزبير وقدومهما البصرة وقتلهم لحكيم بن جبلة [١] ، وما فعلوه بعامله عثمان بن حنيف [٢] ، ثم قال عليه السلام :

---

(١) حكيم « بضم الحاء » بن جبلة العبدي كان رجلا صالحاً مطاعاً في قومه بعثه عثمان على السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال : ماؤها وشل ، ولصها بطل ، وسهلها جبل ، إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلوا بها ضاعوا ، فلم يوجه عثمان أحداً إليها حتى قتل . ثم إنه أقام بالبصرة فلما قدم إليها الزبير وطلحة وعائشة في فتنة الجمل وعليها عثمان بن حنيف استقر الحال بينهم وبين عثمان بن حنيف على أن يكفوا عن القتال إلى أن يأتي علي ؛ ثم إن عبد الله بن الزبير بيت عثمان فأخرجه من القصر فسمع حكيم فخرج في سبعمائة من ربيعة فقاتلهم حتى أخرجهم من القصر ، ولم يزل يقاتلهم حتى قطعت رجله فاخذها وضرب بها الذي قطعها فصرعه وقتله ، ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول :

يا ساق لن تراعي إن معي ذراعي
أحمي بهــا كراعي

حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل فقال له قائل : من فعل بك هذا ؟ قال : وسادتي ، فما كان أشجع منه ، ثم قتله سحيم الحداني . وهذا اليوم يسمى بيوم الجمل الأصغر

(٢) ستأتي إن شاء الله ترجمته عند تحقيق كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه حينما كان عاملا على البصرة . في باب الكتب .

وقد ارعدوا وابرقوا ... الخ ، وتفصيل ذلك رواه المفيد في كتاب « الجمل » ص ١٧٧ عن كتاب (الجمل للواقدي)

وجاء في خطبة له عليه السلام اخرى من خطبه يوم الجمل عبارة (وقد أرعدوا وأبرقوا) رواها ابن أعثم في فتوحه كما نقل ذلك الخطيب الخوارزمي

قال ابن ابي الحديد : « أرعدو أبرق إذا وعد وتهدد ، وكان الأصمعي ينكره ويزعم انه لا يقال إلا رعد وبرق ، ولما احتج عليه ببيت الكميت :

أرعــد وأبرق يا يزيد فما رعيدك لي بضائر

قال : الكميت قروي لا يحتج بقوله ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حجة دالة على بطلان كلام الأصمعي »[١] .

انظر إليه يجعل من رواية « نهج البلاغة » حجة على اللغويين وإن كانوا من طراز الأصمعي وما ذلك إلا لقناعته بصحة رواية الشريف

ويشبه احتجاج ابن ابي الحديد على الأصمعي احتجاج الامام الشيخ محمد عبده حيث قال في شرح قوله عليه السلام:(ولقد واسيته بنفسي في المواطن كلها) :«المواساةبالشيء الاشراك فيه،فقد أشرك النبي في نفسه،ولا تكون بالمال الا أن يكون كفافاً ، فان أعطيت عن فضل فليست بمواساة . قالوا : والفصيح في الفعل آسيته، ولكن نطق الامام حجة وأعاده في موضع آخر فقال : المواساة من آساه إذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل أو مطلقاً ، وقالوا:ليست مصدراً لواساه فانه غير فصيح وتقدم للامام استعماله وهو حجة[٢] »

فترى الشيخ هنا يذهب إلى أن المفردات صادرة عنه عليه السلام فضلا عن الجمل ، حتى جعل من ذلك حجة على علماء اللغة .

---

(١) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٧٩ .
(٢) نهج البلاغة : ٢ / ١٩٧ و ج ٣ ص ٧٢ .

١٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَلاَ وإِنَّ ٱلشَّيْطانَ قدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ[١] ، وإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي ، مَا لَبَّسْتُ عَلَىٰ نَفْسِي وَلا لُبِّسَ عَلَيَّ[٢] ، وَأَيْمُ ٱللهِ لأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[٣] ، لاَ يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَلاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ[٤] .

هذا الفصل ملتقط من خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار ،رواها ابن ميثم بكاملها في (شرح نهج البلاغة) ج ١ ص ٢٣٣ وقد ذكر الرضي عليه الرحمة فصولا منها في ثلاثة مواضع من « نهج البلاغة » هنا وتحت رقم (٢٢) خطب ، وتحت رقم (١٣٥) خطب ، عند قوله : ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير :(والله ما أنكروا علي منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ...)الخ [٥] .

وقد ذكر الرضي سبب هذا التكرار في مقدمة « النهج » فقال : « وربما

---

(١) رجله – بفتح فسكون – جمع راجل ضد الفارس .

(٢) يقال : لبس عليه الأمر : اشتبه ، وفي الحديث « العالم بزمان لا تدخل عليه اللوابس » أي الشبه ومعنى كلامه عليه السلام أنه على بصيرة ويقين من أمره .

(٣) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض ، والماتح المستقي من البئر .

(٤) أي إنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ولا يصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود إليها

(٥) انظر نهج البلاغة ج ١ / ٣٨ و ٥٥ و ج ٢ / ٢٦ .

جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر ، والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً ، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول ، إما بزيادة مختارة ، أو بلفظ أحسن عبارة فتقضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار ، وغيرة على عقائل الكلام [1] ، وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولا فأعيد بعضه سهواً ونسياناً ، لا قصداً واعتماداً [2] .

وقد روى المفيد هذا الفصل في (الإرشاد) ص ١١٨ وسيأتي القول -إن شاء الله- عند الكلام على المختار الأخير تحت رقم (١٧٢) خطب ، إن هذا الفصل متصل به .

١١- وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الرّاية يوم الجمل

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ [3] ، أَعِرِ ٱللهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي ٱلأَرْضِ قَدَمَكَ [4] ، أَرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ ، وَغُضَّ بَصَرَكَ [5] وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ .

---

(١) عقائل الكلام كرائمه ؛ وعقيلة الحي : كريمته .

(٢) نهج البلاغة ١ ص ٥ .

(٣) النواجذ : أقصى الأضراس أو كلها ، والناجذ واحدها ، لأن الرجل إذا عض على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه .

(٤) أي ثبتها كالوتد

(٥) كانت العرب تقول للشجاع المغامر غشمشم أي لا يبصر ما بين يديه في الحرب لتقحمه فهذا معنى قوله عليه السلام «غض بصرك» أي اقتحمهم ولا تبال بهم كأنك لم تبصرهم.

روى هذا الكلام أبو الحسن علي بن مهدي المامطيري — من علماء الزيدية — في كتابه « نزهة الأبصار ومحاسن الآثار » قال : ونظرت عائشة إليه (أي أمير المؤمنين عليه السلام) وهو يجول بين الصفين فقالت : انظروا إليه لكأن فعله فعل رسول الله يوم بدر ، أم والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس ، فقال علي عليه السلام : (عما قليل ليصبحن نادمين : المؤمنون — ٤٠) . فجدّ الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : اللهم إني أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين ، ثم أخذ المصحف وطلب مَنْ يقرأ عليهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما — الآية : الحجرات — ٩) فقال مسلم المجاشعي : ها أنا ذا فخوفه بقطع يمينه وشماله وقتله ، فقال : لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله ، فأخذه ودعاهم إلى ذلك فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت ، فأخذه بأسنانه فقتل ، فقالت أمه :

يا رب إن مسلماً أتاهم بمحكم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم فزملوه زملت لحاهم

فقال عليه السلام : الآن طاب الضراب ، وقال لمحمد بن الحنفية والراية بيده :

« يا بني تزول الجبال ولا تزل ، عضّ ناجذك أعر الله جمجمتك ، تد في الأرض قدميك ، ارم ببصرك أقصى القوم ، واعلم أن النصر من الله) ... الخ .

والمامطيري وإن تأخر عن الشريف الرضي بزمان ليس ببعيد إلا أن السياق والتفاوت اليسير بين الروايتين نستظهر منه أن مصدره غير « النهج »

ورواه الزمخشري في الجزء الرابع من (ربيع الأبرار)في باب القتل والشهادة بتفاوت يسير جداً .

١٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لَمَّا أَظْفَرَهُ ٱللهُ بِأَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ وَقَد قَالَ لَهُ بَعضُ أَصحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلاَناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرى مَا نَصَرَكَ ٱللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ . فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا ؟ ١ فَقَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا . وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ ٱلرِّجَالِ وَأَرحَامِ ٱلنسَاءِ ، سَيَرعُفُ بِهِمُ ٱلزَّمَانُ٢ وَيَقوَى بِهِمُ ٱلإِيمَانُ .

عثرت على ما هو في معناه . رواه البرقي في كتاب مصابيح الظلم من كتب « المحاسن » ١ ـ ٢٦٢ بسنده عن الحكم بن عيينه قال : لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف ، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا

---

(١) الهوى : الميل والمحبة .

(٢) يرعف بهم الزمان : أي يأتي بهم على غير انتظار كما يأتي الأنف بالرعاف .

في هذا الموقف اناس لم يخلق آباؤهم ولا أجدادهم بعد ، فقال الرجل : وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا ؟ قال بلى قوم يكونون في آخر الزمان ، يشركوننا فيما نحن فيه ، وهم يسلمون لنا ، فأولئك شركاؤنا فيما نحن فيه حقاً حقاً .

وعلى كل حال فمصدر الشريف غير هذه الرواية ، وتعدد القضية ممكن واتحادها ممكن أيضاً ، وليس فيما رواه الشريف الرضي رحمه الله ما يخالف الكتاب العزيز ، أو يعارض السنة المطهرة ، أو ينافي العقل السليم « فلكل امرىء ما نوى » و « الأعمال بالنيّات » و « من أحب عمل قوم أشرك في عملهم » و « إنما يجمع الناس الرضا والسخط) ولا يهمنا اختلاف اللفظ بعد ثبوت المعنى إذ الغاية من تأليف هذا الكتاب بيان إمكان صدور محتويات « النهج » عن أمير المؤمنين عليه السلام

١٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذم أهل البصرة :

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ، أَخلاَقُكُم دِقَاقٌ١ ، وَعَهدُكُم شِقَاقٌ ، وَدِينُكُم نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ٢ ، وَٱلْمُقِيمُ بَينَ

---

(١) البهيمة : الجمل . ودقة الأخلاق : دنائتها .

(٢) زعاق : مالح .

أَظْهرِكُمْ مُرْتَهِنٌ بِذَنْبِهِ ، وَٱلشَّاخِصُ١ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهَا ٱلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمنِهَا. (وَفِي رِوَايَة) وَأَيْمُ ٱللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ٢ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ ٣ .

(وَفِي رِوَايَةٍ) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

(وَفِي رِوَايَةٍ) أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ ٱللهِ تُرْبَةً ، أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ ٱلشَّرِّ ، ٱلْمُحْتَبِسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَٱلْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللهِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا ٱلْمَاءُ حَتَّى مَا يُرىٰ مِنْهَا إِلا شُرَفُ ٱلْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

---

(١) يقال : شخص من بلد إلى بلد أي ذهب .
(٢) الجؤجؤ : الصدر ، وأصل الجؤجؤ : عظم الصدر .
(٣) من جثم الطائر إذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض .

فلينظر منصف بعينه إلى شدّة احتياط الشريف الرضي في الرواية ، وأمانته في نقل كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو وإن كان يختار من الكلام الطويل حسب موضوع كتابه لكنه يتحرج أن يسوق الكلام الوارد بروايات مختلفة بمساق واحد ، فتراه هنا يذكر اختلاف الروايات ويكرر كلمة « وفي رواية » وكم لاحتياطه هذا من نظائر يعرفها من أنس بمدارسة « نهج البلاغة » فتراه يقول معقباً على بعض الخطب : « قد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا أنا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف »[1] .

وآونة يقول : (وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره)[2] وامثال ذلك كثير .

فعلى ما ذكرنا يتهافت قول ابن ابي الحديد عند شرحه لاحدى الخطب : « واعلم أن هذه الخطبة — أي الرسالة — قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » على وجه يقتضي أن ما ذكره الرضي منها قد ضم اليه بعض خطبة أخرى وهذه عادته ، لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه »[3] .

فالرضي رحمه الله وإن كان — احياناً — ينتخب من الخطبة الطويلة بعض كلمات هي أبلغ ما فيها فيوردها بايراد واحد ولكنه لا يضم من كلامه عليه السلام خطبة إلى أخرى ، ولا يدمج كتاباً في آخر .

أما هذا الكلام الذي نحن في صدد التحقيق عن مصادره ، فقد رواه جماعة من المؤلفين قبل الشريف الرضي ، نذكر منهم الدينوري في (الأخبار

---

(١) نهج البلاغة : ١ / ٢٠٤ .
(٢) المصدر نفسه : ٣ / ٢٥ .
(٣) شرح نهج البلاغة : م٣ / ٤١٢ .

الطوال) : ص ١٥٣ ، والمسعودي في (مروج الذهب ٢ – ٣٧٧) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » : ١ – ٢١٧ وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ – ٣٢٨ وعلي بن ابراهيم في تفسيره ص ٦٥٥ وغيرهم .

ويظهر مما في (البحار) : م ٨ ص ٤٤٧ أن هذه الخطبة طويلة وقد نثرها ابن ميثم البحراني في (شرح نهج البلاغة) بحسب المقتضيات فجمع المجلسي شتاتها ، ونظم ما انفرط من عقدها ، وأوردها إيراداً واحداً ، وفيها من ذم أهل المعصية من أهل البصرة ، ومدح أهل الطاعة منهم ، مع بيان لماذا مدح هؤلاء وذم أولئك ، وأخبر فيها بمغيبات كثيرة منها غرق البصرة . ونحن نقتطف لك منها ما يحتمله كتابنا هذا وعسى أن لا نخرج بذلك عن الصدد :

قال المجلسي رحمه الله : روى الشيخ كمال الدين ابن ميثم البحراني مرسلا أنه لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة لجامعة [1] لثلاثة أيام من غد إن شاء الله ، ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة ، أو علة ... فلما كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع ، فلما قضى صلاته قام وأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي وآله ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال :

يا أهل البصرة – وذكر ما ذكره الرضي في هذا الموضع وفي آخره –

---

(١) معنى الصلاة لجامعة أن أولياء الأمور يومئذ إذا أرادوا تبليغ الناس أمراً هاماً نادوا بهذا النداء .

كأني أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر .

قال : فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له : يا أمير المؤمنين متى يكون ذلك ؟ فقال عليه السلام : يا أبا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان ، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا رأوا البصرة قد تحولت اخصاصها دوراً ، وآجامها قصوراً فالهرب الهرب فانه لا بصرة لكم يومئذ — إلى أن قال — والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة ، وإن عندي من ذلك لعلماً جماً ، وإن تسألوني تجدوني به عالماً ، ولقد استودعت علم القرون الأولى ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .

ومنها : يا أهل البصرة أنتم أقوم الناس قبلة ، قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس ، وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته ، ومتصدقكم أكرم الناس صدقة ، وغنيكم أكثر الناس بذلا وتواضعاً ، وشريفكم أحسن الناس خلقاً ، وأنتم أكرم الناس جواراً ، وأقلهم تكلفاً لما لايعنيه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة [1] ، ثمرتكم أحسن الثمار ، وأموالكم أكثر الأموال ، وصغاركم أكيس الأولاد ، ونساؤكم أقنع النساء وأحسنهن تبعلا ، سخر لكم الماء يغدوا عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم ، والبحر سبباً لكثرة أموالكم ، فلو صبرتم واستقمتم لكانت لكم شجرة طوبى مقيلا ، وظلا ظليلا ، غير ان حكم الله فيكم ماض ، وقضاءه نافذ ، لا

---

(١) لا تزال هذه الحالة الحسنة فيهم فتراهم على اختلاف مذاهبهم أحرص على الصلاة في جماعة من غيرهم في سائر البلاد .

معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب يقول الله : (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة ، أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، الاسراء : ٥٨) .

وأقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكيراً وموعظة لما بعد كيلا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم ، ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية رهبة مني لكم ، ولا رغبة في شيء مما قبلكم ، فاني لا أريد المقام بين أظهركم ... الخ .

وبذلك تعرف أن أمير المؤمنين لم يرد بكلامه هذا ذم البصرة وأهلها مطلقاً ، وإنما قصد أولئك الذين أعانوا أعداءه ، وآذوا أولياءه ، وشمروا لحربه ، وشهروا السلاح في وجهه ، والأرض تشقى وتسعد ، والأمكنة لا ترفع أهلها ولا تضعهم وإنما ترفعهم الأعمال الصالحة ، وتضعهم الأفعال القبيحة ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولا بد هنا من التنبيه إلى منقبة واحدة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وهي أنه عليه السلام أخبر أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها ، وقد وقع هذا الذي أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام فان البصرة غرقت مرتين ، مرة في أيام القادر بالله ، ومرة في أيام القائم بأمر الله ، غرقت بأجمعها ، ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع ، بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ، جاءها الماء من جهتين من جهة البحر ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل سنام ، وغرقت دورها وغرق كل ما فيها ، وهلك كثير من أهلها .

قال ابن أبي الحديد : وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة

يتناقله خلفهم عن سلفهم[1] .

ولا يستطيع أحد أن يقول : إن الرضي وضع ذلك في (نهج البلاغة) بعد وقوع الأمر فان ذلك وقع بعد وفاته [2] .

وشيء آخر أود التنبيه عليه وهو : فلينظر الناظر إلى ما بقي من رسوم ذلك المسجد الجامع عندما يتجه من البصرة إلى بلدة الزبير ليراه من بعيد وكأنه جؤجؤ سفينة .

١٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السمَاءِ ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ[3] ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

روى هذا الكلام ضمن خطبة له عليه السلام شيخنا المفيد في كتاب (الجمل) ص ٢١٧ عن كتاب (الجمل) للواقدي بسند متصل بالحرث بن سريع قال : لما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً وقال :

---

(١) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٨٤ وانظر ص ١٧٢ من هذا الجزء .
(٢) كما تورط الأستاذ العقاد فذهب إلى ذلك في (عبقرية الامام) : ص ١٧٧ .
(٣) الغرض : الهدف ، والنابل : الرامي بالنبل .

أيها الناس : إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ، ومغفرة دائمة لأهل طاعته ، وقضى أن نقمته وعقابه على أهل معصيته ، يا أهل البصرة ، يا أهل المؤتفكة ، ويا جند المرأة وأتباع البهيمة ، — إلى أن قال عليه السلام : أرضكم قريبة من الماء . وذكر هذا الكلام باختلاف يسير عما في (النهج) وكذلك أبو حنيفة الدينوري روى في (الأخبار الطوال ص ١٥١): قريباً من رواية المفيد ، وروى ابن قتيبة فقرات منه في (عيون الأخبار) : م١ ص ٢١٧ ويظهر من ذلك أن هذا الكلام والذي قبله كلام واحد رواه الرضي رحمه الله متقطعاً لاختلاف الروايات كما أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب .

١٥ـ ومن كلام له عليه السلام

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه

وَٱللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ ٱلنِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ ٱلْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ .

هذا الكلام من خطبة له سلام الله عليه خطب بها في اليوم الثامن من بيعته بالمدينة أي الخطبة المذكورة في « النهج » بعد هذا الكلام كما أشار إلى ذلك ابن ميثم في شرحه [1] .

---

(١) ج ١ ص ٢٩٥ .

ورواها أبو هلال العسكري في كتاب « الأوائل » ورواها القاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ٣٩٦ قال : وروينا عنه صلوات الله عليه أنه خطب الناس بعدما بايعوه فقال في خطبته : « الا وكل قطيعة أقطعها عثمان ، أو قال أعطاه من مال الله فهو رد على المسلمين في بيت مالهم ، فان الحق لا يذهبه الباطل ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدته تزوج به النساء ... الخ » . والمسعودي في (اثبات الوصية) ص : ١٢٠ . ورواها الكلبي بسنده عن أبي صالح عن ابن عباس : أن علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال : « الا إن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال . فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان لرددته إلى حاله ، فان في العدل سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق » .

قال الكلبي ثم أمر عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض ، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت ، وأمر بقبض سيفه ودرعه ، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين ، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وأمر بالأموال التي أجاز بها عثمان حيث اصيبت أو اصيب أصحابها — إلى أن قال — : وقال الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان من امه يذكر قبض علي عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه :

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا ؟ وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم كيف التودد منكم وبزّ ابن أروى فيكم وحرائبه
بني هاشم إن لا تردوا فاننا سواء علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم إنا وما كان منكم كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بأبيات من جملتها

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم اصيب والقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله شبيهاً بكسرى هديه ومضاربه [1]

وفسر ابن أبي الحديد البيت الأخير بتفسير أضربت عن نقله مخافة أن ينسبنا ناسب إلى شيء .

واغتنم عمرو بن العاص فرصة رد القطائع ـ وكان بأيلة من أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها ـ فكتب إلى معاوية : ما كنت صانعاً فاصنع إذ قشرك ابن ابي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها [2] .

١٦ـ ومن خطبة له عليه السلام

لما بويع بالمدينة :

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ٣ ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ . عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ ٤

---

(١) شرح ابن ابي الحديد م : ١ / ٢٧٠ وقد نسب المسعودي في (مروج الذهب) : ج ٢ ص ٣٥٦ . أبيات الرد إلى الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب

(٢) المصدر السابق م١ / ٢٧٠ .

(٣) رهينة : كناية عن الضمان والالتزام ، والزعيم : الكفيل .

(٤) العبر ـ جمع عبرة ـ وهي الموعظة ، والمثلات : العقوبات .

حَجَزَتْهُ ٱلتَّقْوى عَنْ تَقَحُّمِ ٱلشُّبُهَاتِ ، أَلا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهيئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللهُ نَبِيَّكُمْ صَلّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(١) ، وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً ، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً(٢) ، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ ٱلْقِدْرِ(٣) ، حَتَّى يَعودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ ، وَأَعْلاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصرُوا ، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا ، وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٤) ، وَلاَ كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذَا ٱلْمَقَامِ وَهذَا ٱلْيَوْمِ ، أَلاَ وَإِن ٱلْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي ٱلنَّارِ ، أَلاَ وَإِنَّ ٱلتَّقْوى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا

---

(١) البلية التي يقصدها عليه السلام هي إثارة العداوات والفرقة والشتات ، والتعصب للباطل وأمثال ذلك وقد عادت كما كانت في الجاهلية .

(٢) التبلبل : الاختلاط لأن غربلة الدقيق تخلط بعضه ببعض فهم يغربلون أي يمتحنون لاستخلاص الصالح من الفاسد حتى يتميز الخبيث من الطيب كما يميز الدقيق من النخالة عند الغربلة.

(٣) لتساطن : لتخلطن خلط ما يجعل في القدر ويساط بالمسوط وهو آلة من خشب يحرك بها ما في القدر ليختلط .

(٤) الوشمة : الكلمة .

أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ ٱلْجَنَّةَ١ ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ؛ وَلِكُلٍّ أَهْلٌ ، فَلَئِنْ أَمِرَ ٱلْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ ٱلْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ٢ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

قال الرضي رحمه الله تعالى : أقول : إنَّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع ٱلاحسان مَا لا تبلغه مواقع الاستحسان ، وإن حظ العَجب منه أكثر من حظ العجب به – وفيه مع الحال التي وصفنا – زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، ولا يطَّلع فجَّها إنسان ، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق ، وجرى فيها على عرق ٣ . (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ) .

وَمِنْ هذِهِ الخُطْبَةِ :

شُغِلَ مَنِ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ أَمَامَهُ ، سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا٤ ،

---

(١) شمس – بضمتين وبضم فسكون – جمع شموس وهي الفرس التي تمنع ظهرها أن يركب ، ومرتكب الخطيئة لا بد أن تقتحم به النار ، كراكب الشموس التي خلع عنها عنانها فانها لا بد أن ترديه في المهالك وشبه التقوى بالذلل جمع ذلول وهي المروضة فان صاحبها في أمن من التردي .

(٢) أمر الباطل أي كثر ، ولعل أي ربما كثر الحق ولعله ينتصر .

(٣) الفج الطريق بين الجبلين ، والعرق : الأصل .

(٤) قسم الناس إلى ثلاثة : ساع مجتهد ، وطالب راج ، ومقصر هالك وهذا ناظر إلى قوله تعالى : (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله .. فاطر : ٣٢) .

وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا وَمُقَصِّرٌ فِي ٱلْنَّارِ هَوى ، ٱلْيَمِينُ وَٱلشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَٱلطَّرِيقُ ٱلْوُسْطى هِيَ ٱلْجَادَّةُ١ ، عَلَيْهَا بَاقِي ٱلْكِتَابِ وَآثَارُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ ٱلسُّنَّةِ وَإِلَيْهَا مَصِيرُ ٱلْعَاقِبَةِ ، هَلَكَ مَنِ ٱدَّعى ، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرى٤ ، مَنْ أَبْدى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ٢ ، وَكَفى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لاَ يَعْرِفَ قَدْرَهُ ، لاَ يَهْلِكُ عَلَى ٱلتَّقْوى سِنْخُ أَصْلٍ٣ ، وَلاَ يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ ، فاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ ، وَٱلتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلاَ يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلاَّ رَبَّهُ ، وَلا يَلُمْ إِلاَّ نَفْسَهُ .

قال ابن أبي الحديد : « هذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها رواها الناس كلهم ، وفيها زيادات حذفها الرضي إما اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين » .

قال : « وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين) على وجهها ، ورواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : أول خطبة خطبها

---

(١) لعل أحسن ما يفسر به هذا الكلام قوله عليه السلام الآتي في باب الكلمات القصار برقم : (١٠٩) : (نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي) .

(٢) قال ابن أبي الحديد : « كأنه يقول هلك من ادعى الإمامة ، وردي من اقتحمها وولجها من غير استحقاق لأن كلامه عليه السلام في هذه الخطبة كله كنايات عن الامامة لا غيرها »

(٣) السنخ من كل شيء أصله الذي يقوم عليه والجمع أسناخ .

أمير المؤمنين علي بالمدينة في خلافته ، حمد الله ، وأثنى عليه وذكر الخطبة» ثم قال : « قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى : قال أبو عبيدة وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام : ألا إن أبرار عترتي ، وأطائب أرومتي[1] ، أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ، فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ، معنا راية الحق من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق ، ألا وبنا يدرك ترة[2] كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم وبنا فتح لابكم ، وبنا ختم لا بكم » [3] .

وفسر ابن الأثير غريبها في (النهاية) ج١ ص ١٣٢ مادة (وشم) قال في حديث علي : « والله ما كتمت وشمة أي كلمة حكاها الجوهري عن ابن السكيت « ما عصيته وشمة» أي كلمة .

لا حظ أن ابن السكيت[4] الذي استشهد عام ٢٤٤ يرويها .

وأوردها ابن ميثم في شرحه ج ١ ص ٢٩٧ بتمامها ، ويقول الشيخ المفيد في (الارشاد) : ص ١٣٩ : « إن هذه الخطبة من كلامه الذي رواه

---

(١) الأرومة : – بالفتح – : الأصل .

(٢) الترة : الثار .

(٣) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٩٢ وانظر (البيان والتبيين) : ج ١ ص ١٧١ .

(٤) ابن السكيت يعقوب بن اسحق الدروقي العالم الأديب النحوي اللغوي صاحب المؤلفات المفيدة التي منها (إصلاح المنطق) كان المتوكل قد طلب اليه تأديب ولديه المعتز والمؤيد ، وحظى بذلك حتى كانا يتسابقان على تقديم نعليه ، قتله المتوكل في الخامس من رجب سنة (٢٤٤) وسببه أنه قال له : ابناي هذان أفضل أم الحسن والحسين فغضب الشيخ وقال : والله ان قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ولديك فأمر الأتراك بسل لسانه من قفاه فسلوه فمات رحمه الله .

الخاصة والعامة عنه » . قال : « وذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى [1] وغيره ممن لا يتهمه خصوم الشيعة في روايته » .

ومن رواة هذه الخطبة قبل الشريف الرضي رحمه الله تعالى ابن قتيبة في كتاب العلم والايمان من كتب (عيون الأخبار) : م ٢ ص ٢٣٦ وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧٠ — كما مر قريباً — وابن عبد ربه في (العقد الفريد) : ج ٢ ص١٦٢ ، ورواها الكليني في (روضة الكافي) : ص ٦٧ مسندة . قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال :

« الحمد لله الذي علا فاستعلى» وذكر الخطبة. وروى الكليني أيضاً بعض هذه الخطبة في باب التمحيص والامتحان من كتاب الحجة من (أصول الكافي) : ج ١ ص ٣٦٩ بنفس السند عن أبي عبد الله عليه السلام . إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها ، يقول فيها : « ألا إن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ، ولتغربلن غربلة حتّى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سباقون كانوا قصروا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم » .

وإذا كان بين هذه المصادر التي ذكرتها اختلاف في بعض الألفاظ ، وزيادة في بعض ، ونقصان في آخر فانها بمجموعها تشتمل على ما اختاره الشريف الرضي من هذه الخطبة ، وإنه مسبوق برواية جميع ما رواه منها .

---

(١) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء ولد في البصرة سنة ١١٠ وتوفي في بغداد سنة ٢٠٩ كان من أجمع الرواة لعلوم العرب وأنسابهم وأخبارهم وكان يقول : (ما التقى فرسان في جاهلية أو إسلام إلا عرفتهما ، وعرفت فارسيهما) له حكايات في مجلس الرشيد من المناظرة والمناقشة مذكورة في محالها من كتب الأدب ، وكان شديد الطعن ، حاد اللسان ، لم يسلم شريف من طعنه ، وكان يتهم بالشعوبية ، والميل إلى رأي الخوارج .

١٧- وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في صفة من يتصدّى للحُكم بين الأُمّة وليس لذلك بأهل.

إنَّ أَبْغَضَ ٱلْخَلائقِ إلى ٱللهِ رجُلان: رجُلٌ وَكَلَهُ ٱللهُ إلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ١ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ٢ ، وَدُعَاءِ ضَلالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ ٱفْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ٣ وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً٤ مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ ٱلْأُمَّةِ٥ ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ ٱلْفِتْنَةِ٦ . عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ

(١) وكله إلى نفسه : تركه ونفسه ، وجائر عن قصد السبيل : عادل عنه .

(٢) المشغوف بالشيء : المولع به ، وكلام البدعة : ما اخترعته الأهواء .

(٣) هذا الضال قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها ، حامل خطايا الذين أضلهم .

(٤) قمش جهلا : جمعه .

(٥) موضع أي مسرع يقال : أوضع الراكب بعيره : أسرع به .

(٦) الأغباش : الظلمات واحدها غبش بالتحريك .

ٱلْهُدْنَةِ ١ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ ٱلنَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ . بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَاقَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ٢ حَتَّى إِذَا ٱرْتَوَى مِنْ آجِنٍ ٣ . وَٱكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ . جَلَسَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ قَاضِياً . ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا ٱلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ ٤ ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى ٱلْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ٥ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ ٱلشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ ٱلْعَنْكَبُوتِ . لاَ يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاَتٍ ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى ٱلْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ ٦ ،

---

(١) عم وصف من العمى أي جاهل ، والهدنة : امهال الله له في العقوبة . والمراد من عقد الهدنة مدتها وتروي « غيب الهدنة » أي في طيها وضمنها .

(٢) بكر : بادر إلى الجمع كالجاد في عمله يبكر إليه من أول النهار ، واستكثر أي احتاز كثيراً من جمع – بالتنوين – أي مجموع .

(٣) الماء الآجن : الفاسد المتغير الطعم واللون . واكتنز: عد ما جمعه كنزاً وهو غير طائل، أي ليس فيه غناء ويقال ذلك في التذكير والتأنيث ولا يتكلم فيه إلا في الجحد .

(٤) التخليص : التبيين ، والتبس على غيره : اشتبه .

(٥) المبهمات : المشكلات لأنها ابهمت عن البيان كالصامت ، والحشو : الزائد لا فائدة فيه ، والرث : الخلق البالي . والعاشي الذي لا يبصر ليلا ، والعشوات جمع عشوة – بتثليث العين – ركوب الأمر على غير هدى .

(٦) من عادة عاجم العود أي مختبره ليعلم صلابته من لينه أن يعضه فلهذا ضرب المثل للخبرة بالعض بضرس قاطع .

يُذْرِي ٱلرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ ٱلرِّيحِ ٱلْهَشِيمَ[1] ، لاَ مَلِيءٌ وَٱللهِ بِإِصدارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلاَ هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ[2] . لاَ يَحْسَبُ ٱلْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ ٱكْتَتَمَ بِهِ[3] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ . تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ ٱلدِّمَاءُ . وَتَعِـجُّ مِنْهُ ٱلْمَوَارِيثُ[4] إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً[5] وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ . وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً[6] وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ .

رواة هذا الكلام من المتقدمين على الرضي كثير :

منهم : ابن قتيبة في (غريب الحديث) رواه وفسر غريبه، كما نقل ابن

---

(١) الهشيم : ما يبس من النبت وتفتت ، وأذرته الريح : أطارته . ففرقته .

(٢) المليء بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه .

(٣) اكتتم به : أي كتمه وستره .

(٤) العج : رفع الصوت ، وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الجور .

(٥) « إلى الله » متعلق بأشكو ، وفي رواية إسقاط لفظ « أشكو » فيكون « إلى الله » متعلقاً بتعج ، « من معشر » يشير إلى اولئك الذين قمشوا جهلا .

(٦) أبور من بارت السلعة إذا كسدت ، وأنفق من النفاق – بالفتح – وهو الرواج .

أبي الحديد عنه شرح هذا الكلام مع اختلاف بين روايته ورواية الرضي في بعض الألفاظ (١) .

ومنهم الكليني في (اصول الكافي) : ج١ ص ٥٥ ، رواه بسند ين أحدهما عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، والثاني من طريق ابن محبوب (٢) .

ومنهم : أبو طالب المكي في (قوت القلوب) : ١ — ٢٩٠ ، قال : وقد وصف علي عليه السلام علماء الدنيا الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب ، رويناه عن خالد بن طليق عن أبيه عن جده ، قال : وجده عمران ابن حصين ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام ورضي الله عنه فقال : « ذمتي بما أقول رهينة ، وأنا به زعيم ، لا يهيج على التقوى زرع قوم ، ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وكفى بالمرأ جهلا أن لا يعرف قدره (٣) ، إن أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجل قمش علماً » وذكر الكلام الذي ذكره الشريف بتفاوت يسير .

ومنهم الهروي في « الجمع بين الغريبين » انظر مادة (خبط) من نهاية ابن الأثير .

---

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد : م ١ ص ٩٠ .

(٢) هو أبو علي الحسن بن محبوب الكوفي المعروف بالسرّاد مولى بجيلة ثقة جليل القدر يروى عن ستين رجلا من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وروى عن الامام الرضا عليه السلام ودعا له الرضا وأثنى عليه في كتاب كتبه اليه ، رواه السيد ابن طاووس في كتاب « غياث سلطان الورى لسكان الثرى » عن كتاب « المشيخة » للسراد المذكور وتوفي في آخر سنة « ٢٢٤ » وخلف كتباً كثيرة منها « المشيخة » و « الحدود » و « الديات » و « الفرائض » و « النكاح » و « الطلاق » و « النوادر » في نحو الف ورقة .

(٣) من أول ما رواه المكي إلى هنا من خطبته عليه السلام لما بويع بالمدينة وقد مرت تحت رقم : ١٦ فراجع .

ومنهم القاضي النعمان في كتاب « اصول المذهب » : ص ١٣٥ .

وممن رواه بعد الشريف الشيخ الطوسي في « الأمالي» ج ١ ص ٢٤٠ بسند متصل بخالد بن طليق أيضاً ، وزاد في آخره فقال : رجل يا أمير المؤمنين فمن نسأل بعدك ؟ وعلى من نعتمد ؟ فقال : استفتحوا بكتاب الله فانه امام مشفق وهاد مرشد ، وواضح ناصح ، ودليل يؤدي إلى الله عز وجل .

ورواه الطبرسي في « الاحتجاج » : ج ١ ص ٣٩٠ والمفيد في « الارشاد » ص ١٠٩ إلى غير اولئك ممن يطول الكلام بتعدادهم .

١٨ــ ومن كلام له عليه السلام

في ذم اختلاف العلماء في الفُتيا .

تَرِدُ عَلَىٰ أَحَدِهِمُ ٱلْقَضِيَّةُ فِيْ حُكْمٍ مِنَ ٱلْأَحكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ ٱلْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ، ثم يَجْتَمِعُ ٱلْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْإِمَامِ ٱلَّذِي ٱسْتَقْضَاهُمْ[1] فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ، أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِالاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ

(١) الامام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولا هم القضاء .

نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ ٱلرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ؟ وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ (مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)١ وَقَالَ : (فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ)٢ وَذَكَرَ أَنَّ ٱلْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لاَ ٱخْتِلاَفَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً)٣ . وَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ٤ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ ، وَلاَ تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِهِ .

الظاهر من رواية محمد بن طلحة الشافعي لهذا الكلام أنه تابع لما قبله فقد رواهما بمسرد واحد في ج١ : ١٤١ من كتابه « مطالب السؤول » وابن طلحة الشافعي وإن كان من المتأخرين عن الشريف الرضي (٤) لكن

---

(١) الانعام : ٣٨ ومعنى « ما فرطنا » ما تركنا ولا أغفلنا ولا ضيعنا .
(٢) النساء : ٨١ .
(٣) أنيق : حسن معجب وآنقني الشيء : أعجبني .
(٤) انظر ص ٤١٧ من هذا الجزء .

روايته لها بهذه الصورة مع اختلاف جزئي في بعض الكلمات يدلنا على أن مصدره غير « نهج البلاغة » .

أما فصل الرضي بينهما بقوله : ومن كلام له عليه السلام ، فلعله نقله من موضعين ، أو أن هذا العنوان من زيادة النساخ ، والأصل في ذلك أنه أنه عليه الرحمة بعد أن ذكر الكلام الأول ، وهو في صفات من سمى عالماً وليس به أراد أن ينبه على اختلاف العلماء الذين هم من هذا النوع فقال : ومن هذا الكلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا . ثم حرفها النساخ إلى ما ترى .

ومن رواة هذا الكلام بعد الرضي الشيخ أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي المتوفى سنة (٥٥٨) في « الاحتجاج » ص ١٣٩ ولم يذكر أنه نقله عن « نهج البلاغة » .

ويظهر من رواية القاضي النعمان المصري المتقدم على الشريف الرضي في « دعائم الإسلام » أن هذا الكلام معروف بين أصحاب الأئمة عليهم السلام فقد ذكر أن ابن اذينة [1] وهو من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : دخلت يوماً على محمد بن [2] عبد الرحمن

---

(١) ابن اذينة بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة وسكون الياء تحتها نقطتان ، هو عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن اذينة ممن روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وهو شيخ أصحابه بالبصرة طلبه المهدي العباسي فهرب إلى اليمن ومات هناك ، له كتاب « الفرائض » .

(٢) سقط اسم محمد من المصدر وحررناه كما في المتن ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري القاضي الكوفي . كان أبوه عبد الرحمن من أكابر التابعين في الكوفة وفقهائهم سمع من أمير المؤمنين عليه السلام ، وقتل مع ابن الأشعث لما خرج على الحجاج بن يوسف . وجده أبو ليلى من الصحابة ، وشهد واقعة الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام وكانت معه إحدى الرايات .

وكان محمد المذكور من أصحاب الرأي ولي القضاء بالكوفة ٣٣ سنة من زمن بني أمية إلى أيام أبي جعفر المنصور . وعده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق (ع) وفي بعض الروايات=

ابن أبي ليلى بالكوفة ، فقلت أردت ، اصلحك الله ، أن أسألك عن مسائل — وانا يومئذ حدث السن — فقال : سل يا بن أخي عمـا شئت ، فقلت : أخبرني عنكم معاشر القضاة ترد عليكم القضية في المال والفرج والدم فتقضي فيها انت برأيك ، ثم ترد القضية بعينها على قاضي مكة فيقضي فيها بخلاف قضيتك ، ثم ترد على قاضي البصرة ، وقاضي اليمن ، وقاضي المدينة فيقضون فيها بخلاف ذلك ، ثم تجتمعون عند خليفتكم الذي استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضاياكم فيصوب رأي كل واحد منكم والهكم واحد ، ونبيكم واحد ، ودينكم واحد ! فأمركم الله عز وجل بالاختلاف فاطعتموه ؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه ؟ أم كنتم شركاء الله في حكمه فلكم أن تقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل ديناً ناقصاً ، فاستعان بكم في إتمامه ، أم أنزله تاماً فقصر رسول الله صلى الله عليه وآله عن أدائه ؟ ماذا تقولون ؟

فقال : من أين انت يا فتى ؟ قلت : من أهل البصرة .

قال : من أيها ؟ قلت : من عبد القيس ، قال : من أيهم ؟

قلت : من بني أذينة . قال : وما قرابتك من عبد الرحمن ابن أذينه ؟

قلت : هو جدي .

فرحب بي وقربني ، وقال : يابن أخي لقد سألت فغلظت وانهمكت فتعوصت [1] وسأخبرك إن شاء الله .

= مايدل على انحرافه ولعل ذلك من دواعي التقية .

ونقل عنه أنه سئل أن يذكر شيئاً من مناقب معاوية بن أبي سفيان : فقال نعم إن من مناقبه أن أباه قاتل النبي ، وهو قاتل الوصي ، وأمه أكلت كبد عم النبي ، وابنه حز رأس ابن النبي وأي منقبة أعظم من هذا ؟! توفي سنة ١٤٨ .

(١) اعتاص عليه الأمر إذا التوى ، وأعوص بالخصم إذا لوى عليه امره ؛ قال ابن الاعرابي عوص فلانا تعويصاً إذا القى اليه بيت شعر صعب الاستخراج .

أما قولك في اختلاف القضايا فانه إذا ما ورد علينا من أمر القضايا مما له في كتاب الله أصل ، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله خبر . فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنة ، وأما ما ورد علينا مما ليس له في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فأنا نأخذ فيه برأينا .

قلت : ما صنعت شيئاً لأن الله عزّ وجل يقول : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال (فيه تبيان كلّ شيء) ، ،أرأيت لو أن رجلا عمل بما أمره الله به وانتهى عما نهاه الله عنه ، أبقي عليه شيء يعذبه الله عليه إن لم يفعله أو يثيبه عليه إن فعله ؟ . قال : وكيف يثيبه على ما لم يأمره ، ويعاقبه على ما لم ينهه عنه ؟. قلت : وكيف يرد عليك من الأحكام ما ليس له في كتاب الله أثر ، ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خبر ؟

قال : أخبرك يابن أخي حديثاً حدثناه بعض أصحابنا يرفع الحديث إلى عمر بن الخطاب قال : إنه قضى قضية بين رجلين فقال له أدنى القوم إليه مجلساً : أصبت يا أمير المؤمنين ، فعلاه عمر بالدرة وقال : ثكلتك أمك ، والله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ ؟ إنما هو رأي اجتهدته ، فلا تزكونا في وجوهنا . قلت : أفلا أحدثك حديثاً ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أخبرني أبي عن أبي القاسم العبدي ، عن أبان عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : « القضاة ثلاثة هالكان وناج فأما الهالكان فجائر جار متعمداً أو مجتهداً أخطأ [1] ، والناجي من عمل بما أمره الله به » فقد انتقض حديثك يا عم . قال : أجل والله يابن أخي ، فتقول أنت : إن كل شيء في كتاب الله عز وجل ؟ قلت : الله قال ذلك ، وما من حلال ولا حرام ، ولا أمر

(١) المراد بالمجتهد هنا من قال باحكام الله بالرأي المطلق والا ستحسان المحض بدون إستناد إلى الأدلة المعلومة .

ولا نهي إلا وهو في كتاب الله عز وجل ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله ، ولقد أخبرنا الله عز وجل فيه بما لا يحتاج إليه . فكيف بما نحتاج إليه ؟ قال : كيف ؛ قلت قوله (فأصبح يقلب كفيه [1] على ما انفق فيها [2]) ، قال : فعند من يوجد علم ذلك ؟ قلت : عند من عرفت ، قال : وددت أني عرفته فاغسل قدميه ، وأخدمه واتعلم منه ، قلت : أناشدك الله هل تعلم رجلا كان إذا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه ، وإذا سكت عنه ابتدأه ؟ قال : نعم ، ذاك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . قلت : فهل علمت أن علياً عليه السلام سأل أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حلال وحرام ؟ قال : لا . قلت : فهل علمت أنهم كانوا يحتاجون إليه ، ويأخذون عنه ؟ قال : نعم . قلت : فذلك عنده. قال : فقد مضى فأين لنا به ؟ قلت : تسأل في ولده ، فان ذلك العلم فيهم وعندهم . قال : وكيف لي بهم ؟ قلت : أرأيت قوماً كانوا في مفازة من الأرض ومعهم أدلاء فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم وأخافوا بعضهم فهرب واستتر من بقي منهم لخوفهم فلم يجدوا من يدلهم فتاهوا في تلك المفازة حتى هلكوا ما تقول فيهم ؟ قال : إلى النار واصفر وجهه ، وكانت في يده سفرجلة فضرب بها الأرض فتهشمت وقال:إنا لله وإنا إليه راجعون [3].

وروى ذلك الصفار في (بصائر الدرجات) كما رواه عنه صاحب المختصر .

---

(١) أي يصفق بالواحدة على الأخرى كما يفعل المتندم الآسف على ما فاته .

(٢) الكهف : ٤٣ .

(٣) دعائم الإسلام : ١ / ٩٣ ، ومستدرك الوسائل ٣ / ١٧٤ .

١٩ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لِلأَشْعَث بْنِ قَيْسٍ١ وَهُوَ عَلى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَمَضى فِي بَعْضِ كَلامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الأَشْعَثُ فَقَال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذِهِ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ فَقَالَ:

---

(١) هو معدي كرب – وسمي الأشعث لأنه شعث الرأس أبداً – فغلب عليه حتى نسي اسمه – وأبوه قيس الأشج – سمي بذلك لأنه شج في بعض حروبهم – ابن معدي كرب بن معاوية الكندي، أسلم ثم ارتد عن الاسلام مع من ارتد من بني وليعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واجتمعوا حوله، وملكوه عليهم، وتوجوه كما يتوج الملك من قحطان وتوجهت إليهم جيوش المسلمين بقيادة زياد بن لبيد البياضي والي حضرموت والمهاجر بن أبي أمية والي صنعاء فانهزم الأشعث، وفرّ أصحابه، ولجأ إلى الحصن المعروف بالنجير، فحاصرهم المسلمون حصاراً شديداً حتى ضعفوا، فنزل الأشعث ليلا، وكلم المهاجر وزياداً فسألهما الأمان على نفسه، وعشرة من أهل بيته، حتى يقدموا فيهم على أبي بكر ويرى فيهم رأيه، على أن يفتح لهم الحصن، ويسلم اليهم من فيه، فأمناه، وأمضيا شرطه؛ ففتح لهم الحصن واستنزلوا كل من فيه، وأخذوا أسلحتهم، ثم قتلوا ثمانمائة، وحملوا الأشعث إلى أبي بكر – موثقاً في الحديد، هو والعشرة، فعفا عنه وعنهم، وزوجه أخته أم فروة بنت ابي قحافة فولدت للأشعث محمداً، واسماعيل واسحق، وقيساً المعروف بقيس القطيفة، وجعدة التي تزوجها الحسن عليه السلام فكان من صنيعها معه ما كان. وقال الطبري في «التاريخ»: ج ٣ ص ٢٧٥: (وكان المسلمون يلعنون الأشعث ويلعنه الكافرون أيضاً، وسماه نساء قومه عرف النار، كلام يمان يسمون به الغادر عندهم اه بتصرف)؛ وكان الأشعث رأس المنافقين في أيام امير المؤمنين عليه السلام، وسمع في الليلة التي ضرب بها امير المؤمنين يقول لابن ملجم: النجاء بحاجتك فقد فضحك الصبح. توفي سنة ٤٠ أي بعد مقتل أمير المؤمنين بقليل.

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللهِ وَلَعْنَةُ ٱللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ ٱبْنُ حَائِكٍ[1] مُنَافِقٌ بْنُ كَافِرٍ وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ ٱلْكُفْرُ مَرَّةً وَٱلْإِسْلَامُ أُخْرَى[2]، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ وَإِنَّ ٱمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ. وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلْأَقْرَبُ. وَلَا يَأْمَنَهُ ٱلْأَبْعَدُ[3].

اختلفوا في الكلام الذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام فاعترضه فيه الاشعث.

فقيل: ان أمير المؤمنين عليه السلام أخرج صحيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها «المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والناس أجمعين»

---

(١) لا أظن أن أمير المؤمنين عليه السلام يعير أحداً بمهنته مهما كانت لأنها كسب وليس في الكسب عار، خصوصاً وأن الأشعث ليس بحائك، فمعنى الحائك هو الذي يحوك الكلام ويزوره، وقد سئل الامام الصادق عليه السلام، عن الحائك وأنه ملعون فقال عليه السلام: إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله، ولعل الكلمة بالدال لا بالكاف كما في غير (نهج البلاغة) أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للأشعث ذات يوم: «يا بن الحائد» والحائد المنحرف.

(٢) أسره بالإسلام ذكر في الحاشية قبل قليل تحت رقم: ١ أما أسره في الكفر، فان مراداً قتلت أباه فخرج في عديد من قومه فأخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب فقتلوا جماعة من أصحابه وأسروه ففداه قومه من مالهم.

(٣) المقت: البغض لأمر قبيح.

وقرأها على الناس ، وهو على المنبر فقال الأشعث بن قيس هذا والله عليك لا لك فخفض علي صلوات الله عليه بصره إليه فقال : ما يدريك ما علي مما لي ... الخ [1] .

وقيل : انه عليه السلام كان يخطب على المنبر ويذكر أمر الحكمين ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة ، وكان مراده عليه السلام : هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم فظن الأشعث أنه أراد هذا جزائي حيث تركت الحزم والرأي ، لأن هذه اللفظة محتملة . فقال : هذا عليك لا لك فقال عليه السلام ما يدريك ما علي مما لي الخ [2] .

وعلى كل حال مهما اختلف الرواة في السبب فان هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام لا يختلف فيه ، وقد رواه قبل الشريف الرضي أبو الفرج الأصبهاني [3] المتوفى قبل صدور « نهج البلاغة » بأربعة وأربعين عاماً .

٢٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ [4] وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا

---

(١) انظر الأغاني ٨ / ٥٩ .
(٢) انظر شرح ابن ابي الحديد المجلد الأول ص ٩٦ .
(٣) الأغاني : ج ٨ / ٥٩ .
(٤) الوهل : الخوف .

قَدْ عَايَنُوا ، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ ٱلْحِجَابُ١ وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَهُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ. بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ ٱلْعِبَرُ٢ وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ ٱللهِ بَعْدَ رُسُلِ ٱلسَّمَاءِ إِلاَّ ٱلْبَشَرُ٣ .

روى صدر هذا الكلام ثقة الإسلام في (اصول الكافي : ج ١ ص ٤٠٥) بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : «لا تختانوا ولاتكم ، ولا تغشوا هداتكم ، ولا تجهلوا أئمتكم ، ولا تصدعوا عن حبلكم (فتفشلوا وتذهب ريحكم) وعلى هذا فليكن تأسيس اموركم فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم — إلى قوله عليه السلام — وعمّا قريب يطرح الحجاب» .

٢١ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ٤ ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ،

---

(١) ما مصدرية : أي قريب طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء أول منازل الآخرة .

(٢) العبر جمع عبرة وهي الموعظة ، وجاهرتكم : صارحتكم .

(٣) رسل السماء الملائكة ، والمبلغون من بعدهم الأنبياء والأوصياء والعلماء .

(٤) غاية المكلفين : الثواب أو العقاب ، وتحدوكم تسوقكم ووراء هنا بمعنى قدام .

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[1] ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[2] .

قال الرضي رحمه الله أقولُ : (إنَّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً وبرَّز عليه سابقاً ، فأمَّا قوله عليه السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولا وما أبعد غورها من كلمة ، وأنقع نطفتها من حكمة[3] . وقد نبهنا في كتاب (الخصائص) على عظم قدرها وشرف جوهرها » .

ذكرها الرضي رحمه الله في « الخصائص » ص ٨٧ وعلق عليها بقوله : ما أقل هذه الكلمة ، وأكثر نفعها ، وأعظم قدرها ، وأسطع نورها ... الخ

والفقرات المذكورة هنا من خطبة له عليه السلام خطبها في أول خلافته ، رواها الرضي في (النهج) برقم (١٦٥) خطب[4] وأول ما اختاره منها « إن الله أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر » وسنذكر المصادر هناك عند المرور عليها بحول الله وقوته .

---

(١) لأن المخفف أجدر أن يلحق بالذين سبقوه .

(٢) أي ينتظر ببعث الذين ماتوا أول الدهر مجيء من يخلقون ويموتون في آخره .

(٣) الغور : العمق ، والنطفة : الماء الصافي ، وما أنقع الماء : ما أرواه للعطش .

(٤) انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٤٠٣ .

٢٢ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَلاَ وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْذَمَّرَ حِزْبَهُ[١] ، وَٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ ، لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِه ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ[٢] ، وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنكراً ، ولا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفاً[٣] ، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلاَّ عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ[٤] ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ ، يَا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي مَنْ دَعَا ؟ وَإِلَىٰ مَ أُجِيبَ؟[٥] وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ ،

---

(١) ذمر – بالتخفيف والتشديد – : حض وحث ، والتشديد دليل على التكثير ، والجلب – بفتح اللام – : ما يجلب ، مثل طلب طلباً .

(٢) النصاب : الأصل ويروى إلى « قطابه » والقطاب مزاج الخمر بالماء ، والمعنى ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان .

(٣) النصف – بكسر الصاد – : المنصف أي لم يحكموا بيني وبينهم منصفاً .

(٤) أي يطلبون شيئاً بعد فواته لأن الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضى إرضاعها .

(٥) من الاستفهامية ، وما المحذوفة الألف لدخول إلى عليها كذلك ، وهذا استفهام عن دعوته واجابته تحقيراً لهما .

وَكَفَىٰ بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ ، وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ٱبْرُزْ لِلطِّعَانِ ، وَأَنِ ٱصْبِرْ لِلْجِلَادِ هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ[1] ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ[2] ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَإِنِّي لَعَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

المختار هنا من خطبة له عليه السلام ذكرها الرضي رحمه الله متقطعة في (النهج) وسنشير إلى ذلك عند بلوغنا إلى ما يتصل بها ، وسنبحث مداركها في الخطبة المرقمة (٢٦) التي تأتي في ص ٣٨٩ من هذا الجزء كما سيأتي أنّ هذه الخطبة تتصل بقوله عليه السلام : « قد كنت وما أهدد بالحرب » الذي سيأتي برقم (١٧٢) خطب إن شاء الله تعالى ، فالى هناك إذا شئت[3].

٢٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ

---

(١) الهبول – بالفتح – من النساء التي لا يبقى لها ولد وهو دعاء عليهم بالموت .
(٢) كنت وما أهدد بالحرب معناه لا أهدد بالحرب والواو زائدة .
(٣) انظر ج ٢ ص ٤١٨ من هذا الكتاب .

أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ١ فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ ٱلْبَرِيءَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَىٰ بِهَا لِئَامُ ٱلنَّاسِ كَانَ كَالْفَالِـجِ ٱلْيَاسِرِ٢ ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَمَ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ ٱلْمَغْرَمُ ، وَكَذٰلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْبَرِيءُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَىٰ ٱلْحُسْنَيَيْنِ ، إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ ٱللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ ، إِنَّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ لِأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا

---

(١) غفيرة : زيادة وكثرة .

(٢) الفالج : الظافر ، والياسر : اللاعب بقداح الميسر ، أي المقامر ، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره كالياسر الفالج كقوله تعالى : ﴿وغرابيب سود﴾ ، والمعنى أن المسلم إذا كان غير مواقع لدناءة وقبيح يستحيي من ذكره ويخجل من ظهوره ، ويغري لئام الناس بهتك ستره به ، فاز بالسعادتين فهو شبيه الياسر الفائز لا ينتظر إلا فوزه ، فاذا المسلم كذلك يصبر وينتظر فوزه باحدى الحسنيين ، إما أن يقبضه الله فما عند الله خير للابرار ، وإما أن ينسيء له في الأجل فيرزقه الله أهلا ومالا فيجتمع له ذلك مع حسبه ودينه ومروئته المحفوظة عليه ، فان الله سبحانه قد يجمع الدنيا والآخرة لبعض عباده إذا اقتضت حكمته جل جلاله .

حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ[1] ، وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ[2] ، وَٱعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللَّهِ يَكِلْهُ ٱللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ ، نَسْأَلُ ٱللَّهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايَشَةَ ٱلسُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي ٱلرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ[3] ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ ، وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ غَيْرَهُ[4] .

(مِنْهَا) أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا

---

(١) قد حذرنا الله سبحانه وتعالى من نفسه بما يفوق الكثرة من الآيات منها : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، البقرة : ٢٣٥) وقوله سبحانه : (وإياي فارهبون ، البقرة : ٤٠) و قوله جل شأنه : (وإياي فاتقون ، البقرة : ٤١) .

(٢) مصدر عذر تعذيراً : لم يثبت له عذر ، والمراد خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار .

(٣) حيطة كبينة أي رعاية وكلاءة ، ويروى حيطة بكسر الحاء وسكون الياء مخففة مصدر حاطه يحوطه أي صانه وتعطف عليه : تحنن ، والشعث ـ بالتحريك ـ : التفرق والانتشار .

(٤) لسان الصدق حسن الذكر بالحق وهو في القرابة أولى وأحق .

ٱلْخَصَاصَةَ[1] أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لاَ يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ ، وَلاَ يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ . وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَه عَنْ عَشِيرَتِه فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ، وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُه يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ .

قال الرضي رحمه الله أَقُولُ : ٱلْغَفِيرَةُ هٰهُنَا ٱلزِّيَادَةُ وَٱلْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ ٱلْكَثِيرِ ٱلْجَمُّ ٱلْغَفِيرُ ، وَٱلْجَمَّاءُ ٱلْغَفِير ، وَيُرْوىٰ « عَفْوَةً مِنْ أَهْل أَوْ مَال » وَٱلعفْوَة ٱلْخِيَارُ مِنَ ٱلشيْءِ يُقَالُ أَكَلْتُ عَفْوَةَ ٱلطَّعَامِ : أَيْ خِيَارَهُ . وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمَعْنىٰ ٱلَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ بِقَوْلِه : « وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ » إِلىَ تَمَامِ ٱلْكَلاَمِ فَإِنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا ٱحْتَاجَ إِلى نصرتهم ، واضطرَّ إِلى مرافدتهم[2] ، قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الأَقدام الجمَّة .

---

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة الشديدة

(٢) المرافدة : المعاونة .

هذه الخطبة رواها قبل الرضي ثقة الاسلام الكليني في « الكافي » في موضعين . :

(الأول) في الجزء الخامس ص ٥٦ ، بسنده عن يحيى بن عقيل عن الحسن عليه السلام ، قال خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد . إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن عن المنكر لم يقربا أجلا ، ولن يقطعا رزقاً ، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر – إلى قوله عليه السلام – ومرافقة الأنبياء .

(الثاني) في الجزء الثاني ص ٥٦ روى بقية هذه الخطبة بتقديم وتأخير ، وتفاوت يسير عما في « النهج » .

وقد روى الكليني أيضاً بسنده عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال لمحمد بن عرفة : ويحك يابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل ، ويحك ما عمل أحد عملا إلا رداه الله به إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر [١] اهـ . والظاهر أنه عليه السلام ضمن كلامه من كلام جده صلوات الله عليهما .

هذا وقد روى فقرات من هذه الخطبة كل من ابن واضح في تاريخه : ج٢ ص ١٤٩ ، ونصر بن مزاحم في (صفين) : ص ١٠ ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٣٦٦ تحت عنوان فضل العشيرة ، وكل هؤلاء متقدمون في أزمانهم على الشريف الرضي رحمه الله تعالى .

---

(١) الكافي : ٢ / ٢٩٤ .

وروى منها الزمخشري في (ربيع الأبرار) في باب الكسب والمال ، والمتقي الهندي في (كنز العمال) : ج ٨ ص ٢٢٥ ، وأبن عساكر في (تاريخ دمشق) ضمن ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام بسند عن سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحي بن عقيل عن يحي بن يعمر قال : قال علي : « إن الأمر ينزل من السماء ... » وفي آخر روايته قال سفيان ومن يحسن أن يتكلم بهذا غير علي .

وسيأتي في الكلمات القصار برقم : ٨ من غريب الحديث ذكر لهذه الخطبة .

٢٤- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ولعَمري مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ ٱلْحَقَّ وَخَابَطَ ٱلْغَيَّ مِن إدهَانٍ وَلاَ إيهَانٍ١ ، فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ وَفِرُّوا إلَى ٱللهِ مِنَ ٱللهِ ، وَٱمضُوا فِي ٱلَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ٢ ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلاً وَإِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً٣ .

---

(١) الادهان : المصانعة ، وترك المناصحة . والايهان : الدخول في الوهن ، وهو من الليل نصفه والمراد به هنا التستر والمخاتلة .

(٢) عصبه بكم ، ربطه بكم أي كلفكم به وألزمكم .

(٣) لفلجكم أي لفوزكم وظفركم .

جاء في (النهاية) لابن الأثير : ج ٣ ص ٢٤٤ مادة « عصب » قال : ومنه حديث علي : « فردوا إلى الله وقوموا بما عصبه بكم » أي بما افترضه عليكم ، وقرنه بكم من أوامره ونواهيه .

لاحظ أن كلمة « فردوا » لا توجد في رواية الرضي لتعلم أنه نقلها عن غيره .

٢٥ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَخْبَارُ بِاسْتِيلاءِ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى ٱلْبِلَادِ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلاهُ عَلَى ٱلْيَمَنِ وَهُمَا عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ وَسَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِمَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ ، فَقَامَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى ٱلْمِنْبَرِ ضَجِراً بِتَثَاقُلِ أَصْحَابِهِ عَنِ ٱلْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي ٱلرَّأْيِ فَقَالَ :

مَا هِيَ إِلَّا ٱلْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا١ ، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ٢ ، فَقَبَّحَكِ ٱللهُ (وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلشَّاعِرِ) :

---

(١) أقبضها وأبسطها : أي كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه ويبسطه .

(٢) الأعاصير جمع إعصار وهو ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود والمعنى : إن لم يكن سلطان إلا على الكوفة ذات الفتن والمحن ، والخلاف والأرجاف فلا كان ، وشبه الفتن بالأعاصير لاثارتها التراب .

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي

عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا ٱلْإِنَاءِ قَلِيلِ ١

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ ٱطَّلَعَ ٱلْيَمَنَ٢ وَإِنِّي وَٱللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلاءِ ٱلْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُم بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ٣ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلْأَمَانَةَ إِلَىٰ صَاحِبِهِمْ ، وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ ، فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَىٰ قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ٤ ، ٱللّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُم وَمَلُّونِي ، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي ، ٱللّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ . أَمَا وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُم أَلْفَ فَارِسٍ مِن بَنِي فِرَاس بنِ غَنمٍ٥ .

---

(١) الوضر : بقية الدسم في الأناء .

(٢) إطلع اليمن : غلب عليها وتمكن منها .

(٣) يدالون منكم أي ستكون الدولة – بضم الدال – أي الغلبة لهم بدلكم .

(٤) القعب – بالضم – القدح الضخم .

(٥) بنو فراس بن غنم حي مشهور بالنجدة والشجاعة .

هُنَالِكَ لَو دَعَوتَ أَتَاكَ مِنهُم

فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيمِ

ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمَ مِنَ ٱلْمِنْبَرِ .

قال الشريف أَقُولُ : ٱلْأَرمِيَةُ جَمعُ رَمِيٍّ ، وَهُوَ ٱلسَّحَابُ ، وَٱلْحَمِيمُ هٰهُنَا وَقتُ ٱلصَّيفِ ، وَإِنَّمَا خَصَّ ٱلشَّاعِرُ سَحَابَ ٱلصَّيْفِ بِالذِّكْرِ لأَنَّه أَشَدُّ جُفُولاً ، وَأَسْرَعُ خُفُوفاً[1] لأَنَّهُ لاَ مَاءَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ٱلسَّحَابُ ثَقِيلَ ٱلسَّيْرِ لأَمْتِلاَئِهِ بِالْمَاءِ ، وَذٰلِكَ لاَ يَكُونُ فِي ٱلأَكْثَرِ إلاَّ زَمَانَ ٱلشِّتَاءِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ٱلشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالسُّرْعَةِ إِذَا دُعُوا ، وَٱلإِغَاثَةِ إِذَا ٱسْتُغِيثُوا ، وَٱلدَّلِيلُ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَوْلُهُ : « هنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ » .

هذه الخطبة من أواخر خطبه صلوات الله عليه ، خطب بها بعد انقضاء أمر الحكمين والخوارج .

ومن مصادر هذه الخطبة قبل (نهج البلاغة) ، (مروج الذهب) للمسعودي : ج ٣ – ١٤٩ ، ذكرها مسندة قال : حدثنا المنقري ، قال :

(١) الجفول : الأسراع ، وكذلك الخفوف ، قال الشيخ محمد عبده : مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف خفاً .

حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي ، قال : حدثنا فضيل بن مرزوق ، قال : لما غلب بسر بن أبي أرطاة على اليمن وكان من قتله لإبني عبيد الله ابن العباس ، وما كان من أهل المدينة ومكة واليمن ما كان ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الخطبة بتفاوت عما في (النهج) .

وقد أشار إليها صاحب (العقد الفريد » : ج ٣ ص ٣٣٧ عند كلامه على بطون كنانة وجماهيرها .

ومن رواة هذه الخطبة ابن عساكر في « تاريخ دمشق » رواها من طريقين :

(الأول) في الجزء الأول ص ٣٠٥ بسنده عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت عبدالله بن الحارث يحدث ، عن زمير بن الأرقم ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال :

« ألا وان بسراً قد طلع من قبل معاوية ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم ، بإجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، وبطاعتهم أميرهم ، ومعصيتكم أميركم وبأدائهم الأمانة وخيانتكم ، استعملت فلاناً فغل وغدر ، وحمل المال إلى معاوية ، واستعملت فلاناً فخان وغدر ، وحمل المال إلى معاوية ، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح لخشيت على علاقته ، اللهم قد مللتهم وملوني ، فأرحهم مني وأرحني منهم » .

(الثاني) في الجزء العاشر ص ٢٢٥ في ترجمة بكار بن هلال العامري ، بإسناده عن الحسن بن محمد بن بكار بن هلال ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : حدثني أبو عمرو الأنصاري أن علياً قال لأهل العراق :

« إن بسر بن أبي أرطاة قد صعد إلى اليمن ، ولا أحسب هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم ، وما ذلك أنهم أولى بالحق ، ولكن ذاك لإجتماعهم على أمرهم وتفرقكم ، وإصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، وإدائهم الأمانة وخيانتكم ، ولقد ائتمنت فلاناً فخانني ، وفلاناً زكيته فحمل ما جمع من المال فأنطلق به إلى معاوية ، ولقد خيل إليّ أني لو أئتمنت أحدكم على قدح لسرق علاقته ، اللهم إني قد مللتهم وملوني ، اللهم إقبضني إلى رحمتك وأبدلهم بي من هو شر لهم مني .

وأما خبر بسر بن أبي أرطاة العامري وبعث معاوية له فقد ذكره أرباب السير ، وشراح (النهج) . وإتماماً للفائدة ، وتركيزاً لما اختاره الرضي من خطبته صلوات الله عليه في هذا الشأن نجمل لك تفصيل ما ذكروه :

إنَّ جماعة من العثمانية بصنعاء بايعوا لعلي عليه السلام على ما في نفوسهم، لأنه لم يكن لهم رأس يجمعهم ، ولا نظام يربطهم ، فلما اختلف الناس على أمير المؤمنين عليه السلام بالعراق ؛ وقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وكثرت غارات أهل الشام على أعمال علي عليه السلام ، اتلعوا أعناقهم ودعوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبلغ ذلك عبيد الله بن العباس عامل أمير المؤمنين على صنعاء فأرسل إلى ناس من وجوههم فحبسهم ، فكتبوا إلى أصحابهم في الجند بأمرهم ، فثاروا بسعيد بن نمران الهمداني عامل أمير المؤمنين على الجند باليمن فأخرجوه من الجند ، وأظهروا أمرهم ، واجتمع سعيد بعبيد الله ، وطلب إليه أن يواقعهم بمن معه من شيعة علي عليه السلام فمنعه عبيد الله حتى يراجع أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فكتبوا إلى أمير المؤمنين بالأمر ، فلما وصل كتابهما ، ساء علياً وأغضبه ،وكتب إليهما

كتاباً يصفهما به بصغر النفس ، وشتات الرأي ، وسوء التدبير . ويأمرهما بأن يدعواهم إلى الطاعة وإلا فليستعينا بالله في قتالهم .

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً آخر إلى تلك العصابة يأمرهم بها أن يفيئوا إلى الحق ، ويأمرهم بالإنصراف إلى رحالهم ، ويعدهم الصفح ، وإلا فليأذنوا بحرب منه ، ووجه الكتاب مع رجل من همدان ، فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير ، وقال لهم : إنّي تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف ، فلم يمنعه إلا إنتظار جوابكم ، فأظهروا السمع والطاعة ، ولكنهم كتبوا إلى معاوية بذلك ، وكتبوا في كتابهم :

معـــاوي إلا تسرع السير نحونـا   نبايع علياً أو يزيد اليمانيـــا

فلما وصل كتابهم ، دعا بسر بن أبي أرطاة ، وكان قاسي القلب ، فظاً غليظاً ، سفاكاً للدماء ، لا رأفة عنده ولا رحمة ، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتّى يأتي إلى اليمن ، وقال له : لا تنزل على بلد أهله في طاعة علي إلا بسطت لسانك عليهم ، حتى يروا أنهم لا نجاة لهم وإنك محيط بهم ، ثم اكفف عنهم ، وأدعهم إلى البيعة لي ، فمن أبى فأقتله ، واقتل شيعة علي حيث كانوا ، وبعثه في جيش كثيف . فسار بسر حتى دخل المدينة ، وعامل علي عليه السلام عليها أبو أيوب الأنصاري فخرج عنها هارباً ، ودخل بسر المسجد حتى رقى على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخطب الناس فشتمهم وتهددهم وأوعدهم ، حتى خاف الناس أن يوقع بهم ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزي — زوج أمه — فناشده فيهم ، فلم يزل حتى سكن ، ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ، ثم نزل فأحرق دوراً كثيرة منها دار أبي أيوب الأنصاري ،

وطلب جابر بن عبد الله الأنصاري فعاذ بأم سلمة فقالت له : إنطلق فبايع وإحقن دمك ودماء قومك ، فإني أمرت ابن أخي أن يبايع ، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة .

فأقام بسر بالمدينه أياماً يقتل الرجال ، وينهب الأموال . ثم قال : إني قد عفوت عنكم وإن لم تكونوا لذلك بأهل . وقد استخلفت عليكم أبا هريرة فإياكم وخلافه ، ثم خرج إلى مكة ، وقتل في طريقه رجالاً . وأخذ أموالاً ، وبلغ أهل مكة خبره ، فتنحى عنها عامة أهلها ، ولما قرب منها هرب قثم بن العباس — وكان عامل علي عليه السلام — ودخلها بسر فأخاف أهلها ، وأرهبهم وشتمهم ، ثم دخل وطاف بالبيت وصلى ركعتين ! ثم خطب الناس ، وطلب إليهم البيعة فبايعوه .

ثم خرج إلى الطائف فتشفع فيهم المغيرة بن شعبة فلم يصبهم بأذى وبات ليلة وخرج منها ، وشيعه المغيرة ساعة ثم ودعه وأنصرف عنه .

وخرج من الطائف فأتى نجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان وابنه مالكاً — وكان صهراً لعبيد الله بن العباس — ثم جمع أهل نجران وأقام فيهم وتهددهم طويلاً ، ثم سار عنهم حتى أرحب فقتل أبا كرب — وكان يتشيع — ويقال إنه سيد من كان بالبادية من همدان .

ثم سار حتى أتى صنعاء وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس ، وسعيد بن نمران وكان عبيد الله قد استخلف عليها عمرو بن أراكة الثقفي ، فمنع بسراً من دخولها ، وقاتله حتى قتل وأنهزم أصحابه ، ودخل بسر صنعاء فقتل منها قوماً ، وأتاه وفد من مأرب فقتلهم عن آخرهم .

وكان عبيد الله قد أودع طفلين عند رجل فوشي به إلى بسر فقصده ، فأخذ الرجل سيفه واستقبل بسراً ، فقال له بسر : ثكلتك أمك والله ما

أردنا قتلك . فلم عرضت نفسك للقتل فقال : أقتل دون جاري ، أعذر لي عند الله والناس ؟ ثم شدّ على أصحاب بسر بالسيف حاسراً ، وهو يرتجز :

آليت لا يمنــع حافــاتِ الــدار ولا يموت مصلتاً دون الجار
إلا فتى أروع غير غـــدّار

فضارب بسيفه حتى قتل ، وأُخذ الغلامان فقتلا . قيل إن بسراً ذبحهما بيده (١) فقالت امرأة لما رأت هذا العمل الشنيع : هذه الرجال يقتلها ، فما بال الولدان ؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام ، والله إنّ سلطاناً لا يشتد إلا بقتل الزرع الضعيف ، والشيخ الكبير ، ورفع الرحمة ، وقطع الأرحام لسلطان سوء .

وقالت امهما ترثيهما :

ها من أحس بابنيّ اللذين هما كالدرتين تشظّى عنهما الصدف
ها من أحس بابنيّ اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بابنيّ اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف(٢)
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجيّ طفلي مرهفة مشحوذة وكذلك الإثم يقترف
من دلّ والهة حرى موطــــة على صبيين ضلاّ إذ غدا السلف

وقالت أيضاً :

ألا يا من رأى الولـــديــن امهمـــا هي العبرى ؟
تناشد من رأى ابنيهـــا وتذري الدمعــة الحمــرا

(١) اختلاف المؤرخين في مكان ذبحهما لا يضر بعد اتفاقهم على وقوع الأمر . وفي « الأغاني » ج ١٥ ص ٤٥ : أخذهما بسر وذبحهما بيده بمدية كانت معه .
(٢) مزدهف : أي ذهب به .

فلمـّـا استيأست رجعت بعـبرة والـهٍ حـسـرى
تتـابع بـين ولولــةٍ وبـين مـدامعٍ تـسرى

قالوا : وكانت من أوفر النساء عقلاً ، فأصابها ولهٌ على ابنيها . فكانت لا تعقل وكانت تقف في المواسم تسأل الناس عن ولديها ، وتنشد الأشعار ثم تهيم على وجهها (١) .

ولما بلغ علياً عليه السلام صنيع بسر بالصبيين حزن لذلك حزناً شديداً ، ودعا عليه وقال : (اللهم اسلبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله) وأصابته دعوة الإمام فوسوس في أواخر أيامه ، وذهل عقله . حتى اشتهر بالسيف . فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف من خشب وجعل بين يديه زق منفوخ كلّما تخرق أبدل ، فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل ، يلعب بخرئه ، وربّما كان يتناول منه ، ثم يقبل على من يراه ويقول : أنظروا كيف يطعمني ابنا عبيد الله بن

---

(١) في « الأغاني » : ج ١٥ / ٤٧ ، قال الأصمعي : سمع رجل من أهالي اليمن — قدم مكة — امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بقولها :

يا من احس بابني اللذين همـــا كالدرتين تشظى عنهما الصــدف

فرق لها ، واتصل ببسر حتّى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب وقال :

يا بسر بسر بني ارطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على النـــاس
خير من الهاشميين الذين هـــم عين الهدى وسمام الأسوق القـــاسي
ماذا أردت إلى طفلي مولـهـةٍ تبكي وتنشد من أثكلت في الناس
أما قتلتهمـــا ظلماً فقد شرقت من صاحبيك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكاسهمـــا ثكلاً كما شربت ام الصبيـــين أو ذاق ابن عباس .

أقول : السمام : جمع سم والاسوق (بالسين المهملة) : طويل الساق (وبالشين المعجمة) الطويل ، ولعل بسراً كان بهذه الصفة ، ثم أقول : إن فعل اليماني هذا من الغلو في الثأر ، والاسراف في القتل ، ولا يرضاه أهل البيت عليهم السلام ، ولا يعمل به شيعتهم ، وسيرتهم مع أطفال ونساء أعدائهم معلومة (ولا تزر وازرة وزر اخرى) .

العباس ، وربّما شدت يداه إلى ورائه ، فأنجى ذات يوم في مكانه ، ثم أهوى بفيه فتناول منه ، فبادروا إلى منعه ، فقال أنتم تمنعوني وهما يطعماني

قل لي بربك كلّ هذه الوقائع والفجائع من إباحة الحرمين ، والإغارة على بلاد المسلمين ، وهتك الحرمات ، وإرتكاب المحرمات ، من سفك الدماء ، وحرق الدور ، ونهب الأموال ، وذبح الأطفال ، وسبي النساء (فكن أوّل نساء سبين في الإسلام) ، تقع ويبقى أمير المؤمنين صامتاً لا ينطق بكلمة ، ولا ينبس ببنت شفة وهو أخطب الناس باتفاق الجميع ، وأنكرهم للمنكر ، وأعلمهم بالحق حتى يستكثر عليه بضعة أسطر رواها الشريف في نهجه ويقال أنها من صنعه ووضعه (سبحانك هــذا بهتان عظيم) .

٢٦ـ ومن خطبة له عليه السلام

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِيناً عَلَى ٱلتَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُتَنَخُّونَ(١) بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ(٢) تَشْرَبُونَ ٱلْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ ٱلْجَشِبَ(٣) وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، ٱلْأَصْنَامُ

(١) تنخ بالمكان : أقام به .
(٢) الحيّات الصم : نوع من الأفاعي وهي من أخبث أنواعها وكانت تكثر في بادية الحجاز
(٣) الجشب من الطعام : الخشن ، وما لا أدام له .

فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ ١ .

(وَمِنْهَا) فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ ٢ وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ .

(وَمِنْهَا) وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً ، فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ٣ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَعَلاَ سَنَاهَا ، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

كان أمير المؤمنين عليه السلام يلقي خطبه على كيفيات شتى ، منها من على المنبر كما في أغلب الأوقات ، ومنها أن يرقى رِباوة من الأرض[٤] فيخطب من هناك ، وتارة يقوم على حجارة تنصب له [٥] وأخرى وهو

---

(١) معصوبة : مشدودة .

(٢) اغضيت أصلها من غض بصره والمراد أمسكت على مضض ، وقد مر تفسير الشجا والقذى في الخطبة الشقشقية ، والكظم - بالتحريك أو بضم فسكون- مخرج النفس والمراد صبر على اختناق .

(٣) خزيت : ذلت وهانت .

(٤) الكامل للمبرد : ١ / ١٣ .

(٥) نهج البلاغة : ٢ / ١٢٤ .

راكب على ناقته [1] ، أو على فرسه [2] ، ومرة يقف بين أضيافه بعد أن يفرغوا من طعامهم فيعظهم [3] ، وربّما تثنى له وسادة فيحظ مستنداً إليها [4] أو يمنعه مانع من الإلقاء بنفسه فيلقي خطبته على واحد من الحسنين عليهما السلام فيلقيها بالنيابة عنه ، أو يخطب من حضر في داره عليه السلام ، ثم يأمر أن تكتب وتقرأ على سائر الناس [5] وهذه الخطبة من هذا النوع ، ولهذا ذكرها الاستاذ أحمد زكي صفوة في « جمهرة رسائل العرب » ولم يذكرها في « جمهرة الخطب » .

وهذه الخطبة من خطبه الطوال ، وما ذكره الرضي مختارها .

رواها جماعة من المتقدمين على الشريف الرضي بصور تزيد وتنقص ، نذكر من اولئك ، إبراهيم بن هلال الثقفي في (الغارات) [6] وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ١ : ١٥٤ ، والطبري في (المسترشد) ص ٩٥ ذكرها برواية الشعبي عن شريح بن هاني ، والكليني في (الرسائل) على ما حكاه السيد ابن طاووس في (كشف المحجة) ص ١٧٣ وكل هؤلاء متقدمون على الرضي ولا أراني بحاجة لذكر رواتها بعده .

والسبب في إخراج علي عليه السلام لهذا الكتاب أنّ جماعة طلبوا منه أن يبين رأيه فيمن تقدم عليه ، وذلك بعد فتح عمرو بن العاص لمصر وقتل محمد بن أبي بكر فقال لهم عليه السلام : هل فرغتم لهذا ؟ وهذه مصر قد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم : ٤ / ٢٣٤ ، والذريعة : ٧ / ٢٠٤ .
(٢) اسد الغابة .
(٣) سفينة البحار : مادة خطب عن امالي ابن دريد .
(٤) أصول الكافي: ٦٦/٢ باب الاشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام.
(٥) سفينة البحار / مادة خطب .
(٦) شرح ابن ابي الحديد : م٢ / ٣٥ .

أفتتحت ، وشيعتي قد قتلت ، ثم قال : وإني مخرج إليكم كتاباً ، أخبركم فيه عما سألتم ، وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم وكتب كتاباً أوله : « من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي من المؤمنين والمسلمين .

أما بعد : فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً للعالمين ؛ وأميناً على التنزيل » إلى آخره ، وفيه ما ذكره الرضي رحمه الله في هذا الموضع .

وإنك لو دمجت روايتي « المسترشد » و « الغارات » وأتممت ما ينقص أحدهما عن الثانية ظهر لك جلياً ، أن هذه الخطبة ، وقوله عليه السلام الذي يأتي برقم (٣٠) باب الخطب وهو : « لو أمرت لكنت قاتلاً ، ولو نهيت عنه لكنت ناصراً » إلى آخر الكلام [1] . وقوله عليه السلام الذي يأتي تحت رقم (٥٤) وهو : « فتداكوا علي تداك الهيم يوم ورودها .. الخ » [2] وقوله : « إن النساء نواقص العقول .. الخ » [3] الذي يأتي برقم (٧٨) من هذا الباب . وإن كنت لا أبعد أنه عليه السلام قال هذا الكلام بالخصوص مرتين الأولى بعد حرب الجمل كما ذكر الرضي ، والثانية في هذا الكتاب ، وقوله : « ولقد قال لي قائل يا بن أبي طالب انك على هذا الأمر لحريص ... الخ » [4] الذي نحن في صدد تحقيق مصدره ، وقوله : « اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي ... الخ » [5]

---

(١) نهج البلاغة : ١ / ٧١ .
(٢) نفس المصدر : ١ / ٩٩ .
(٣) المصدر السابق : ١ / ١٢٥ .
(٤) عين المصدر : ٢ / ١٠٢ .
(٥) نهج البلاغة : ٢ / ٢٢٧ .

الذي سيأتي برقم (٢١٥) خطب ، وقوله : « وبسطتم يدي فكففتها . . الخ » (١) الذي سنذكره تحت رقم (٢٢٧) خطب ، وقوله عليه السلام في شأن الحكمين وذم أهل الشام : « جفاة طغام ، عبيد أقزام ... الخ » (٢) والذي سنبحث مصادره عند رقم (٢٣٦) خطب إن شاء الله. الأصل في كلها هذا الكتاب ، وإن كانت روايات الشريف عليه الرحمة تختلف عما في هاتين الروايتين في بعض الفقرات والكلمات ، ومنشأ هذا أنّ مصادر الرضي غير هذين الكتابين وأنه إلتقط هذه المختارات من كتب شتّى ، وروايات مختلفة ، ولذا عقب على بعضها بقوله : وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلاّ أني كررته ههنا (٣) ، وقوله وقد تقدم مثالــه بألفاظ مختلفة (٤) ، وهذا من ورعه وأمانته واحتياطه رضوان الله عليه .

ومع هذا فإني لا أبعد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قال بعض هذه الروايات أكثر من مرة .

٢٧ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ ٱللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ، وَدِرْعُ ٱللَّهِ

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ٢٤٩ .
(٢) عين المصدر : ٢ / ٢٨٨ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٤٩ .
(٤) كذلك : ٢ / ٢٨٥ .

ٱلْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ١ ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ ، وَشَمْلَةَ ٱلْبَلَاءِ٢ . وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءَةِ٣ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ٤ ،وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ٥ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ٦ ، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً ، وَقُلْتُ لَكُمُ ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ ، فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا٧ ، فَتَوَاكَلْتُمْ ، وَتَخَاذَلْتُمْ ، حَتَّى شُنَّتِ ٱلْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ ، وَهٰذَا أَخُو

---

(١) جنته – بضم الجيم – : ما يجتن به كالدرع .

(٢) رغبة عنه : زهدا فيه ، والشملة : لباس يشتمل به ويقرؤها بعضهم : « وشمله البلاء » عطفاً على « ألبسه » بمعنى عمه .

(٣) ديث بالصغار أي ذلل ، ويقال : بعير مديث أي مذلل ، ومنه الديوث ، وهو من لا غيرة له على أهله كأنه قد ذلل حتى صار كذلك ، والصغار – بالفتح – : الذل والضيم ، والقماءة : مصدر قمؤ الرجل قماءة أي صار قمياء – بالمد – وهو الصغير الذليل .

(٤) الاسهاب : ذهاب العقل ، أو من الاسهاب : وهو كثرة الكلام بما لا طائل تحته ، وتروى « بالاسداد » جمع سد ، يقال ضربت عليه الأرض بالأسداد: أي سدت عليه الطريق ، وعميت مذاهبه .

(٥) واديل الحق منه : أي صارت الغلبة للحق بالانتقام منه بما ذكر بسبب تضييعه للجهاد فالباء ههنا للسببية كما في قوله تعالى (ذلك جزيناهم ببغيهم) .

(٦) سيم الخسف – فعل ما لم يسم فاعله – : أي كلف إياه وألزم به ، والخسف : الذل ، والمشقة ، والنقصان ، والنصف – بالفتح – الانصاف .

(٧) العقر : الأصل ، وسمي الملك الثابت عقاراً لأنه أصل المال .

غامد١ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ٢ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ ٱبْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا٣ ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ ، وَٱلْأُخْرَى ٱلْمُعَاهَدَةِ ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا٤ مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَٱلِاسْتِرْحَامِ٥ ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ٦ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ . فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً . فَيَا عَجَباً وَٱللهِ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيَجْلِبُ ٱلْهَمَّ مِنَ ٱجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ

---

(١) أخو غامد : سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي ، وغامد : قبيلة باليمن من أزد شنؤة ، منسوبة إلى غامد وهو عمر بن عبد الله بن كعب ، سمي غامداً لأنه أصلح شراً وقع بين قومه فأصلحهم لذلك فتغمدهم أي سترهم به . وأخو غامد هذا بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا لأهله .

(٢) الأنبار بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات ، ويقابلها على الجانب الغربي هيت ، والقصة ستأتي مجملة في المتن

(٣) والمسالح جمع مسلحة كمصلحة : محل يكون به جماعة ذووا سلاح كالثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء .

(٤) المعاهدة : الذمية ، والحجل بالكسر الخلخال ، والقلب بالضم : السوار . والرعاث — جمع رعثة بالفتح ويحرك — بمعنى القرط — ويروى رعثها — بضم الراء والعين — جمع رعاث جمع رعثة .

(٥) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء أو قول إنا لله وإنا إليه راجعون مناشدة الرحم .

(٦) وافرين : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم ، والكلم — بالفتح — : الجرح .

عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً١ حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ . وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى ٱللّٰهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ ٱلْحَرِّ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ ٱلْقَيْظِ٢ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا ٱلْحَرُّ٣ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي ٱلشِّتَاءِ قُلْتُمْ هٰذِهِ صَبَارَّةُ ٱلْقُرِّ٤ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ ، كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ تَفِرُّونَ فَإِذاً أَنْتُمْ وَٱللّٰهِ مِنَ ٱلسَّيْفِ أَفَرُّ . يَا أَشْبَاهَ ٱلرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ . حُلُومُ ٱلْأَطْفَالِ . وَعُقُولُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ٥ . لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ . مَعْرِفَةٌ وَٱللّٰهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً٦ قَاتَلَكُمُ ٱللّٰهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ

---

(١) ترحا – بالتحريك – دعاء عليهم بأن ينحيهم الله عن الخير ويخزيهم ، والغرض ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون

(٢) حمارة القيظ : شدة الحر .

(٣) التسبيخ – بالخاء المعجمة – التخفيف والتسكين .

(٤) صبارة الشتاء شدة برده والقر بالضم البرد ، والصبّارة كالحمارة بتشديد الراء .

(٥) حجال جمع حجلة : وهي القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس . وربات الحجال النساء المخدرات .

(٦) السدم محركة : الهم أو مع أسف وغيظ . والقيح : ما في القرحة من الصديد . وشحنتم صدري : ملأتموه .

قَلْبِي قَيْحاً . وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً . وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ ٱلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً[1]. وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَٱلْخِذْلاَنِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلٰكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ .

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي[2] لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى ٱلسِّتِّينَ[3] وَلٰكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ .

قالوا : إنّ علياً عليه السلام بلغه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له : حسان بن حسان البكري[4] فخرج عليه السلام مغضباً يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة وأتبعه الناس فرقى على رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: « أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة » . إلى آخر الخطبة ، وهي من خطبه المشهورة عليه السلام رواها كثير من العلماء قبل الشريف الرضي نذكر منهم :

---

(١) النغب جمع لغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى ، والتهمام – بالفتح – : الهم ، وكل تفعال فهو بالفتح الا التبيان والتلقاء فانما بالكسر ، وأنفاساً أي جرعة بعد جرعة .

(٢) مراساً مصدر مارسه ممارسة ومراساً أي عالجه وزاوله وعاناه .

(٣) ذرفت على الستين زدت عليها ويروى « نيفت » بمعناه .

(٤) ويقال له : الأشرس .

١ ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧٠.

٢ ــ ابن قتيبة في (عيون الأخبار) المجلد الثاني ص ٢٣٦ ، قال : خطب علي حين قتل عامله بالأنبار فقال في خطبته : يا عجباً إلى آخر الخطبة

٣ ــ أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ٢١١ .

٤ ــ إبراهيم بن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) ص ٤٧٤ عنه ابن أبي الحديد [1] .

٥ ــ المبرد في (الكامل) ج ١ ص ١٣ ، وفسّر ألفاظها .

٦ ــ ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٦٩ .

٧ ــ الكليني في كتاب الجهاد من (الكافي) ج ٤ ص ٥ .

٨ ــ أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني) ج ١٥ ص ٤٥ رواها مسندة ، كما ذكر سندها وفقرات من آخرها في (مقاتل الطالبيين) ص ٢٧ .

٩ ــ الصدوق في (معاني الأخبار) ص ٣٠٩ ذكرها مسندة وفسر ألفاظها .

١٠ ــ البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٤٤٢ ط. الأعلمي ، وغيرهم .

هذا ولابن أبي الحديد كلام لطيف جداً حول هذه الخطبة قد لا نخرج عن موضوع الكتاب بذكر بعضه ، قال :

وأعلم أنّ التحريض على الجهاد ، والحض عليه ، قد قال فيه الناس فأكثروا ، وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ــ ثم ذكر

---

(١) شرح نهج البلاغة المجلد الأول ص ١٤٥ .

خطبة من جيد خطب ابن نباتة في الجهاد ستطلع على بعضها فيما يأتي وقال عند فراغه من ذكرها : هذا آخر خطبة ابن نباتة فأنظر إليها وإلى خطبته عليه السلام بعين الإنصاف تجده بالنسبة إليها كمخنث بالنسبة إلى فحل أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد ، وأنظر ما عليها من أثر التوليد ، وشين التكلُّف ، وفجاجة كثير من الألفاظ ، ألا ترى إلى فجاجة قوله : « كأن أسماعكم تمجّ ودائع الوعظ ، وكأن قلوبكم بها استكباراً عن الحفظ ؟ » وكذلك ليس يخفى نزول قوله : « تنِدُّون من عدوكم نديد الإبل ، وتدرعون له مدارع العجز والفشل » وفيها كثير من هذا الجنس إذا تأمله الخبير عرفه ، ومع ذلك فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ألا ترى أنّ قوله عليه السلام : « أمّا بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة » قد سرقه ابن نباتة فقال : « فإنّ الجهاد أثبت قواعد الإيمان ، وأوسع أبواب الرضوان ، وأرفع درجات الجنان» ، وهكذا أخذ ابن أبي الحديد يبين ما أخذه ابن نباتة من معاني كلام أمير المؤمنين الجميلة العالية ، وأخرجها في ثياب رثاث من الألفاظ المتكلفة الفجة ، ثم قال :

وأعلم أني أضرب لك مثلاً تتخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام الكتاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابيء وغيرهما ، أنظر نسبة شعر أبي تمام والبحتري ، وأبي نواس ومسلم إلى شعر امريء القيس والنابغة ، وزهير والأعشى ، هل إذا تأملت أشعار هؤلاء وهؤلاء تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيلين ؟ أو بتفضيل أبي نواس وأصحابه عليهم ؟ لا أظن أن ذلك مما تقوله أنت ، ولا قاله غيرك ، ولا يقوله إلا من لا يعرف علم البيان ، وماهية الفصاحة ، وكنه البلاغة ، وفضيلة

المطبوع على المصنوع ، ومزية المتقدم على المتأخر ، فإذا أقررت من نفسك بالفرق والفصل ، وعرفت فضل الفاضل ، ونقص الناقص ، فأعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى كلام هؤلاء هذه النسبة بل أظهر ، لأنك لا تجد في شعر امرىء القيس وأصحابه من التعجرف ، والكلام الوحشي ، واللفظ الغريب، المستكره شيئاً كثيراً ، ولا تجد من ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً ، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنّما هو باستعمال ذلك ، فإن شئت أن تزداد استبصاراً فأنظر القرآن العزيز، وأعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة ، وتأمله تأملاً شافياً ، وانظر إلى ما خصّ به من مزية الفصاحة ، والبعد عن التعقّر والتعقيد والكلام الوحشي الغريب وانظر إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه ، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه ، ومحذواً به حذوه ، ومسلوكاً به في منهاجه ، فهو وإن لم يكن له (١) نظيراً ولا نداً يصلح أن يقال : إنه ليس بعده كلام أفصح منه ، ولا أجزل ولا أعلى ، ولا أفخم ولا أنبل إلا أن يكون كلام ابن عمّه عليه السلام وهذا أمر لا يعلمه إلا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة ، وليس كل واحد يصلح لانتقاد الجواهر ، بل ولا لانتقاد الذهب،ولكلّ صناعة أهلٌ ، وكل عمل رجال (٢) .

٢٨ـ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قد أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ ،

(١) الضمير في « يكن » لكلام أمير المؤمنين عليه السلام وفي « له » للقرآن العزيز .
(٢) شرح نهج البلاغة المجلد الأول ١٤٢ – ١٤٣ .

وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلاَعٍ ، أَلاَ وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارَ[1] ، وَغَداً ٱلسِّبَاقَ ، وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ[2] وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ ، أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ[3] ؟ أَلاَ وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي ٱلرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي ٱلرَّهْبَةِ[4] . أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَاه ، أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعْهُ ٱلْحَقُّ

---

(١) آذنت : أعلمت ، وأشرفت باطلاع : أقبلت : بغتة ، والمضمار : الزمن والموضع الذي تضمر فيه الخيل استعداداً للمسابقة بها ، والتضمير : أن تربط الخيل ويكثر لها الماء والعلف حتى تسمن ثم يقلل ماؤها وعلفها ، وتجري في الميدان حتى تهزل ثم ترد إلى القوت ، والمدة أربعون يوماً .

(٢) من معاني السبقة — بالتحريك — الرهن أي الجعل الذي يوضع من المتراهنين ليأخذه السابق وذكر الشريف الرضي رحمه الله لها معنيين آخرين كما ستطلع عليه في المتن .

(٣) البؤس : اشتداد الحاجة ، وسوء الحالة . والمراد من « يوم بؤسه » يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة .

(٤) أي فليكن عملكم للآخرة باستمرار على أية حالة من الخوف والرجاء .

(٥) يعني العجب الذي ليس له مثيل أن ينام عن العمل طالب الجنة في عظمها وسعادتها ، وأن ينام الهارب من النار عن العمل للخلاص منها .

يَضُرُّهُ ٱلْبَاطِلُ(١) ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ ٱلْهُدَىٰ يَجُرُّ بِهِ ٱلضَّلاَلُ إِلَى ٱلرَّدَى(٢) أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(٣) ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَىٰ وَطُولُ ٱلْأَمَلِ ، تَزَوَّدُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَداً .

قال الرضي رحمه الله : أقول : لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال ، وقادحاً زناد الاتعاظ والازدجار ومن أعجبه قوله عليه السلام « أَلاَ وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارَ وَغَداً ٱلسِّبَاقَ . وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ » فإن فيه مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر المعنى ، وصادق التمثيل ، وواقع التشبيه سرّاً عجيباً ، ومعنى لطيفاً ، وهو قوله عليه السلام : « وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ » فخالف بين اللفظتين لاختلاف المعنيين .

---

(١) النفع الحقيقي في الحق فان ادعى أحد أن الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً له .
(٢) أي من لم يقومه الهدى جر به الضلال إلى الردى .
(٣) الظعن — بالتحريك وتسكن العين — : الرحيل قال الشيخ محمد عبده : وأمرنا به أمر تكوين أي كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات .

ولم يقل السَّبقة النار كما قال : « السَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ » لان الاستباق إنَّما يكون إلى أمرٍ محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذه صفة الجنَّة ، وليس هذا المعنى موجوداً في النَّار - نعوذ بالله منها - فلم يجز أن يقول « والسَّبقة » النار بل قال : « وٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ » ، لأَن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاءُ ومن يسره ذلك ، فصلح أَن يعبر بها عن الأَمرين معاً فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى : (قُلْ تَمَتَّعُوا فإِنَّ مَصِيرَكُمْ إلىَ ٱلنَّارِ)[1] ، ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال : سبقتكم بسكون الباءِ إلى النار فتأَمل ذلك فباطنه عجيب ، وغوره بعيد ، وكذلك أكثر كلامه عليه السلام .

(وَفِي بَعْضِ ٱلنُّسَخِ)[2] وقد جاءَ فِي رواية أُخرى « وَٱلسُّبْقَةُ ٱلْجَنَّةُ » - بِضَمِّ ٱلسِّينِ - . والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسباق إذا سبق من مال أَو عرض والمعنيان متقاربان لأَن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأَمر المذموم ، وإنما يكون جزاءً على فعل الأَمر المحمود .

---

(١) إبراهيم : ٣٠ .
(٢) أي في بعض نسخ (نهج البلاغة) ويظهر أن ذلك مما زاده الرضي أخيراً .

هذه الخطبة من كلامه الذي اشتهر بين العلماء ، وحفظه ذوو الفهم والحكماء (1) ورواتها قبل الرضي وبعده لا يتسع بالإحاطة بهم المجال ، نذكر منهم :

١ ــ أبو عثمان الجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧١ .

٢ ــ الباقلاني في (إعجاز القرآن) ص ٢٢٢ .

٣ ــ الحراني في (تحف العقول) ضمن خطبته (الديباج) .

٤ ــ ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٣٦٥ .

٥ ــ ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج٢ ص ٢٣٥ .

٦ ــ المسعودي في (مروج الذهب) ج٣ ص ٤١٣ .

وسيأتي كلام حول هذه الخطبة عند بلوغنا إلى الخطبة (٤٥) التي أول ما أختار الشريف منها قوله عليه السلام (الحمد لله غير مقنوط من رحمته) الخ ، كما تأتي الإشارة إليها في الحكمة (٢٦٤) عند قوله عليه السلام : « أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم » فإلى هناك والله الموفق .

٢٩ ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلاَمُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلاَبَ(2) ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ ، تَقُولُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ ،

(١) إرشاد المفيد : ١٣٨ .

(٢) الصم جمع أصم وهو من الحجارة الصلب المصمت .

فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حَيَادِ[1] ، ما عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلاَ ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ[2] ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ ، دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ[3] ، لاَ يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ ، وَلاَ يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ، ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِٱلسَّهْمِ ٱلأَخْيَبِ[4] ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[5] أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلاَ أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ ، مَا بَالُكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا طِبُّكُمْ ؟ ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقَوْلاً بِغَيْرِ عَمَلٍ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ، وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ .

---

(١) كيت وكيت كناية عن الحديث ، وكيت مبنية على الفتح ولا تستعمل إلا مكررة ، وحيدي حياد من حاد عن الشيء أي انحرف كلمة يقولها الفار من القتال ، أي تقولون في مجالسكم ما يفلق الحجر بشدته ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال ما يطمع فيكم عدوكم .

(٢) أي إن من دعاكم لنصرته لم تعز دعوته لا تخاذلكم ومن قاساكم : أي قهركم أتعبتموه بأعاليلكم جمع علل جمع علة .

(٣) المطول : كثير المطل وهو التأخير في أداء الدين ، أي إنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه .

(٤) السهم الأخيب من سهام الميسر التي لاحظ لها .

(٥) الأفوق من السهام مكسور الفوق ، والفوق موضع الوتر من السهم ، والناصل : العادي عن النصل ، والسهم الذي لا فوق له ولا نصل يطيش بطبيعة الحال .

هذه الخطبة من خطبه عليه السلام المعروفة رواها كثير من العلماء قبل الشريف الرضي منهم أبو عثمان الجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧٠ ، وابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٠ ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٧١ ، والبلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة علي عليه السلام ص ٣٨٠ ط. الأعلمي .

ورواها القاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ٣٩١ قال : روينا عنه (يعني علياً) صلوات الله عليه أنه خطب الناس يوم الجمعة . فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « أيّها الناس المجتمعة أبدانهم » وذكر ما في (نهج البلاغة) مع تفاوت يسير وزيادة لم يذكرها الشريف الرضي ، قال : ثم نزل ، فلما كان من العشيّ راح الناس إليه يعتذرون ، فقال : « أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وإثرة قبيحة ، يتخذها الظالمون عليكم حجة حتّى تبكي عيونكم ، ويدخل الفقر عليكم بيوتكم ، ولا يبعد الله إلا من ظلم » .

قال : وكان كعب بن مالك بن جندب الأزدي إذا ذكر هذا الحديث ورأى ما هم فيه بكى ، وقال : صدق والله أمير المؤمنين ، لقد رأينا بعده ما توعدنا به .

وذكر مثله ابن عساكر في (تاريخ دمشق) :ج١ص٣٠٦ بسنده عن عمر بن حسّان البرجمي ، عن جناب بن عبدالله ، وفي ما ذكر قال : فمال إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إنا وإياك كما قال الأعشى :

علقتها عرضاً وقد علقت غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

علقنا بحبّك ، وعلقت أنت بأهل الشام ، وعلق أهل الشام بمعاوية ،

يشير إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي رواه ابن عساكر في آخر هذه الخطبة.« والله لوددت أني أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدرهم عشرة منكم برجل من أهل الشام » .

وروى هذه الخطبة أيضاً الشيخ الطوسي في (الأمالي) ج ١ ص ١١٢ بسنده عن جندب بن عبد الله الأزدي ، قال : قام أمير المؤمنين في الناس يستنفرهم إلى أهل الشام وذلك بعد إنقضاء المدة التي بينه وبينهم ، وقد شنّ معاوية على بلاد المسلمين الغارات فأستنفرهم بالرغبة في الجهاد والرهبة فلم ينفروا فأضجره ذلك فقال : « أيها الناس المجتمعة أبدانهم » . الخطبة . وفيها ما ذكره الرضي في « النهج » بحذافيره .

وقد أجمع شارحو (نهج البلاغة) على أن هذه الخطبة خطب بها عليه السلام في غارة الضحاك بن قيس الفهري ، وإجمال ما ذكروه : أن علياً عليه السلام بعد أمر الحكمين تأهب للعودة إلى قتال أهل الشام ، وبلغ معاوية ذلك ، فخرج من دمشق معسكراً ، وبعث إلى كور الشام يخبرهم بالأمر ، ويحثّهم على التجهز للحرب بأحسن الجهاز ، وبيناهم على مثل هذه الحال إذ قدمت عليهم عيونهم تخبرهم بخروج الخوارج ، وإنصراف أمير المؤمنين عنهم ، فكبّر معاوية وأصحابه سروراً بهذا النبأ ، وما برح حتى جاءه كتاب من عمارة بن عقبة بن أبي معيط [1] يقول فيه : أما

---

(١) عمارة هذا أخو الوليد الفاسق بنص القرآن الكريم ، وكان عمارة مقيماً بالكوفة ولعله سكنها من أيام ولاية أخيه عليها ، وبقي مقيماً فيها بعد قتل عثمان ، ولم يهجه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يذعره مع علمه بدخيلته ، وكان يكتب لمعاوية بالأخبار سراً ، ولا عجب فان علياً قتل أباه صبراً يوم بدر وقال لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله : من للصبية يا محمد فقال صلى الله عليه وآله وسلم : النار ، فهو من صبية النار ، إلى غير ذلك من الأمور من جلد علي عليه السلام لأخيه الوليد بمحضر عثمان ، لما شهد عليه أهل الكوفة بتجاهره بشرب الخمر ، وسبب عزله عن الكوفة فلا يشفي غيظه ، ولا يبرد غليله إلا أن يسيء الى أمير المؤمنين عليه السلام وإن أحسن إليه (وكل إناء بالذي فيه ينضح) .

بعد فإن علياً خرج عليه قراء أصحابه ونساكهم ، فخرج إليهم فقتلهم ، وقد فسد عليه جنده ، وأهل مصره ، ووقعت بينهم العداوة ، وتفرقوا أشد الفرقة ، وأحببت إعلامك والسلام ، فعند ذلك دعا معاوية الضحاك ابن قيس الفهري ، وقال له : سر حتى تمرّ بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه . وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في اخرى ، ولا تقيمن لخيل بلغك أنها سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف فأقبل ينهب الأموال ، ويغير على من لقي من الأعراب ، حتى مرّ بالثعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود (ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة ، وقتل معه ناساً من أصحابه ، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فخرج إلى الناس وهو يقول : اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس [1] ، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف ، اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم ، فردوا عليه رداً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فخطبهم فقال عليه السلام : « أيها الناس المجتمعة أبدانهم .. » الخطبة .

ودعا حجر بن عدي الكندي فعقد له على أربعة آلاف ثم سيره فلم يزل مغذّاً في أثر الضحاك وكان له أدلاّء في الطريق وعلى المياه حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه فأقتتلوا فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلان وحجز الليل بينهم ، وفرّ الضحاك ليلاً ، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً .

---

(١) وقد وهم ابن حجر حيث ذكر في « الاصابة »: ٣-٢٣ أن عمرو بن عميس قتله بسر بن أبي أرطاة. وانظر تفصيل هذه الغارة في كتاب الغارات ص ٤١٦-٤٤٢.

ولما قدم الحاج من العراق مكة حدّثوا الناس بغارة الضحاك ، وكان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه هناك ، فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بما سمع وعرض عليه نفسه وولده وبني أبيه فأجابه عليه السلام بالكتاب الذي ذكر الرضي مختاره في (نهج البلاغة) ج ٣ ص٦٠ والذي سيأتي الكلام عليه في باب الكتب والرسائل تحت رقم (٣٦) والله المستعان.

٣٠ـ ومن كلام له عليه السلام

في معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي١ وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ ، اَسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ٢ وَلِلّٰهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ .

قد مرّ أن هذا الكلام من جملة كتاب له عليه السلام كتبه في أواخر أيام خلافته صلوات الله عليه ، استعرض فيه الأحداث التي حدثت بعد

(١) أي لا يقول انا خير من خاذله ولا يقول خاذله إن ناصره خير مني قال الشيخ محمد عبده : لأن القلوب متفقة أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه .
(٢) استأثر : استبد .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين كتابة ذلك الكتاب الذي أمر أن يقرأ على الناس [1] .

وتواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى هذا الكلام شيء كثير ، منه ما رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٥ ص٩٨ من طريق أبي حادة أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول وهو يخطب : والله الذي لا إله إلا هو ما قتلته ، ولا مالأت على قتله ، ولا ساءني .

ومنه ما رواه أيضاً ج ٥ص١٠١ من طريق عمار بن ياسر ، قال : رأيت علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قتله ، وما كرهته ، ولا أمرت به ، ولا نهيت عنه .

واشتهر ذلك عنه حتى قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام في قصيدة :

وما في علي لمستعتب مقال سوى ضمه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه زوى وجهه وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساءَ ولا سرّه ولا بد من بعض ذا أن يكونا [2]

وعلق ابن ابي الحديد على هذه الأبيات بقوله : « ما قال هذا الشعر إلا بعد أن نقل لأهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى ، نحو قوله : ما سرني ولا ساءني ، وقيل له : أرضيت بقتله ؟ قال : لم أرض ، فقيل له ، أسخطت قتله ؟ فقال : لم أسخط ، وقوله تارة : الله قتله وأنا معه ، وقوله تارة أخرى : ما قتلت عثمان ولا مالأت في

(١) أنظر ص ٣٩٢ من هذا الجزء .
(٢) شرح ابن أبي الحديد : م ١ / ١٥٨ ، العقد الفريد : ٢ / ٢٦٧ .

قتله،وقوله تارة أخرى : كنت رجلا في المسلمين ، أوردت إذا وردوا واصدرت إذا صدورا » .

ثم قال ابن ابي الحديد بعد ذلك : « ولكل شيء من كلامه — إذا صح عنه — تأويل يعرفه أولو الألباب » (١) .

٣١ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابْنِ ٱلْعَبَّاسِ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى ٱلزُّبَيْرِ يَسْتَفِيئُهُ إِلَى طَاعَته قَبلَ حَرْبِ ٱلْجَمَلِ٢ .

لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ٣ ، يَرْكَبُ ٱلصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ ٱلذَّلُولُ٤ ، وَلٰكِنِ ٱلْقَ ٱلزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً٥ ، فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا ؟ .

قال الرضي: أَقُولُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِعَتْ مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْكَلِمَةَ

---

(١) شرح النهج : م ١ / ١٥٨

(٢) يستفيئه : يسترجعه من فاء إذا رجع .

(٣) الأعقص من الثيران والتيوس : من التوى قرناه على أذنيه ، ويقال : عقص الرجل — بالكسر — إذا شح وساء خلقه .

(٤) يركب الصعب .. الخ يصفه بشراسة الخلق .

(٥) العريكة : الطبيعة ، يقال : فلان لين العريكة اذا كان سلساً .

أَعْنِي « فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا » ١ .

رسالة أمير المؤمنين عليه السلام هذه التي حمّلها ابن عبّاس إلى الزبير رواها جماعة قبل الشريف الرضي منهم الزبير بن بكار – على ما حكاه ابن ابي الحديد (٢) والجاحظ في (البيان والتبيين) : ج ٢ ص ١١٥ بأبسط من رواية الشريف ، ومحمد بن إسحق والكلبي – على ما نقله ابن ابي الحديد (٣) وابن قتيبة في (عيون الأخبار) : م١ ص ١١٥ ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) : ج ٤ ص ٣١٤ .

وروى ابن ابي الحديد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام ، قال : سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : إني أتيت إلى الزبير ، فقلت له ، فقال : قل له : إني أريد ما تريد ، كأنه يقول الملك ، فرجعت إلى علي فأخبرته (٤) .

وروى أيضاً عن محمد بن إسحق والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على أن قال : قل له : (إنا مع الخوف الشديد لنطمع) وسئل ابن عباس عما يعني بقوله هذا ، فقال : يقول إنا مع الخوف لنطمع أن نلي من الأمر ما وليتم .

وقد فسره قوم بتفسير آخر ، قالوا : أراد إنا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب .

قال ابن ابي الحديد : وعلى كلا التفسيرين يحصل جواب المسألة .

---

(١) عدا – هنا – بمعنى انصرف ، ومن – هنا – بمعنى عن ، وبدا أي ظهر ، وتقديره فما صرفك .

(٢ و٣) شرح نهج البلاغة : م١ ص ١٧١ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٧٠ .

وروى الزبير بن بكّار في (الموفقيات) عن ابن عباس ، قال : فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار ، وعبد الله ابنه عنده ، فقال : مرحباً بك يابن لبابة ، أجئت زائراً أم سفيراً ؟ قلت : كلا ، إن ابن خالك يقرأ عليك السلام ... وذكر الرسالة كما في (النهج) مع تفاوت في بعض الألفاظ فقال – أي الزبير – :

عَلِقْتُهُم أنّي خُلِقْتُ عُصَبَةً   قَتَادَةً تَعَلَّقَتْ بِنُشْبَهْ [1]

لن أدعهم حتى أؤلف بينهم ، فأردت منه جواباً غير ذلك ، فقال ابنه عبد الله : قل له بيننا وبينك دم خليفة ، ووصية خليفة ، واجتماع اثنين وانفراد واحد ، ومشاورة العشيرة . قال : فعلمت أن ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب فرجعت فأخبرته [2] .

فهل يعتورك شك عندما تستعرض صور هذه الرسالة واختلاف المفسرين في معنى جوابها في براءة الرضي رحمه الله من وضعها ، ووثاقته في روايتها .

وكان ينبغي لنا أن لا نتجشم عناء البحث عن مصدر هذا الكلام بعد أن رواه ابن خلكان وهو حامل راية الطاعنين في « نهج البلاغة » ، فقد رواه في « وفيات الأعيان » مستشهداً به ، واثقاً بصحته ، قال في ترجمة نجم الدين أبي الغنائم محمد بن علي الواسطي المعروف بابن المعلم المتوفى سنة ٥٩٢ ما هذا نصه :

« وفي وقعة الجمل قبل مباشرة الحرب أرسل علي بن ابي طالب رضي

---

(١) العصبة – بضم العين وفتح الصاد المعجمة – نبات يلتوي على الشجر ، وهو اللبلاب ، والقتادة : واحدة القتاد وهو شجر ذو شوك ، وفيه يضرب المثل في الصعوبة فيقال : « دون ذلك خرط القتاد » ، والنشبة – بوزن العصبة المارة – : الشيء الشديد النشوب إذا علق بشيء لم يكد يفارقه ، والنشبة من الرجال : الشديد المراس الذي لا يترك الشيء الذي علق به .

(٢) شرح النهج م ١ ص ١٧١ .

الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ، ثم قال له : لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصاً أنفه ، يركب الصعب ويقول: هو الذلول ، ولكن الق الزبير فانه ألين عريكة منه ، وقل له : يقول ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا ؟

قال ابن خلكان : وعلي رضي الله عنه أول من نطق بهذه الكلمة فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال :

منحوه بالجزع الكلام وأعرضوا بالغور عنه (فما عدا مما بدا) ؟

قال : وهذا القول من جملة قصيدة طويلة ، والرسالة نقلها في كتاب « نهج البلاغة » .

٣٢ـ ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ(١) ، يُعَدُّ فِيهِ ٱلْمُحْسِنُ مُسِيئاً ، وَيَزْدَادُ ٱلظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً ، لاَ نَنْتَفِـعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا(٢) ، فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ

(١) العنود : الجائر من عند يعند كنصر جار عن الطريق وعدل ، والكنود : الكفور . وشديد : بخيل، والوصف لأهل الزمن لا للدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً .

(٢) القارعة : الخطب يقرع من ينزل به أي يصيبه . والداهية العظيمة .

أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ ٱلْفَسَادَ إلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[1] ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ ، وَٱلْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَٱلْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[2] ، وَلَبِئْسَ ٱلْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى ٱلدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ ٱللهِ عِوَضاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلآخِرَةِ ، وَلاَ يَطْلُبُ ٱلآخِرَةَ بِعَمَلِ ٱلدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ ، وَٱتَّخَذَ سَتْرَ ٱللهِ ذَرِيعَةً إلَى ٱلْمَعْصِيَةِ[3] ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ[4] ، وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَنْ حَالِهِ فَتَحَلَّى بِٱسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ

---

(١) ونضيض وفرة : قلة ماله والوفر : المال

(٢) والمقنب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . وفرع المنبر : بالفاء أي علاه .

(٣) الذريعة : الوسيلة .

(٤) الضوءولة ــ بالضم ــ : الضعف .

مَغْدًى ، وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ[١] . وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ . فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[٢] ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ ٱلتَّقِيَّةُ[٣] ، وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ[٤] ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا[٥] ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا ، فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ ٱلْقَرَظِ ، وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ[٦] ،

---

(١) غض أبصارهم عن المطامع ذكر المعاد .

(٢) الناد : الهارب من الجماعة إلى الوحدة ، والمقموع : المقهور ، والمكعوم : من كعم البعير شد فاه لئلا يأكل أو يعض وما يشد به ، كعام ككتاب . والثكلان : الحزين .

(٣) أخمله : اسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة ، والتقية : اتقاء الظلم باخفاء الحال ، والاجاج : الملح أي انهم في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفىء ظمأه ولا ينقع غلته .

(٤) ضامزة : ساكتة ضمز يضمز بالزاى المعجمة سكت أي ، والقرحة – بفتح فكسر – المجروحة .

(٥) أي أنهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم .

(٦) الحثالة – بالضم – : القشارة وما لا خير فيه ، والقرظ : ورق السلم ، أو ثمر السنط يدبغ به والجلم – بالتحريك – : مقراض يجز به الصوف : ، وقراضته ما يسقط منه عند القرض والجز ، إنما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف إلا للأشرار ، أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها الا العناء وكل ما كان شأنه أن يأوي إلى الأشرار ويجافي الأخيار فهو أجدر بالاحتقار .

وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَـنْ بَعْدَكُمْ ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ[1] .

قال الرضي رحمه الله : أقول : هٰذِهِ الخطبة ربّما نسبها من لا علم له إلى معاوية وهي من كلام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام الذي لا يُشَكُّ فِيهِ ، وَأَيْنَ ٱلذَّهَبُ مِنَ ٱلرَّغَامِ[2] ، وَٱلْعَذْبُ مِنَ ٱلْأُجَاجِ ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذٰلك الدليل الخرِّيت[3] ، ونقده الناقد البصير ، عمرو بن ابن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب (البيان والتبيين) وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال هي بكلام علي عليه السلام أشبه . وبمذهبه في تصنيف الناس وبالإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال ومن التقيّة والخوف أليق[4] ، قال ومتى وجدنا معاوية في

---

(١) أي من كان أشد تعلقاً بها منكم .
(٢) الرغام : التراب ، أو الرمل المختلط بالتراب .
(٣) الخريت بوزن السكيت : الحاذق في الدلالة .
(٤) تصنيف الناس : تقسيمهم ، و تبيين أصنافهم .

حال من الأَحوال يسلك في كلامه مسلك الزهــاد . ومذاهب العباد .

خطب عليه السلام بهذه الخطبة في مسجد الكوفة وعنده وجوه الناس كما ذكر ذلك محمد بن طلحةالشافعي[1]في(مطالب السؤول) :ج١ص٩٠، فتراه يعين المكان ، ويمهد للخطبة بهذا التمهيد الذي نستدل به على أن ابن طلحة لم يأخذها عن (نهج البلاغة) وإنما نقلها من مصدر آخر لكن لم يذكره كما هي عادته في نقل كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد نسبها قوم من أرباب الهوى إلى معاوية ، كما نسبوا الكثير من كلامه عليه السلام إلى غيره ، وهي من كلامه الذي لا ريب فيه كما نبه على ذلك الشريف الرضي وعمرو بن بحر الجاحظ .

كان الجاحظ قد مهد لهذه الخطبة بقوله[2]: خطبة من خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما رواها شعيب بن صفوان ، وزاد فيها اليقطري وغيره ، قالوا : لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويحك ولم ؟ قال : لا أدري ،

---

(١) هو كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن النصيبي العدوي الشافعي من أكابر علماء الشافعيــــة ورؤسائهم وصدورهم المعظمين ، له من الكتب (العقد الفريد للملك السعيد) طبع بمصر و(مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)طبع على الحجر بايران مع(تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي واعيد طبعه في النجف الأشرف وقد إشتمل على كثير من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه ومواعظه رواها بصور تدل على أنه لم ينقلها عن (نهج البلاغة) كما أنه نقل بعضها عن (النهج) وأشار الى ذلك توفي ابن طلحة بحلب سنة (٦٥٢) .

(٢) نقل الرضي كلام الجاحظ باختصار مما دعا لا عادته .

قال : فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوءهم وأذن للنّاس فدخلوا فحمد الله الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال : يا أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود ... الخ .

ثم علّق الجاحظ على الخطبة بقوله : « وفي هذه الخطبة – أبقاك الله – ضروب من العجب ، منها أنّ هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أنّ هذا في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم ، وعمّا هم عليه من القهر والاذلال ، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها : أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ويذهب مذاهب العباد ، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم »[1] .

وتغافل بعضهم وذهب إلى أن الرضي إنما ضمنها في (نهج البلاغة) تعويلا على ترجيح الجاحظ ، وأن مستقاه في روايتها هو (البيان والتبيين) فحسب ، مع أنه عند المقارنة بين روايتي (النهج) و (البيان) يظهر التفاوت بينهما واضحاً في بعض الألفاظ والحروف ، ويجعلك تقطع بأن مصدر الرضي غير كتاب الجاحظ ، ولكنه إنما أشار إلى رأي أبي عثمان في الخطبة رداً على من ينسبها لمعاوية ، ثم زد على ذلك أن ناسب هذه الخطبة إلى معاوية هو شعيب بن صفوان ، وحاله من الضعف معلوم ، حتى قال فيه أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع ، ذكر ذلك الذهبي في « ميزان الاعتدال » ج ٢ ص ٢٧٦ .

ولا أدري بعد هذا كيف ذكرها الاستاذ أحمد زكي صفوت في خطب

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ١٧٥ .

معاوية مع أنه نقل في الهامش [1] تعقيب الجاحظ عليها ، ورأي الشريف الرضي فيها ، وكأنه لم يرض حكمهما فأبى إلا أن تكون لمعاوية نعوذ بالله من الاصرار على الخطأ ، والتعصب لغير الحق .

٣٣ـ ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة .

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ بِذِي قَارٍ٢ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ٣ فَقَالَ لِي ما قِيمَةُ هٰذَا ٱلنَّعْلِ فَقُلْتُ لاَ قِيمَةَ لَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ: وَٱللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ فَخَطَبَ ٱلنَّاسَ فَقَالَ:

---

(١) جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٧٥ .

(٢) ذوقار : ماء لبكر بن وائل ، عينه الأوائل بأنه بين الكوفة والبصرة وواسط ، وهو الموضع الذي انتصرت فيه العرب على الفرس قبل الإسلام ، ويرى كثير من المعاصرين أنه الموضع الأثري الواقع على بعد عشر كيلومترات عن الناصرية ، ويسميه العامة (المُقيَّر) ويوجد مزار في ضواحي الناصرية يسمى (منصورأبو الحسن) يزعمون أن ناقة أمير المؤمنين عليه السلام عثرت هناك وهو في طريقه إلى البصرة فنودي (منصور يا أبا الحسن) ويرى الأستاذ شاكر الغرباوي المحامي : أن العساكر هتفت بذلك المكان (منصور يا أبا الحسن) وعرف الموضع المذكور بهذا الاسم لذلك ولم تتعرض المصادر القديمة لذكر واحد من القولين وإن كنت لا استبعد وقوع أحدهما ، والله العالم .

(٣) يخصف نعله : يخرزها .

إِنَّ ٱللّٰهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ ٱلنَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ١ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ٢ ، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ ، أَمَا وَٱللّٰهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا٣ حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ ، وَلاَ جَبُنْتُ ، وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا٤ فَلأَنْقُبَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ ٱلْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ٥ مَالِي وَلِقُرَيْشٍ ، وَٱللّٰهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ٦ . وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ ٱلْيَوْمَ .

روى الرضي هذه الخطبة في موضعين من (النهج) أحدهما هذا والثاني سيأتي برقم (١٠٢) وقال هناك :(وقد تقدم مختار هذه الخطبة إلا أني

---

(١) بوأهم : أحلهم مكان نجاتهم .

(٢) القناة : العود والرمح ، والكلام تمثيل لا ستقامة أحوالهم ، والصفاة : الحجر الصلد الضخم ، وأراد به مواطىء أقدامهم ، والكلام تصوير لا ستقرارهم .

(٣) إن هذه هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف ، والأصل إنه كنت ، والمعنى قد كنت ، والساقة : مؤخر الجيش السائق لمقدمـــه ، وقوله : بحذافيرهـــا أي بجملتها .

(٤) أي أن مسيري لجهاد هؤلاء المفتونين كسيري في أيام رسول الله لجهاد الكافرين .

(٥) جعل الباطل كشيء اشتمل على الحق واحتوى عليه وصار الحق في طيه كالشيء الكامن المستتر فيه فأقسم لينقبن ذلك الباطل حتى يخرج الحق من جنبه وهذا من باب الاستعارة .

(٦) المفتون : الضال عن الحق .

وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فأوجبت الحال اثباتها ثانية) ومن هذا تعرف شدة احتياط الرضي في رواية كلام أمير المؤمنين عليه السلام فلا يدمج رواية في رواية ، ولا يضم كلاماً إلى آخر ، بل يروي ما وجده على وجهه ، غاية ما في الأمر أنه يختار من الرواية أحسن وجوهها ومن الكلام أبلغه ، ولولا هذا الورع والاحتياط ، لأمكنه أن يأخذ الكلام المروي عن أمير المؤمنين بوجوه مختلفة ويدمج بعضه ببعض ثم يخرج من ذلك صورة واحدة حسب اختياره ، ومقتضى انتقائه ، كما صنع الاستاذ أحمد زكي صفوت في (جمهرة خطب العرب ورسائلهم) ، ولكنه يريد أن يطرح المسؤولية عن عاتقه ويجعل العهدة على غيره ، وإليك مثال واحد : لقد روى الكلمة (٨٦) في (الخصائص) عن أمير المؤمنين عليه السلام وهي قوله : « رأي الشيخ أحب إلي من جلد الغلام » وعلق عليها بقوله : ويروى من مشهد الغلام [١] ، ولما أعاد روايتها في (نهج البلاغة) عقبها في التعليق المذكور أيضاً [٢] ومن تصفح كتب الرضي يجد من هذا الشيء الكثير .

ويظهر مما رواه المفيد رحمه الله في « الارشاد » ص ١٥٤ انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بالربذة لا بذي قار كما يرويه السيد في « النهج » ، فقد قال رحمه الله تعالى لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة نزل الربذة ، فلقيه آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه ، قال ابن عباس : فاتيته فوجدته يخصف نعلا ، فقلت له : نحن إلى أن تصلح من أمورنا أحوج منا إلى ما تصنع ، فلم يكلمني حتى فرغ

---

(١) الخصائص : ٧٠ .

(٢) نهج البلاغة : ٣ — ١٦٩ .

من نعله ، ثم ضمها إلى صاحبتها ، وقال لي : قومهما ، فقلت : ليس لهما قيمة ، قال : ذاك ، قلت : كسر درهم ، قال : لهما والله أحب إلي من أمركم هذا إلا أن أقيم حقاً ، أو أدفع باطلا [1] قلت : إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلم ؟ فان كان حسناً كان منك ، وإن كان غير ذلك كان مني قال : لا ، أنا أتكلم — إلى أن قال —

ثم خرج فاجتمعوا عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد في العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة » . الخ ..

ومما يفيد التنبيه عليه ههنا أن النسخة التي عليها شرح ابن ابي الحديد فيها زيادة في هذه الخطبة لم توجد في سائر نسخ « النهج » وهي قوله عليه السلام « والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيزنا [2] ، فكانوا كما قال الأول :

أدمت لعمري — شربك المحض صابحاً   وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن   علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا [3]

---

(١) جمعتني الصدفة ذات يوم مع رجل من أهل الأدب في أحد المطاعم بكربلاء فنقل لي في غضون ما دار بيننا من حديث ونحن على مائدة الطعام كلمة عن الأستاذ جبران خليل جبران أنه قال في أحد كتبه ما حاصله : إن تاج لويس الرابع عشر مع ما رصع به من كرائم الأحجار ، وغوالي اللاليء لا يعدل في ميزان الحقيقة نعل الامام علي التي قال لا بن عباس عنها ما قال وقد فاتني ، ومع الأسف الشديد — أن آخذ منه اسم الكتاب كما فاتني التعرف عايه ، والآن رجعت إلى ما يحضرني من مؤلفات جبران لا نقل الكلمة بالنص فلم اعثر عليها .

(٢) الحيز — بالتشديد — الناحية والمعنى ضممناهم إلينا .

(٣) الشرح م ١ : — ١٧٦ .

٣٤ـ ومن خطبة له عليه السّلام

في استنفار النّاس إلى أهل الشام

أُفٍّ[١] لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ، أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ[٢]، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ[٣] فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ[٤] فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي[٥]، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ[٦]، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا

---

(١) أف: كلمة استقذار وفيها ست لغات بضم الفاء وفتحها وكسرها والتنوين في كل حالاتها.

(٢) دوران الأعين: اضطرابها من الجزع. ومن غمره الموت يدور بصره فانهم يريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي اليه يشير إلى قوله تعالى (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت).

(٣) الحوار: بالفتح: الكلام. ويرتج بمعنى يغلق.

(٤) المألوسة: المخلوطة بمس الجنون.

(٥) سجيس — بفتح فكسر —: كلمة تقال بمعنى أبداً. وسجيس أصله من سجس الماء بمعنى تغير وكدر.

(٦) الزافرة من البناء: ركنه ومن الرجل عشيرته. وقوله: يمال بكم أي يمال على العدو بعزكم وقوتكم.

جُمِعَتْ مِنْ جانِبٍ ٱنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ ؛ لَبِئْسَ – لَعَمْرُ ٱللهِ – سَعْرُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ[١] ، تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ[٢] ، لاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَٱللهِ ٱلْمُتَخَاذِلُونَ ، وَأَيْمُ ٱللهِ[٣] إِنِّي لأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى ، وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوْتُ قَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلرَّأْسِ[٤] ، وَٱللهِ إِنَّ ٱمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ[٥] وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ[٦] أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ[٧] فَأَمَّا أَنَا فَوَٱللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ

---

(١) السعر أصله مصدر سعر النار من باب نفع أوقدها ، أي لبئس ما توقد به الحرب أنتم .

(٢) امتعض : غضب .

(٣) غلب مبنى للمجهول ، والمتخاذلون : الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون .

(٤) حمس – كفرح – : اشتد ، والوغى : الحرب ، واستحر : بلغ في النفوس غاية حدته ، وقوله انفراج الرأس أي انفراجاً لا التئام بعده فان الرأس إذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن الآخر لم يعد للا لتئام .

(٥) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم . وفراه يفريه : مزقه . .

(٦) أي قلبه .

(٧) أنت فكن ذاك : خاطب بذلك الأشعث بن قيس فقد روى أنه خاطب علياً عليه السلام أثناء خطبته وهو يلوم الناس على تقاعدهم فقال له : هلا فعلت فعل ابن عفان فأجابه عليه السلام : إن امرأ امكن عدوه من نفسه ... الخ .

بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ [1] ، وَيَفْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ [2] ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ .

رواها الطبري في (التاريخ) : ج ٦ ص ٥١ وابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٠ ، والبلاذري في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من « أنساب الأشراف » : ص ٣٨٠ بأخصر مما في « النهج » ، والمفيد في (المجالس) ص ٧٩ رواها بسند متصل بجندب بن عبد الله الازدي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأصحابه وقد استنفرهم أياماً إلى الجهاد فلم ينفروا ، وذكر الخطبة بتفاوت بسيط عما في (النهج) كبساطته بين رواية الطبري وابن قتيبة والرضي ، وقد رواها أيضاً نصر بن مزاحم كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد [3] ولكنها لا توجد في المطبوع من كتاب

---

(١) المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف وهي قرى من بلاد العرب .

(٢) الفيء الخراج وما يحويه بيت المال .

(٣) شرح النهج المجلد الأول ص ١٧٩ .

« صفين » كما مرّ الكلام على ذلك [1] .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فان الله قد أحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام ، فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا ، وكلّت سيوفنا ، وأنصلت أسنة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ، ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدّتنا ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا فانه أقوى لنا على عدونا ، فكان جوابه عليه السلام (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) ، (المائدة : ٢٣) فتلكؤا عليه ، وقالوا : إن البرد شديد ، فقال : إنهم يجدون البرد كما تجدون ، فتلكؤا وأبوا ، فقال : « أفّ لكم انها سنة جرت فيكم » ثم تلا قوله تعالى : (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) ، (المائدة : ٢٢) » فقام منهم ناس فقالوا : يا أمير المؤمنين الجراح فاش في الناس — وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراح في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام — فارجع إلى الكوفة فأقم بها أياماً ، ثم اخرج خار الله لك ، فرجع إلى الكوفة عن غير رضاً .

وروى نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد [2] عن نمير بن وعلة عن أبي دراك قال : لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان ، أقبل بهم أمير المؤمنين فانزلهم النخيلة ، وأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلّوا زيارة النساء وأبنائهم حتى يسير

---

(١) أنظر ص ٣٧ من هذا الجزء .

(٢) هو عمر بن سعد بن سعد بن أبي الصيد الأسدي

بهم إلى عدوهم وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ، ولكنهم لم يفعلوا ، وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل وبقي المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة .

قال نصر بن مزاحم : فخطب الناس بالكوفة ، وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج فقال : «أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله عزّ وجل ، ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب نكب عن الدين ، يعمهون في الطغيان ، ويتسكعون في غمرة الضّلال (فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، الأنفال : ٦١) و (توكلوا على الله وكفى به وكيلا ، الأحزاب : ٣) قال : فلم ينفروا ولم ينشروا ، فتركهم أياماً ثم خطبهم فقال : « أفٍّ لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ... » الخ [١] :

٣٥ - ومن خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى ٱلدَّهْرُ بِٱلْخَطْبِ ٱلْفَادِحِ ٢ وَٱلْحَدَثِ ٱلْجَلِيلِ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ

(١) شرح نهج البلاغة : م١ / ١٧٩ .
(٢) الخطب : سبب الأمر ، والفادح : الثقيل من فدحه الدين إذا أثقله وبهضه . والحدث ــ بالتحريك ــ : الحادث ، والمراد هنا ما وقع من أمر الحكمين .

لَيسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَمَّا بَعْد فَإِنَّ مَعْصِيَةَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ ٱلْعالِمِ ٱلْمُجَرِّبِ تُورِثُ ٱلْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ ٱلنَّدَامَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي١ ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ٢ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْجُفَاةِ وَٱلْمُنَابِذِينَ ٱلْعُصَاةِ ، حَتَى ٱرْتَابَ ٱلناصِحُ بِنُصْحِه٣ ، وَضَنَّ ٱلزَّنْدُ بِقَدْحِهِ٤ ، فَكُنْتُ وَإِيَاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ٥ .

(١) نخلت لكم مخزون رأيي : أخلصته ، من نخلت الدقيق بالمنخل .

(٢) قصير مولى جذيمة المعروف بالأبرش وكان حاذقاً قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة لما دعته للتزوج بها – وكان قد قتل أباها ـ فخالفه وأجابها وذهب إليها فاما تبين له غدرها قال : (لو كان يطاع لقصير أمر) فقتلته وذهبت هذه الكلمة مثلا ، وهي من الأمثال التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) .

(٣) يذهب ابن ابي الحديد وجماعة من شارحي (نهج البلاغة) أنه عليه السلام عنى بالناصح نفسه وهذا لا يكون لأنه عليه السلام منزه من أن يرتاب برأي كان يراه صواباً ولكنه عليه السلام يعني من يرى رأيه من أصحابه فانهم كانوا قد أطبقوا على مخالفتهم ، وحتى لو كان يعني نفسه صلوات الله عليه فان ذلك يحمل على المبالغة وهو باب معروف من أبواب علم البيان .

(٤). مثل يضرب لمن يمسك فائدته إذا لم يجد لها أهلا .

(٥) أخو هوازن هو دريد بن الصمة ، والبيت من قصيدة معروفة من قصائد الحماسة قيلت في قصة معلومة تجدها في غير هذا الموضع من كتب التاريخ والأدب .

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ ٱللِّوىٰ
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا ٱلنُّصْحَ إلا ضُحَى ٱلْغَدِ

أورد هذه الخطبة بأدنى اختلاف البلاذري بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من (أنساب الأشراف) : ص ٣٦٥ ط الأعلمي ، والطبري في (التاريخ) : ج ٦ ص ٤٣ في حوادث سنة (٣٧) وابن قتيبة في (الامامة والسياسة) : ج ١ ص ١١٩ ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) على ما حكاه ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) : م١ ص ١١٠ ، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) : ص ١٠٣ ، كما أشار إلى هذه الخطبة أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني) : ج ٩ ص ٥ ، وذكر تمثل علي عليه السلام ببيت دريد بن الصمة في خطبته .

وقال ابن أبي الحديد : « وهذه الألفاظ من خطبة خطب بها عليه السلام بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى وافتراقهما وقبل وقعة النهروان » فتراه يشير لنا بأن ما نقله الشريف هو مختصر الخطبة ، ويحدد لنا الزمان الذي القيت به ، وأنه قبل افتراق الحكمين [1] .

ثم نقل بعد ذلك عن كتاب (صفين) لنصر بن مزاحم ، قال نصر : وكان علي عليه السلام لما خدع عمرو أبا موسى بالكوفة كان قد دخلها منتظراً ما يحكم الحكمان ، فلما تم على ابي موسى ما تم من الحيلة غمّ ذلك علياً وساءه ، ووجم له ، وخطب الناس فقال : « الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل ...) الخطبة التي رواها الرضي رحمه

---

(١) شرح نهج البلاغة : م١ ص ١٨٣ .

الله تعالى ، وزاد في آخرها بعد الاستشهاد ببيت دريد : « ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب ، وأحييا ما أمات ، واتبع كل واحد منهما هواه ، وحكم بغير حجة ولا بينة ، ولا سنة ماضية ، واختلفا فيما حكما ، فكلاهما لم يرشد الله ، فاستعدوا للجهاد ، وتأهبوا للمسير ، وأصبحوا في معسكركم »[1] .

ومن رواة هذه الخطبة ابن قتيبة في « الإمامة والسياسة » ج ١ ص ١٤١ والمسعودي في (مروج الذهب) : ج ٢ ص ٤١٢ وفيما رواه زيادة لم ينقلها الرضي .

ونقلها بعد الرضي جماعة منهم ابن الأثير في (الكامل) : ج ٢ ص ١٧١ ونقل الزيادة التي رواها المسعودي . وابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٧ ص ٢٨٦ وبتر الزيادة التي رواها ابن قتيبة والمسعودي وابن الأثير ، ولم يرق له أن ينقلها نصاً فعبر عنها بقوله : ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنّبهما وقال ما فيه حط عليهما .

٣٦ـ ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا ٱلنَّهْرِ ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا ٱلْغَائِطِ[2] ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،

---

(١) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٢٠٠ .

(٢) الأهضام : جمع هضم وهو المطمئن من الوادي ، والغائط : ما سفل من الأرض .

وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ ٱلدارُ[1] ، وَٱحْتَبَلَكُمُ ٱلْمِقْدَارُ ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُكُومَةِ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْمُنَابِذِينَ ، حَتى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ ٱلْهَامِ[2] ، سُفَهَاءُ ٱلْأَحْلاَمِ ، وَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[3] وَلاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً .

خطب صلوات الله عليه وسلامه بهذه الخطبة يوم النهروان كما ذكر ذلك محمد بن حبيب البغدادي المتقدم على الشريف الرضي ، قال : خطب علي عليه السلام الخوارج يوم النهر فقال لهم : « نحن أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وعنصر الرحمة ، ومعدن العلم والحكمة ، نحن أفق الحجاز ، بنا يلحق البطيء وإلينا يرجع التائب ، أيها القوم إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الوادي ...[4] » إلى آخر الفصل .

ومن رواة هذا الكلام قبل الرضي الزبير بن بكار في (الموفّقيات) : ص ٣٥٠ كما روى بعضه الطبري في (التاريخ) : ج ٦ ص ٤٧ ، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : ج ١ ص ١٤٧ .

---

(١) طوحت بكم الدار : توهت بكم ، أي ذهبت بكم يميناً وشمالا ، والكلام كناية عن ضلالهم وخروجهم عن جادة الحق ، أو أن المراد أهلكتكم دار الدنيا ، من طاح أي هلك واحتبلكم المقدار : أوقعكم في حبائله ، والمقدار : القدر .

(٢) خفة الهام : كنايةٌ عن قلة العقل .

(٣) البجر : الداهية والأمر العظيم ، وتروى « هجرا » وهو المستقبح من القول ، ويروى (عرا) ـ بالعين المهملة ـ والعر : قروح في مشافر الإبل ويستعار للداهية .

(٤) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٢٠٧/١

ورواه بعد الرضي جماعة كسبط ابن الجوزي الحنفي في (تذكرة الخواص) : ص ١٠٠ باختلاف يدل على أنه منقول عن غير (نهج البلاغة) وفسر غريبه ابن الأثير في (النهاية) ج ١ ص ٩٧ : في مادة (بجر) .

وفي بعض ما ذكرنا كفاية والله ولي التوفيق .

٣٧ـ ومن كلام له عليه السلام

يجري مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا١ ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا٢ وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللهِ حِينَ وَقَفُوا ، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً٣ ، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً٤ ، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا٥ ، كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ ، وَلاَ تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ٦ وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ ، الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى

---

(١) سيأتي شرح بعض هذه الكلمات في المتن .

(٢) التقبع : الاختباء والتطلع ضده .

(٣) كناية عن رباطة الجأش فان الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع .

(٤) الفوت : السبق .

(٥) يمثل حاله مع القوم بحال فرسان الحلبة . والعنان للفرس كالزمام للناقة ، وطاربه : سبق ، الرهان : الجعل الذي وقع التراهن عليه . ؟

(٦) الهمز والغمز : الوقيعة ، أي لم يكن في عيب أعاب به .

آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ ، رَضِينَا عَنِ ٱللهِ قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا للهِ أَمْرَهُ ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَٱللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي(١) .

قال ابن أبي الحديد : هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض ، وكل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين عليه السلام نحواً غير ما ينحوه بالآخر ، وإنما الرضي رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام طويل منتشر ، قاله بعد وقعة النهروان ، ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى آخر وقت ، فجعل الرضي رحمه الله تعالى ما التقطه منه سرداً ، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصداً واحداً .

فالفصل الأول : وهو من أول الكلام إلى قوله : واستبددت برهانها يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان ، وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا ولم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به ، وينهاه عنه ، فهذا معنى قوله : « فقمت بالأمر حين فشلوا » أي قمت بانكار المنكر حين فشل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنه ، والفشل الخور والجبن ، قال : « ونطقت حين تعتعوا » يقال : تعتع فلان أي تردد في كلامه ، من عي أو حصر ، — إلى أن قال :

---

(١) يعني بالميثاق عهد رسول الله عليه وآله السلام إليه وسيذكر معنى ذلك في المتن .

الفصل الثاني فيه ذكر حاله عليه السلام في الخلافة بعد عثمان — إلى أن قال — الفصل الثالث ، من قوله : « رضينا عن الله قضاءه » إلى قوله : « فلا أكون أول من كذب عليه » قاله عليه السلام لما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخبار الملاحم والغائبات ، وقد كان شك جماعة منهم في أقواله ومنهم من واجهه بالشك والتهمة . ثم قال :

الفصل الرابع من قوله « فنظرت في امري » إلى آخر الكلام ، هذه كلمة مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كان معهوداً إليه أن لا ينازع في الأمر ، ولا يثير فتنة ، بل يطلبه بالرفق فان حصل له وإلا أمسك إلى آخر كلامه [1] .

ولا يهمنا من كلام ابن ابي الحديد حول هذا الكلام — ولذا أضربنا عن بعضه — إلا أنه كان قد اطلع عليه كاملا في غير (نهج البلاغة) ولكنه لم يشر إلى المصدر ، فتراه يشير إلى ما حذفه الرضي منه ، ويحدد الزمان الذي قاله أمير المؤمنين فيه ، وأنه بعد النهروان ثم يبين الأغراض التي قصدها عليه السلام في كلامه الطويل المنتشر — كما يصفه ابن ابي الحديد .

—وقد روى أصحاب كتب الزيارات والأدعية من علماء الإمامية—ومنهم من تقدم على الرضي كالصدوق في (الأمالي) : ص ١٣٤ — بأسانيدهم عن أسيد بن صفوان انه لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء ، ودهش الناس وجاء شيخ باك مسترجع حتى وقف على باب بيت أمير المؤمنين عليه السلام فقال : رحمك الله يا أبا الحسن

---

(١) شرح نهج البلاغة المجلد الأول ص ٢٠٧ — ٢١١ .

كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً — إلى أن قال — فقمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تعتعوا ، ومضيت بنور إذ وقفوا ، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً ... كنت كالجبل لا تحركه العواصف لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز ... الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتّى تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتّى تأخذ منه الحق .. رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا لله أمره .. الخ .

فتراه قد ضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في تأبينه إياه .

٣٨ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ . وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى[١] ، وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى . فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ .

رواها الآمدي في (غرر الحكم) : ص ٩٨ فيما رواه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في حرف الألف بلفظ إنما بمغايرة بسيطة جداً تدل على أن له مصدراً آخر ، ومما يجب التنبيه عليه ان ما ذكره الرضي في هذا الموضع فصلان أحدهما غير ملتئم مع الآخر ، بل مبتور عنه ، وإنما الرضي رحمه الله تعالى كان يلتقط الكلام التقاطاً ، ومراده أن يأتي بفصيح كلامه عليه

---

(١) سمت الهدى : طريقته .

السلام ، وما يجري مجرى الخطابة والكتابة فلهذا يقع في الفصل الواحد الكلام الذي لا يناسب بعضه بعضاً وقد قال الرضي ذلك في خطبة الكتاب .

أما الفصل الأول فهو الكلام في الشبهة ولماذا سميت شبهة .

والفصل الثاني قوله لا ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبّه وهذا كلام أجنبي عما تقدم[1] .

وستجد كلاماً حول هذا في الخطبة (٤١) وهي قوله : « الوفاء توءم الصدق ... الخ » .

٣٩- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ٢ ، وَلاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لاَ أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ، أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ٣ ، أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً ، حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ ٱلْمَسَاءَةِ٤ فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ

(١) انظر شرح ابن ابي الحديد : م١ — ٢١٢ .
(٢) منيت : بليت .
(٣) حمشه – كنصره – : جمعه . وحمش القوم ساقهم بغضب . أو من أحمشه بمعنى أغضبه أي تغضبكم على أعدائكم . والمستصرخ : المستنصر . ومتغوثاً أي قائلا واغوثاه .
(٤) تكشف مضارع حذف زائده والأصل تتكشف أي تنكشف ، أي إنكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا .

مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلْأَدْبَرِ[1] ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ، (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)[2] .

قال الرضي رحمه الله : أقول : قوله عليه السلام « متذائب » أي مضطرب من قولهم : (تذائبت الرّيح) أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته .

هذا الكلام خطب به سلام الله عليه في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر ، وكانت سنة (٣٩) ، وقد كان معاوية قال : أما من رجل أبعث معه جريدة خيل حتّى يغير على شاطىء الفرات ، فان الله يرعب بها أهل العراق ؟ فقال له النعمان : إبعثني فان لي في قتالهم نيّة وهوى — وكان النعمان عثمانياً — قال : فانتدب على اسم الله فانتدب ، وندب معه ألفي رجل ، وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات ، وأن لا يغير إلا على مسلحة ، وأن يعجل الرجوع ، فأقبل النعمان بن بشير حتّى دنا من عين التمر ، وبها مالك بن كعب الأرحبي ، وكان مع مالك ألف رجل وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة ، فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها ، فكتب مالك إلى علي عليه السلام يخبره بذلك ، فلما وصل الكتاب إلى علي عليه السلام

---

(١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ، والأسر : المصاب بداء السرر وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة . والنضو : المهزول من الابل . والأدبر : المدبور أي المجروح المصاب بالدبرة — بالتحريك — وهي العقر والجرح من القتب ونحوه .

(٢) (الأنفال : ٦) .

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير ، فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً » ثم نزل فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً ، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلثمائة فارس أو دونها فقام علي عليه السلام فقال : « ألا إني منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، إلى آخر الكلام الذي رواه الشريف الرضي ثم نز ل عليه السلام ، ودخل منزله ، فقام عدي بن حاتم فقال : هذا والله الخذلان على هذا بايعنا أمير المؤمنين ؟ ثم دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين إن معي من طيء ألف رجل لا يعصوني ، فان شئت أن أسير بهم سرت ، قال : ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من القبائل للناس ، ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم ، وفرض عليّ لكل رجل سبعمائة ، فاجتمع إليه ألف فارس عدا طياً أصحاب عدي بن حاتم وورد الخبر على علي عليه السلام بهزيمة النعمان ونصرة مالك بن كعب .

ذكر هذه القصة التي ذكرناها اجمالا ابراهيم بن هلال الثقفي المتوفى سنة (٢٨٣) في كتاب « الغارات » وذكر الخطبة التي رواها الرضي في « نهج البلاغة »[١] .

وروى هذه الخطبة أيضاً البلاذري في ترجمة علي عليه السلام في (أنساب الأشراف) : ص ٤٠٤ من قوله عليه السلام « دعوتكم إلى غياث أصحابكم » إلى آخر الخطبة كما روى الطبري فقرات منها في تاريخه في حوادث سنة (٣٩) وكل هؤلاء متقدمون في أزمانهم على الشريف الرضي .

---

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد : م١ / ٢١٢ و ٢١٣ . والغارات ص ٣٧٣-٤١٣ .

٤٠ـ ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم « لا حكم إلا لله » قال عليه السلام:

كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله: وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر[١] يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل. ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح به بر، ويستراح من فاجر. (وفي رواية أخرى) أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال: « حكم الله أنتظر فيكم ».

وقال: أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي، وأما

---

(١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا امرة الا لله بأن البداهة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير براً وفاجر حتى تستقيم أمورهم وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة وتجري سائر المصالح المذكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر كما تدل عليه الرواية الاخرى، وقوله: «أما الامرة البرة» الخ قاله الشيخ محمد عبده.

ٱلْإِمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا ٱلشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

لقد استفاض هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام وجرى بين الناس مجرى الأمثال نذكر من رواته قبل الشريف الرّضي :

أ ــ الامام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤) في كتاب (الام) قال : بلغنا أن علياً رضي الله عنه بينا هو يخطب إذ سمع تحكيماً من ناحية المسجد « لا حكم إلا لله عز وجل » ، فقال علي رضي الله عنه : « كلمة حق أريد بها باطل » .

ب ــ محمد بن جرير الطبري في (التاريخ) : ج ٦ ص ٤١ .

ج ــ أبو طالب المكي في (قوت القلوب) : ج ١ ص ٥٣٠ .

د ــ ابن واضح في (التاريخ) : ج ٢ ص ١٣٦ كما روى قوله عليه السلام : « حكم الله انتظر فيكم » .

هـ ــ البلاذري في (أنساب الأشراف) ٣٥٢ ط الأعلمي وفيه : إن علياً خرج ذات يوم يخطب فانه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد فقال علي : « كلمة حق يعزى بها ــ أو قال ــ يراد بها باطل ، نعم لا حكم إلا لله ولكنهم يقولون لا إمرة ... » الخ ، كما روى في ص ٣٥٥ قوله : « حكم الله انتظر فيكم » وروى في ص٣٦١ وص٣٧٧ بعض هذا الكلام .

وكل من ذكرنا متقدم على الرضي فلسنا بحاجة إلى تعداد من رواه بعده. هذا وسيأتي قوله عليه السلام « كلمة حق أريد بها باطل » في باب الكلمات القصار برقم (١٩٨) ونذكر لها بعض المصادر هناك بحول الله وقوته .

٤١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ ٱلصِّدْقِ١ ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ، وَلاَ يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ ٱلْمَرْجِعُ ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ ٱتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْساً٢ ، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ فِيهِ إلَى حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللهُ قَدْ يَرَى ٱلْحُوَّلُ ٱلْقُلَّبُ وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ٣ .

رواه ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) : ج ١ ص ١٧٠ كما سيأتي :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل ، فانه لا ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه ، ألا وأن الوفاء توأم الصدق ... إلى آخر ما ذكر الرضي بلا تفاوت .

---

(١) التوأم : الذي يكون مع الآخر في حمل واحد فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر ، والجنة – بالضم – الوقاية ومن علم أن مرجعه إلى الله لا يمكن أن يغدر أبداً .

(٢) الكيس : الفطنة والذكاء . وحسن الحيلة أي حسن التدبير .

(٣) الحول القلب – بالضم والتشديد في الكلمتين – : الرجل المجرب البصير بتحويل الأمور وتقليبها .

(٣) يدعها رأى عين أي يدعها مع قطع النظر بنجاحها والقدرة عليها ، وينتهز فرصتها أي يبادر لا غتنامها من لا حريجة له أي ليس بذي حرج والتحرج : التحرز من الآثام .

وهذا المصدر وإن كان من القسم الثالث من المصادر التي ذكرناها[1] تحت عنوان (مصادر نهج البلاغة) ولكن روايته لها بهذا الشكل يشعر على أن مأخذه غير (نهج البلاغة) .

هذا وما ذكره هنا من قوله عليه السلام : « فانه لا ينجو من الموت من خافه ... » الخ ، هو من الفصل الثاني من المختار (٣٨) الذي نوهنا عنه هناك،وبهذا يتّضح أن ما اختاره الرضي هنا وما نقله هناك كلاهما من خطبة واحدة . وقد أخذ أبو عثمان الجاحظ قوله في (رسالة المعاش والمعاد) من هذه الخطبة فقال : « الصدق والوفاء توأمان » [2] .

٤٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَتَانِ : ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى ، وَطُولُ ٱلْأَمَلِ ، فَأَمَّا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ ، أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ[3] ، كَصُبَابَةِ ٱلْإِنَاءِ ٱصْطَبَّهَا صَابُّهَا ، أَلَا وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ ،

(١) انظر ص ١٩ من هذا الجزء .

(٢) رسائل الجاحظ : ص ١٢٥ .

(٣) الصبابة : بقية : الماء في الاناء ، واصطبها صابها مثل قولك أبقاها مبقيها ، وتركها تاركهـا .

وَلاَ تَكُونُوا أَبنَاءَ ٱلدُّنيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلحَقُ بِأُمِّهِ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابٌ وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ .

قال الرضي رحمه الله : أقول : الحذّاء السريعة ، ومن النّاس من يرويه «جذّاء» بالجيم والذال المعجمة: أي انقطع درهما وخيرهما .

قد روي هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام بطرق مختلفة ، وأسانيد متعددة ، وممن رواه مسنداً نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ٣ ، والشيخ المفيد في (المجالس) ص ٥٠ ، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) : ج١ ص ٥٦ والمسعودي في مروج الذهب : (ج ٢ ص ٤٣٦) ، ونحن نختار رواية نصر فنوردها هنا ، لأسبقيته على الرضي ، واشتمالها على ما لا يخلو من فائدة .

قال نصر بن مزاحم التميمي قال : عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره ، قالوا :

لما قدم علي بن ابي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعز الله نصره ، وأظهره على عدوه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة

وفيهم قراؤهم وأشرافهم ؛ فدعوا له بالبركة ، وقالوا : يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أتنزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكني أنزل الرحبة ، فنزلها ، وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال : « أما بعد يا أهل الكوفة فان لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدلوا وتغيروا ، دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيرتم ، إلا أن فضلكم فيما بينكم وبين الله فأما الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ، ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل » . وذكر الكلام الذي ذكره الرضي بتفاوت يسير جداً وزاد عليه :

« الحمد لله الذي نصر وليه ، وخذل عدوه ، وأعز الصادق المحق ، وأذل الناكث المبطل ، عليكم بتقوى الله ، وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المتحلين المدعين المقابلين الينا ، يتفضلون بفضلنا ، ويجاحدونا أمرنا ، وينازعونا حقنا ، ويدافعونا عنه ، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا ، ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ ، فاهجروهم واسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة » .

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي — وكان صاحب شرطته — فقال :

والله إني لأرى الهجر واسماع المكروه لهم قليلا ، والله لئن أمرتنا لنقتلنهم

فقال علي : سبحان الله يا مالِ ، جزت المدى ، وعدوت الحد ، وأغرقت في النزع ! فقال : يا أمير المؤمنين :

لبعض الغشم أبلغ في امورٍ تنوبك من مهادنة الأعادي

فقال علي عليه السلام : ليس هكذا قضى الله يا مال ، قال الله سبحانه

(النفس بالنفس المائدة : ٣٣) فما بال ذكر الغشم ، وقال : (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً ، الأسراء : ١٧)والاسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، وقد نهى الله عنه ، وذلك هو الغشم .

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي ـ وكان ممن تخلف عنه ـ فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بم قتلوا ؟ قال : قتلوا شيعتي وعمالي وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين ، قالوا : لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم ، فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فسألتهم أن يدفعوا إلى قتلة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم ، فأبوا علي فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي ، فقتلتهم بهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟ قال : قد كنت في شك ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وإنك أنت المهدي المصيب .

قال نصر : وكان أشياخ الحي يذكرون : أنه كان عثمانياً وقد شهد على ذلك صفين مع علي عليه السلام ، ولكنه بعدما رجع كان يكاتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة ، وكان عليه كريماً[١] .

٤٣ـ وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصحَابُهُ بِالاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ

(١) صفين لنصر بن مزاحم ٣ – ٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المجلد الأول ص٥٦

إغْلاَقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لأَهْلِه عَنْ خَيْرٍ إنْ أَرَادُوهُ ، وَلٰكِنْ قَدْ وَقَتٌّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ إلا مخْدُوعاً أَو عَاصِياً ، وَٱلرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ ٱلأَنَاةِ ، فَأَرْوِدُوا وَلاَ أَكْرَهُ لَكُمُ ٱلإِعْدَادَ١ .

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا ٱلأَمْرِ وَعَيْنَهُ٢ . وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي إلاَّ ٱلْقِتَالَ أَوِ ٱلْكُفْرَ ، إنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً فَقَالُوا ثُم نَقَمُوا فَغَيَّرُوا .

كان جرير بن عبد الله البجلي عثماني الهوى ، أموي الرأي ، لأنه كان عاملا لعثمان على همدان فعزله أمير المؤمنين عليه السلام بعد واقعة الجمل فوجد لذلك ، وجاء جرير إلى الكوفة وبايع أمير المؤمنين بيده وفي قلبه ما فيه ، ودخل فيما دخل فيه الناس فلما أراد أمير المؤمنين أن يبعث رسولا إلى معاوية يدعوه إلى طاعته ، قال جرير : إبعثني يا أمير المؤمنين إلى معاوية فانه لم يزل مستنصحاً ووداً ، فآتيه فادعوه على أن يسلم لك الأمر ، على أن

(١) الأناة : التأني ، واروِدوا : سيروا برفق ومنه قولهم رويداً وقال ابن ابي الحديد في معنى : الاستعداد والأعداد : « نهيه لهم عن الاستعداد» وقوله بعد « لا أكره لكم الأعداد » غير متناقض ، لأنه كره منهم إظهار الاستعداد والجهر به ، ولم يكره الأعداد في السر ، وعلى وجه الخفاء والكتمان ، ويمكن أن يقال كره استعداد نفسه ولم يكره إعداد أصحابه » .

(٢) مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر وإنما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شيء في صورة الوجه وهما مستلفت النظر .

يكون أميراً من امرائك ، وعاملا من عمالك ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ، وجلهم قومي وأهل بلادي .

وكان مالك الأشتر على علم بهوى جرير فقال : يا أمير المؤمنين لا تبعثه ودعه ولا تصدقه ، فوالله إني لأ ظن أن هواه هواهم ، ونيته نيتهم ، فقال عليه السلام : دعه ، تنظر ما يرجع به إلينا .

وكان علي عليه السلام يعلم كل العلم ميل جرير ونواياه ، ولكن حاجة في نفسه ، مضافاً إلى أن جريراً كان جاداً في القضية ليكسب بذلك حسن الأحدوثة بين الناس ، ورضى أمير المؤمنين ، والتقرب إلى معاوية ، ومحمدة أهل الشام بذلك كمن أصاب عدة عصافير بحجر واحد .

وسيره أمير المؤمنين عليه السلام إلى الشام مصحوباً بكتاب منه إلى معاوية — وسيأتي هذا الكتاب في جملة مختارات (نهج البلاغة) في باب الكتب برقم (٦) — مزوداً بوصاياه ونصائحه ، وكان من جملة ما قال له : ائت معاوية بكتابي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون أعلمه أني لا أرضى به أميراً ، وإن العامة لا ترضى به خليفة .

وجرت هناك قضايا ، وكثرت خطب ، وطال كلام ، واستبطأ علي عليه السلام جريراً فطلب إليه أصحابه أن يستعد لحرب أهل الشام ، فأجابهم عليه السلام بكلام ذكر مختاره الشريف الرضي في هذا الموضع ، ومعناه : أنه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام في البيعة ، والدخول في طاعته ، ولم ينقطع الأمل ، فاستعداده للحرب ، وجمعه الجيوش ، وسوقها إلى أرضهم ، إغلاق لابواب السلم على أهل الشام وصرف لهم عن الخير إن كانوا يريدونه ، فالرأي الأناة ، ولكنه لا يكره الاعداد أي : أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج اليه في الحرب من سلاح ونحوه .

ولم يفلح جرير في وفادته ، وعاد إلى الكوفة ، ثم خرج منها إلى قرقيسيا مغاضباً لأمير المؤمنين عليه السلام ، معتزلا له ، وتبعه على ذلك جماعة من قومه ، وبلغ من نصبه لأمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه رأى ضباً فتبعه يعدو خلفه ويقول : أبا حسل هلم لأبايعك فان بيعتك أولى من بيعة علي بن ابي طالب ، وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام فتلا (يوم ندعو كل اناس بامامهم ، الأسراء : ٨١) ثم أخبر أنه يحشر وامامه ضب نعوذ بالله من اتباع الهوى ، ونستجير به من سوء الخاتمة .

وما ذكره الشريف الرضي من كلامه عليه السلام هنا يشتمل على فصلين :

الأول ـ حب أمير المؤمنين عليه السلام للاصلاح ، وحرصه على جمع الكلمة ، والمبالغة في الأعذار للخصوم ، وهذا معلوم من سيرته سلام الله عليه في كل مواقفه .

(الثاني) قوله عليه السلام : ضربت أنف هذا الأمر وعينه .. الخ قد ورد عنه عليه السلام عين هذه الألفاظ في كلام رواه نصر بن مزاحم قال : خرج رجل من أهل الشام فنادى بين الصفين يا أبا الحسن يا علي ابرز إلي ، فخرج إليه علي عليه السلام حتى اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفين ، فقال : إن لك يا علي لقدماً في الإسلام والهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن الدماء وتأخر هذه الحروب حتى ترى رأيك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق ، ونرجع نحن إلى شامنا فتخلي بيننا وبين الشام . فقال علي عليه السلام : قد عرفت ما عرضت إن هذه لنصيحة وشفقة . ولقد أهمني هذا الأمر واسهرني ، وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت

مذعنون لا يأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم ، قال : فرجع الرجل وهو يسترجع [1] .

وسيأتي في الخطبة : (٥٣) مثل هذا الكلام ، كما روى مثله الخطيب الخوارزمي في « المناقب » ص ١٠٨ بسنده إلى سالم بن أبي حفصة عن مازن العابدي عنه عليه السلام فتأمل. كما ورد عنه عليه السلام في هذا المعنى شيء كثير وإنه إنما يقاتل على بصيرة من أمره ، وبعهد من ابن عمه ، وإن جميع ما يجري من أقواله وأفعاله إنما هو على تأويل القرآن — كما قال عمار بن ياسر رحمه الله يوم صفين — .

أما قوله عليه السلام : « قد كان على الناس وال أحدث احداثاً وأوجد للناس مقالا فقالوا ثم غيروا » فهذا ما وقع بالفعل لمن ولي قبله الناس سواء قاله علي أم لم يقله ثم لا يستكثر على أمير البيان أن يصف الواقع ببضع كلمات عليها مسحة من البلاغة . على أني عثرت على شيء كثير قاله عليه السلام في هذا المعنى أذكر منه ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ٢٠ من جملة رسالة له إلى معاوية « ثم ولي أمر الناس بفعل أشياء عابها الناس عليه ، فسار إليه ناس فقتلوه »

فالغرض أن صدور مثل هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام ممكن فعلى م يتهم الرضي إذا رواه ؟

أما مصادر هذا الكلام فقد عثرت منها على مصدرين قبل (نهج البلاغة).

الأول : كتاب (صفين) لابن مزاحم فانه روى من هذا الكلام في ص ٥٥ من طريق صالح بن صدقة قوله عليه السلام : « وقت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً » .

---

(١) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م١ – ١٨٣ .

الثاني : (الامامة والسياسة) لابن قتيبة : ج ١ ص ٩٤ ففيه ما رواه الرضي بتفاوت في بعض الكلمات

مضافاً إلى أن قوله عليه السلام « ضربت أنف الأمر وعينه » الخ فانه عليه السلام كان يردده كثيراً إما بلفظه أو بمعناه. نذكر من رواته ابن عبد ربه في (العقد الفريد) : ٢ – ١٠٨

هذا وسيأتي إجمال قصة ذهاب جرير إلى معاوية عند الكلام على مصادر الكتاب رقم (٦) في الباب الثالث من أبواب (نهج البلاغة) إن شاء الله تعالى

٤٤ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه فلما طالبه بالمال خاس ١ به وهرب إلى الشام :

قَبَّحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ٢ ، فَعَلَ فِعْلَ ٱلسَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ ٱلْعَبِيدِ . فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ٣ ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ ،

---

(١) خاس به : أي خان .
(٢) قبحه : نحاه عن الخير .
(٣) التبكيت : التقريع .

وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ[1] .

كان الخرّيت بن راشد الناجي ـ أحد بني ناجية ـ مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين ، ثم نقض عهده بعد صفين ، ونقم عليه في التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، ويدعوهم للخلاف[2]،وانضم إليه جماعة من قومه وكانوا نصارى فنقضوا عهدهم . وأخلوا بشروط عقد الذمة ، وارتد بنو ناجية عن الإسلام ، وعاثوا في الأرض فساداً ، فبعث إليهم أمير المؤمنين عليه السلام كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي ، لقتاله هو ومن أنضم إليه ، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس ، وبعد دعوتهم إلى التوبة ، وإبائهم قبولها شدّ عليهم ، فقتل الخرّيت وقتل معه كثيراً من قومه ، وسبى من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان ، فكانوا خمسمائة أسير ، ولما رجع معقل بالسبي مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني ـ وكان عاملا لعلي عليه السلام على أردشير ـ خرج فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم ، فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ، ثم أعتقهم ، وأدى ثلث ثمنهم ، وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم امتنع من أداء ذلك، ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل ، فقال علي عليه السلام : قبح الله مصقلة فعل فعل السادة ، وفر فرار العبيد ... الخ .

وقد تضمنت كتب السير قصة بني ناجية هذه ، وكلام أمير المؤمنين هذا قبل أن تلد الرضي أمه . منهم أبو جعفر الطبري في التاريخ[3] . وإبراهيم

---

(١) ميسوره : ما تيسر له،ووفوره: الفور مصدر نما المال: أي زاد و نما وتروى موفوره.

(٢) كما سيأتي في ج : ٢ ص ٤٤١ من هذا الكتاب .

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦٥ – ٧٧ .

ابن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » [1] . والبلاذري في « أنساب الأشراف » ص ٤١١ – ٤١٧ ط : الأعلمي

كما رواه بعد الرضي جماعة منهم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ج٥٥ عندما ترجم لمصقلة بن هبيرة

وقال المسعودي : – بعد أن ذكر كلام علي عليه السلام في شأن مصقلة – وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات :

تركت نساء الحيّ بكر بن وائل ... وأعتقت سبياً من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد ... لمال قليل – لامحالة – ذاهب [2]

وذكر أبو الفرج الأصبهاني (ما حاصله) أن علي بن الجهم – وهو من بني ناجية – كان منحرفاً عن آل ابي طالب ، يذمهم ، ويغري بهم ، ويهجو شيعتهم ، وفيه يقول البحتري :

علامَ هجوت مجتهداً علياً ... بما لفّقت من كذب وزور
أمالك في استك الوجعاء شغل ... يكفك عن أذى أهل القبور ؟

قال : وسمعه أبو العيناء [3] يطعن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : أنا أدري لم تطعن على أمير المؤمنين ، فقال : أتعني قصة بيعة أهلي من مصقله بن هبيرة ؟ قال : لأنت أوضع ذلك ، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت أسفلهما [4] .

---

(١) أنظر شرح نهج البلاغة المجلد الأول ص ٢٦٤ – ٢٧١ والغارات ص ٣٢٩-٣٧٢.

(٢) مروج الذهب ٣ / ٤١٩ .

(٣) هو عبدالله بن محمد بن القاسم بن خلادالاهوازي البصري كان أديباً ماهراً، وكان من الظرفاء والأذكياء حاضر النكتة ، سريع الجواب ، نقل ابن خلكان كثيراً من أجوبته ونوادره ، أضر وهو في حدود الأربعين من عمره ، فسئل يوماً : ما ضرك من العمى قال : شيئان أحدهما فاتني السبق بالسلام ، والثاني ربما ناظرت الرجل فهو يكفهر وجهه ويظهر الكراهية حتى لا أراه واقطع الكلام ، توفي بالبصرة سنة (٢٨٣) أو (٢٨٤) .

(٤) الأغاني ٩ : ١٠٠ – ١٠٦ .

الفهرس

ملاحظة : تجد فهرس اعلام هذا الجزء في آخر الجزء الرابع .